الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلــوم الاجتماعية
شعبة الأنثروبولوجيا
تخصص: أنثروبولوجيا الفضاءات الحضرية

عنوان الأطروحة

المرجعية القيمية في هندسة عمران المدينة الصحراوية التقليدية والمعاصرة

دراسة أنثروبولوجية ببلدية قمار

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (LMD) في شعبة الأنثروبولوجيا
تخصص أنثروبولوجيا الفضاءات الحضرية

إعداد الطالبة:
– حبيب سعيدة

إشراف الأستاذ:
أ. د شوقي قاسمي

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	سليم درنوني	أستاذ	بسكرة	رئيسا
02	شوقي قاسمي	أستاذ	بسكرة	مشرفا ومقررا
03	محمد زيان	أستاذ محاضر أ	بسكرة	مشرفا مساعدا
04	نتيجة جيماوي	أستاذ محاضر أ	بسكرة	عضوا مناقشا
05	بشير طلحة	أستاذ	الأغواط	عضوا مناقشا
06	عثمان فويل	أستاذ محاضر أ	المدرسة الوطنية للعمران بالجزائر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلــوم الاجتماعية
شعبة الأنثروبولوجيا
تخصص: أنثروبولوجيا الفضاءات الحضرية

عنوان الأطروحة

المرجعية القيمية في هندسة عمران المدينة الصحراوية التقليدية والمعاصرة

دراسة أنثروبولوجية ببلدية قمار

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (LMD) في شعبة الأنثروبولوجيا
تخصص أنثروبولوجيا الفضاءات الحضرية

إعداد الطالبة:
– حبيب سعيدة

إشراف الأستاذ:
أ. د شوقي قاسمي

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	سليم درنوني	أستاذ	بسكرة	رئيسا
02	شوقي قاسمي	أستاذ	بسكرة	مشرفا ومقررا
03	محمد زيان	أستاذ محاضر أ	بسكرة	مشرفا مساعدا
04	نتيجة جيماوي	أستاذ محاضر أ	بسكرة	عضوا مناقشا
05	بشير طلحة	أستاذ	الأغواط	عضوا مناقشا
06	عثمان فويل	أستاذ محاضر أ	المدرسة الوطنية للعمران بالجزائر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024

إهداء

إلى روح الأستاذ البشير زلومة طيب الله ثراه

إلى والدي سندي الدائم حفظه الله

إلى والدتي حفظها الله ورعاها

"سعيدة"

الشكر والعرفان

اللهم صل على نبينا محمد صل الله عليه وسلم والحمد لله على إتمام العمل وتحقيق الحلم بفضل الله وكرمه

أقدم جزيل شكري الى مشرفي واستاذي ***شوقي قاسمي*** على كل ما بذله من جهد لإتمام هذا العمل ووقته وجهده وتوجيهاته القيمة، فله كل الشكر والعرفان، وإلى كل أستاذة قسم أنثروبولوجيا بجامعة ببسكرة.

وأخص بالشكر والتقدير إلى استاذي ***شالة عبد الرحمان*** على مساعدته لي ومساندته طيلة مشواري الدراسي ودعمه المعنوي، فله جزيل الشكر والتقدير والاحترام

اشكر كل الأصدقاء الذين ساعدوني: ***سارة جعفر***، استاذ ***رفيق بلعيدي***، ***ياسمينة مخلوف***، ***هاجر زيدان***، ***سهيلة بوعافية*** .

" **وشكرا** "

قائمة المحتويات

فهرس المحتويات

الرقم	المحتـوى	الصفحـة
–	الإهداء	–
–	الشكر	–
–	فهرس المحتويات	I
–	فهرس الجداول	IV
–	فهرس الأشكال	V
–	فهرس الصور	VI
–	فهرس الخرائط	VIII
الفصل الأول: الاقتراب النظري والمنهجي للدراسة		
	مقدمة	أ–ت
1	إشكالية الدراسة	01
2	أسباب اختيار الموضوع	03
3	أهمية وأهداف الموضوع	04
4	مفاهيم الدراسة	05
5	المقاربات النظرية للدراسة	11
6	الدراسات السابقة	13
7	الإجراءات المنهجية للدراسة	19
الفصل الثاني: دراسة مونوغرافية واجتماعية لمجتمع مدينة قمار		
	تمهيد	**33**
1	أولا: أصل التسمية بين الرواية الشعبية والتاريخية	34
2	ثانيا: مدينة قمار في الكتابات في الكتابات التاريخية	35
3	ثالثا: جغرافيا المكان والاقليم	36
4	رابعا: مكونات الوسط الطبيعي لمدينة قمار	37
5	خامسا: التغيرات الاجتماعية والعمرانية لمدينة قمار	41
6	سادسا: الأساطير المؤسسة لمدينة قمار	54
	خلاصة الفصل	60

الفصل الثالث: المسكن بمجتمع مدينة قمار		
	تمهيد	**62**
1	أولا: أشكال المسكن بمجتمع مدينة قمار	63
2	ثانيا: ثقافة البناء في مجتمع مدينة قمار	76
3	ثالثا: مواد بناء المسكن بمجتمع مدينة قمار بين الثقافة المحلية والمعاصرة	82
4	رابعا: الوحدات العمرانية للمسكن بمجتمع مدينة قمار	86
5	خامسا: القيم المستحدثة للمسكن المعاصر بمدينة قمار	94
	خلاصة الفصل	98
الفصل الرابع: الحرمة كقيمة مرجعية في هندسة عمران المسكن بمدينة قمار		
	تمهيد الفصل	100
1	أولا: الحرمة كتصور ثقافي بمجتمع مدينة قمار	101
2	ثانيا: لمسكن كفضاء مقدس: الممارسات النسوية في المسكن بين قداسة المكان والاعتقاد	111
3	ثالثا: المسكن كفضاء نسوي	117
4	رابعا: المسكن والجسد الأنثوي	117
5	خامسا: التغير الثقافي لقيمة الحرمة للمسكن في مجتمع قمار	122
	خلاصة الفصل	127
الفصل الخامس: الخصوصية كقيمة ثقافية في هندسة عمران المسكن بمدينة قمار		
	تمهيد الفصل	131
1	أولا: الخصوصية كمفهوم ثقافي في مجتمع مدينة قمار	132
2	ثانيا: مغذيات الخصوصية في المجال السكني بمجتمع مدينة قمار قديما وحديثا	140
3	ثالثا: أنماط الخصوصية في المجال السكني في مجتمع مدينة قمار	141
4	رابعا: مستويات الخصوصية في هندسة المسكن بمجتمع مدينة قمار	**153**
5	خامسا: الخصوصية بين عمارة المسكن التقليدي والمعاصر بمجتمع مدينة قمار	**161**
	خلاصة الفصل	**163**
الفصل السادس: التنظيم الوظيفي كقيمة مرجعية في هندسة عمران المسكن بمدينة قمار		
	تمهيد الفصل	**167**

1	أولا: ثقافة التنظيم الوظيفي بمجتمع مدينة قمار	**168**
2	ثانيا: التنظيم الداخلي للمسكن بمجتمع مدينة قمار	**182**
3	ثالثا: المساحة والمسافة في ثقافة مجتمع مدينة قمار	**189**
4	رابعا: الشكل العمراني للمسكن بمدينة قمار: الوظيفة والجمالية	**194**
5	خامسا: التغير الثقافي لقيمة التنظيم الوظيفي لمسكن مدينة قمار	**197**
-	خلاصة الفصل	**201**
-	نتائج الدراسة	**204**
-	خاتمة	**208**
-	قائمة المصادر والمراجع	**212**
-	الملاحق	**221**
-	**الملخص**	

فهرس الجداول

رقم الجدول	عنوان الجداول	الصفحـة
01-01	مجموعة الملاحظات التي تم تدوينها خلال الدراسة الميدانية لمجتمع البحث	26
02-01	توزيع المقابلات على الاخبارين لمجتمع مدينة قمار	28
03-01	جدول الاخبارين	30
01-02	يمثل المجموعات الاجتماعية المحلية المكونة لمجتمع مدينة قمار	42
02-02	يمثل الاحصائية السنوية للسكن والاسكان بمجتمع مدينة قمار	45
03-02	نسبة النمو السكاني لمجتمع مدينة قمار	45
04-02	يوضح المقادير المستعملة في عملية البيع والشراء في الاسواق الشعبية لمدينة قمار	52
05-02	يمثل الجدول أنواع الميزان المستخدمة في البيع والشراء لأسواق الشعبية	52
01-03	يمثل الجدول مختلف أنواع الحجارة المستخدمة في عملية بناء المساكن التقليدية	77

فهرس الأشكال

رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحـة
01-02	يمثل الطبقات التربة وترسبها ضمن القشرة الجوفية للأرض لمدينة الوادي	40
01-03	تصنيف مواد البناء المعاصرة من حيث طبيعة المواد	85

فهرس الصور

رقم الصورة	عنوان الصورة	الصفحـة
01-02	أبواب مساكن طوائف اليهود بمدينة قمار	44
02-02	أبواب مساكن طوائف اليهود بمدينة قمار	44
01-03	الخابية وهي من الآليات التقليدية لتخزين المؤونة في الثقافة المحلية بمجتمع مدينة قمار.	67
02-03	مخطط العام لأحد المساكن التقليدية بمدينة قمار، رسمه أحد الاخبارين	69
03-03	المخطط العام لأحد المساكن المعاصرة بمدينة مدينة قمار، قام بهندسته وتخطيطه أحد الاخبارين المكلفين بهندسة المساكن بمجتمع قمار.	75
04-03	شكل من أشكال الخابية المستعملة	91
01-04	عتبة المسكن التقليدي	103
02-04	عتبة المسكن المعاصر	103
03-04	يمثل بداية الخط المنكسر من مدخل باب المسكن التقليدي بمدينة قمار	105
04-04	تمثل الخط المكسر عند الوقوف بالمدخل تنكسر الرؤية للعين لداخل المسكن	105
05-04	مدخل لمنزل معاصر بمدينة قمار	106
06-04	المطبخ التقليدي بمدينة قمار	108
07-04	شكل وهندسة النوافذ في المسكن التقليدي بمدينة قمار وشكله من الداخل والخارج	110
08-04	**تمثل أحد الأشكال المعاصرة للنوافذ وكيفية هندستها الخارجية**	111
09-04	**تمثل أحد الأشكال المعاصرة للنوافذ المصنوعة من الألمنيوم**	111
01-05	تمثل أشكال الابواب للمساكن التقليدية بمجتمع مدينة قمار	134
02-05	تمثل الباب التقليدي بقمار أو بما يعرف النح الجزء العلوي له ووظيفته	134
03-05	الجزء الثالث من الباب بالمسكن التقليدي بمدينة مجتمع قمار	135

04-05	تمثل حي البويبة من الداخل الذي يعتبر من الأحياء التقليدية في مدينة قمار	146
05-05	يمثل مدخل التقليدي البويبة أحد الأبواب المكونة لهندسة مدينة قمار التقليدية	146
06-05	تمثل أحد المساكن التقليدية تم ترميمه بمواد حديثة	150
07-05	تمثل مسكن معاصر حديث الإنشاء وغير مكتمل	150
08-05	تمثل الشكل المعاصر لأحد مساكن مدينة قمار	150
09-05	الزربية	156
01-06	أحد الشوارع المسقوفة الموجودة حي في باب الغربي	170
02-06	أحد الشوارع المسقوفة التي تغطي الدكانين في حي باب الغربي	171
03-06	تمثل الشكل أحد أنواع السقيفة التي تصنع من مواد البناء والزخارف الموجودة مدينة قمار	172
04-06	الصالة –البرا– التي تكون في بداية المسكن وظيفتها استقبال الضيوف دون ادخالهم الى باقي المسكن	188
05-06	الصالة من الداخل ومساحتها الداخلية	188
06-06	التصميم الداخلي لمطبخ في أحد المساكن المعاصر بمدينة قمار	193
07-06	الشكل يوضح الهندسة الداخلية للمطبخ وتوزع الفراغات الداخلية له لأحد المساكن المعاصرة	193

فهرس الخرائط

رقم الخريطة	عنوان الخريطة	الصفحـة
01-01	المكان الجغرافي لمدينة قمار	20
01-02	تمثل الأبعاد الجغرافية والادارية لبلدية قمار	37

مقـدمة

مقدمة:

تهتم الأنثروبولوجيا بدراسة الجانب الثقافي للإنسان وتركزه عليه باعتباره كائن ثقافي رمزي، وتختلف زوايا تلك الدراسات والمواضيع لتبحث في حياة الإنسان المعاصر ومشكلاته المختلفة، ومن أبرز تلك الفروع الأنثروبولوجية المعاصرة الأنثروبولوجيا الحضرية والتي تعد كفرع خصب لازال قيد البحوث والدراسات في العالم الغربي والعربي خاصة، ومن أهم المواضيع والأبحاث التي تهتم بها السكن والعمارة في المجتمعات المحلية، فحضور وانتشار الانثروبولوجيا الحضرية في الجزائر التي تعد من المناطق الجغرافية في العالم ذات التعدد الثقافي في الجانب المعماري والعمراني الفريد المعبر عن التنوع الثقافي والعمراني والمعماري على اختلاف الأقاليم المناخية.

العمارة الصحراوية من أهم المواضيع الحديثة التي اهتمت بها الأنثروبولوجيا الحضرية في الجزائر انطلاقا من الهندسة العمرانية الشعبية المحلية إلى دراسة تلك التحولات التي تعرفها المدينة الصحراوية والاشكالات الحضرية التي تعرفها في الوقت الحالي سواء من الناحية الهندسة العمرانية للفضاء السكني واختلاف انماطه على مستوى المدينة الصحراوية وأهم التغيرات التي عرفها المسكن الصحراوي وما يشهده من عمليات تحديث والتي نعتبرها مؤشرات على التغير الثقافي والقيمي للمجتمع الصحراوي، فالسكن هو نِتَاج تفاعل العوامل البيئية الطبيعية، والمتغيّرات الاجتماعية التي خلقت فيه تلك التفاصيل المميزة، مبرزة هوية المجتمع، ومُشكِّلة فاصلة ثقافية في الثقافات الإنسانية ككل، وهذا ما اهتمت به الانثروبولوجيا على غرار التخصصات الأخرى، فدرست المسكن من جانبه الثقافي، وبحثت في العوامل الثقافية ومدى علاقتها ببنائه وشكله وتفاصيله، وشقه المقدس المتمثل في: الطقوس والعادات والممارسات ذات الطابع الديني.

أثّر التحوّل القيمي الحاصل ، على الجوانب المادية واللاّمادية للثقافة، ومن أهم تلك العناصر المادية المسكن وتحوّله من الشكل التقليدي المحلي، الذي عرف هو أيضا تعددا في الأشكال وطريقة البناء، بحسب البيئة والوظيفة التي بُني من أجلها، إلى الشكل المعاصر مبرزًا التغير الذي حدث على مستوى الهندسة العامة للمدينة ككل، كما أنتج لنا قيمًا مستحدثة ومتجددة في الشكل، كما توجد قيم تعدّ بمثابة مرجعية قيمية، تبرز النسق الثقافي وخلفياته الدينية والاجتماعية، كما تعدّ بمثابة ركائز ينطلق منها الساكن في هندسة مجاله الخاص به، وهذا المشروع البحثي الذي بين أيدينا يبحث في حيثيات المجتمع المحلي لمدينة قمار، حيث نعرض فيه "**المرجعية القيمية في هندسة عمران المدينة الصحراوية التقليدية والمعاصرة من الناحية الأنثروبولوجية لبلدية قمار**" حيث تعدّ هذه الدراسة من أوائل الدراسات التي تهتم

بمجتمع قمار وثقافته المحلية وطابعه العمراني المحلي، ففي هذا الطرح الأنثروبولوجي نسعى من خلاله البحث عن الحيثيات الثقافية التي تقف وراء بناء المسكن والتغيرات القيمية التي مسّته، متسائلين كيف تظهر تلك القيم المرجعية في الشكل الهندسي للمسكن التقليدي؟، وتحليل تلك الرمزيات الثقافية المعبرة عن النسق القيمي لمجتمع قمار، وماهي تلك العناصر العمرانية التي تبرز قيمة دون غيرها؟ خاصة في المجال السكني التقليدي، الذي ننطلق منه في تفسير التحول القيمي، من خلال تقديم قراءة أنثروبولوجية مكثفة لمجموع العناصر العمرانية المكوّنة للنمط المحلي.

هذه الدراسة التي نعتبرها ثمرة جهد متواصل من بداية الدراسة إلى نهايتها، ومن الدراسات الأولى لمجتمع قمار، انطلاقا من المعطيات المادية، ونقل ثقافة مجتمع قمار للتعريف به وبعاداته الاجتماعية وطقوسه وشعائره الدينية ومعتقداته الشعبية، وأهم الرموز العمرانية المحملة بهوية وثقافة بلدية قمار، حيث تتضمن الأطروحة ستة فصول، دمجنا فيها الجانب النظري مع الميداني لخلق نوع من التناسق، وكذا لجعل الدراسة أنثروبولوجية واقعية ميدانية حيوية في طرحها ومعطياتها، ومن خلال تلك الفصول نسعى إلى الإحاطة الكاملة بموضوع الدراسة سواء في بناءها المنهجي أو المعرفي وتقديم معطيات ثقافية أكثر، وتم تقسيم الفصول كالآتي :

- الفصل الأول: تعلق بالجانب المنهجي والنظري لموضوع الدراسة، من خلال إرساء المعالم الأولية المنهجية المتمثلة في طرح الإشكالية، وعرض التساؤل الرئيس، والأسئلة الفرعية وذكر أهم الأسباب والدوافع للدراسة، والأهداف المرجوّة من الدراسة الميدانية، ومناقشة أهم المفاهيم التي بُنيت عليها، وربطها بالجانب الأنثروبولوجي، والمنهج الذي تم الاعتماد عليه في جمع المعطيات الميدانية، والمقاربة النظرية التي تمّ وضعها في الإطار النظري للدراسة ككل، وأهم التقنيات التي ساعدتنا في جمع المعلومات والمعطيات الميدانية، وكذلك مجالات الدراسة على اختلافها الزماني والمكاني والبشري، وأخيراً ذكر التراث النظري انطلاقا من الدراسات السابقة.
- الفصل الثاني: خصصنا هذا الفصل لدراسة مونوغرافية لمجتمع مدينة قمار، للتعرف على أبرز حيثياته التاريخية من موقعه الفلكي والجغرافي، وأهم المميزات الطبيعية للموقع، والخصائص الجيولوجية والايكولوجية، مع ذكر التعدد السكاني لمجتمع قمار، ونسبة النمو الديمغرافي له، وتطرّقنا إلى أهمّ الرموز المعمارية التي تحمل خصوصية مدينة قمار كالرموز الدينية والشعبية، مع أهمّ المظاهر الثقافية المميزة له.

- الفصل الثالث: خصصناه للمسكن التقليدي والمعاصر، بمجتمع قمار وهي عبارة عن عملية مقارنة بين الشكلين، وذكر أهم أنماطه وأشكاله المختلفة، وأهم الوحدات العمرانية المكوّنة له، وثقافة البناء من خلال التطرق إلى مواد البناء سواء المحلية أو المعاصرة، ومجموعة من العادات والطقوس أثناء عملية البناء، وأهم القيم المستحدثة في عمارة المسكن المعاصر بمجتمع مدينة قمار.
- الفصل الرابع والخامس والسادس: هي فصول ميدانية، تمّ فيها ذكر المرجعيات القيمية في هندسة عمران المسكن التقليدي والمعاصر، كقيمة الحرمة وما يقترن بها من جانب ثقافي متجسد في عمارة المسكن سواء النمط التقليدي أو المعاصر، والخصوصية كقيمة ثقافية في عمارة المسكن، وأهم الوحدات التي تعبر عنها وكيف تظهر في الشكلين التقليدي والمعاصر، ورصد تحولها على المستوى السكني، وقيمة التنظيم الوظيفي كقيمة ثقافية عمرانية متحكمة في المساحة والمسافة داخل المجال السكني الداخلي.

في الأخير ذكرنا نتائج الدراسة ككل، وخاتمة للموضوع، وذكر المراجع التي تم الاعتماد عليها، ومجموعة من الملاحق والمتمثلة في دليل المقابلة، وبعض الصور الموضحة، وملخص الدراسة.

1-إشكالية الدراسة:

تشكل المدن الصحراوية أحد الأنماط المعمارية والعمرانية في الجزائر فهي تعد انعكاس لخصوصية الأقاليم الجنوبية في الجزائر التي تختلف من حيث الهندسة على اختلاف المناطق المكونة لثقافة الجنوب الجزائري فكل تفصيل عمراني هو انعكاس لقيم وعادات، وهذا ما نجده في العمارة المحلية ذات الطابع التقليدي الشعبي المحلي فعمارة القصور مختلف على عمارة أخرى صحراوية رغم التشابه في الطبيعة البيئية لكن الاختلاف في الهندسة العمرانية الذي يبرز خصوصية الثقافية من خلال تفاعل الفرد مع بيئته وصنعه لمجاله الثقافي والعمراني الصحراوي الخاص به.

هذه العمارة الصحراوية ولادة الحواضر التي تكونت بفعل عوامل عدة أسهمت في أنتاج عمارة صحراوية تختلف من منطقة جغرافية الى أخرى، فرغم التشابه في البيئة الطبيعة الصحراوية إلا انها تختلف في شكلها وطريقة البناء وهذا الاختلاف يعود إلى الجانب الثقافي ومعرفة كل فرد بما يتناسب مع بيئته الطبيعة لخلق عملية التكيف من خلال خلق عنصر ثقافي متمثل في العمارة والتي تعد مرآة عاكسة لجملة من الحثيات الثقافية لمجتمع دون غيره، وهذه الإشكالات جعلت من العمارة الصحراوية اهتمام العديد من الميادين البحثية على اختلاف توجهاتها البحثية والمعرفية من أبرزها الهندسة العمرانية التي تبحث في الشق المادي للمباني الصحراوية وطريقة الإنشاء وكذا التخصصات الجغرافية التي تبحث في المجال المناخي وتأثيره على العمارة وهيكلها المادي.

هذا الحضور والتناول لتخصصات مختلفة جعل الاهتمام بالتغيرات والتحولات الشق المغيب في الدراسات البحثية في مجال العمارة الصحراوية، فمن خلال تلك التحولات في الجانب الهندسي والعمراني لمختلف الفضاءات المكونة للمدينة الصحراوية ندرك التحولات الحاصلة في المجتمع الصحراوي، فالتغير في المجال المادي هو تعبير صريح وواضح عن أهم التغيرات التي يشهدها المجتمع والثقافة المحلية وانتقالها من شكلها ونمطها التقليدي إلى نمط حضري معاصر تترجمه أجزاء مختلفة من الفضاءات الصحراوية المكونة للمدينة ككل، وهذا ما جعل نقص الدراسات والتنظير في مجال العمارة الصحراوية يهتم بالعمارة كفن من الفنون التي تبرز مجتمع محلي دون غيرة وتركز بحوثها عليها من الجانب ثقافي رمزي لها تعدد في الوظائف الثقافية والمادية لمجتمع دون غيره فمن خلال هذا نصل الى فهم البنية المجتمعية لمجتمع وثقافة دون غيرهما.

هذا الفكر والمنظور المعرفي التي تنطلق منه الانثروبولوجيا الحضرية في دراستها للعمارة على اعتبارها عنصر ثقافي يعطي خصوصية ثقافية واجتماعية لثقافة محلية ومجتمع دون غيره، فالدراسات

الأنثروبولوجية في الجزائر التي تهتم بالجانب المعماري للمدينة الصحراوية خاصة قليلة والاهتمام بها كفرع متخصص في العمارة المحلية يعرف وتيرة بطيئة من حيث المواضيع البحثية المقدمة في المجال الصحراوي خاصة الذي يعد من أغنى الحقول المعرفية والبحثية لما يعرفه من إشكالات ومواضيع متغيره تعرفها المدينة الصحراوية التقليدية وظهورها الحالي بشكلها الحديث المعاصرة في هندسة مجالها المديني ومجمل فضاءاتها العمومية التي تبرز التغير الحاصل على مستوى الأبنية الاجتماعية للمجتمع الصحراوي المتفرد بأسلوب حياته المتناغم مع بيئته الطبيعية والمختلف في نمطه وتراثه الثقافي المادي.

ومن خلال دراستنا هذه التي تبحث في الهندسة العمرانية للمدينة الصحراوية لكن من شق انثروبولوجي حيث تبحث في النسق القيمي الذي يمثل جزء مهم النسق الثقافي من خلال البحث في تغيراته واهم المرجعيات القيمية التي تبرزها وتعكسها عمارة المدينة الصحراوية، وهذا الشق من الدراسة يختص بالجانب القيمي وتحولاته من خلال العمارة وهندستها التقليدية والمعاصرة الذي يعتبر جزء مغيب من طرف الباحثين في مجال الأنثروبولوجيا الحضرية، وهذا ما يعطي لدراستنا والأسبقية البحثية والعلمية في مجال في تخصص أنثروبولوجيا الفضاءات الحضرية كمجال بحث يهتم بالشق القيمي وتحولاته الحالية التي يعرفها الفرد والمجتمع الصحراوي من خلال هندسة مجال العمراني للمدينة الصحراوية وانتقاله من حالة النمط التقليدي الى المعاصر.

تعد مدينة الوادي أحد أهم الأقاليم الصحراوية في الجزائر التي تتميز بنمط عمراني يحمل هويتها ومعبر عن الرمزية المعمارية والعمرانية مختلف عن عمارة القصور وغيرها من الأقاليم والحواضر الصحراوية في الجزائر، واهتم بها العديد من الباحثين سواء من الناحية التاريخية أو الجغرافية أو الاهتمام بالجوانب الثقافية لمجتمع مدينة الوادي المعروف بثقافته المحلية وطريقته في المعاش كمجتمع صحراوي، مع وصف بعض الأنماط العمرانية والمعمارية ذات الأبعاد التراثية المعبرة عن رمزية المدينة وثقافة البناء وغيرها من الأساليب الحياتية المختلفة لمجتمع صحراوي متفرد في حياته وثقافته، ومع التغيرات التي عرفتها مدينة كغيرها من المدن الصحراوية التي مسها التحول على مستويات عدة سواء على مستوى المادي الثقافي أو للامادي، وهذا ما يجعل منها مجتمع خصب لدراسات في مجال الأنثروبولوجيا الحضرية لرصد تلك التغيرات على مستوى مدينة الوادي وكل ما يتعلق بالجوانب العمرانية والمعمارية ورصد أهم تلك التغيرات في مجال هندسة المجال السكني وانتقاله من نمطه الشعبي المحلي إلى النمط المعاصر التي تعبر عنه الهياكل العمرانية في الفضاء المديني، فالعمارة هي مرآة عاكسة نرى من خلالها أحوال المجتمعات وأهم التغيرات التي تحصل على مستواها.

مع التغيرات الثقافية والاجتماعية؛ تأثر الجانب العمراني للمدينة الصحراوية، وتنوعت الأنماط المبنية بين التقليدي، وتحوله إلى الشكل المعاصر في الهندسة العمرانية، وهذا لعدة عوامل ساهمت في تشكل نوع مغاير عن النمط المحلي الشعبي حيث أثرت التحولات السوسيوثقافية على المجال السكني، حيث أفرزت لنا تغيرات عمرانية على المدينة الصحراوية، التي تشهد توسعا حضاريا وتغيرا في أسلوب حياة أفراده وانتقالهم من الحياة التقليدية إلى طابع الحضارية، الذي انعكس على مجالات الحياة الاجتماعية وهندسة فضاءاتها العمومية والخاصة.

تركز دراستنا على المسكن التقليدي وتقديم قراءة له، ووصف مكثف لجميع زواياه، وتقديم معانٍ نابعة من ثقافة مجتمعه، والبحث في القيم المعمارية التي شكلت في وقت ما ثقافة المجتمع القماري، الذي عرف تحولات على مستوى النسق القيمي، المشكل لسلوكه وعاداته، الذي انعكس جليا على مسكنه، والذي بدوره انعكس على القيم المعاصرة التي ترجمتها العمارة في لغتها وخطابها اليومي، من خلال المسكن المعاصر من طرف مجتمع مدينة قمار كمجتمع صحراوي، وعليه تم بناء السؤال الرئيس للدراسة:

ماهي التحولات في المرجعية القيمية التي طرأت على هندسة السكن الصحراوي ببلدية قمار؟

حيث يتضمن السؤال الرئيس أسئلة فرعية متمثلة في:

- **كيف انعكست الحرمة كقيمة مرجعية في هندسة عمران السكن بمجتمع قمار؟**
- **كيف انعكست قيمة الخصوصية في هندسة عمران المسكن بمجتمع مدينة قمار؟**
- **كيف انعكس التنظيم الوظيفي كقيمة مرجعية في هندسة عمران المسكن بمجتمع مدينة قمار؟**

2-أسباب اختيار موضوع الدراسة:

يعود اختيارنا لهذا الموضوع في إطار الممارسة البحثية إلى مجال الأنثروبولوجيا الحضرية، حيث يعدّ المسكن أحد الاهتمامات والإشكاليات التي وجب الخوض فيها معرفيا.

وفي إطار موضوعنا البحثي المعنون بـ: "**المرجعية القيمية في هندسة عمران المدينة الصحراوية التقليدية والمعاصرة: دراسة أنثروبولوجية ببلدية قمار**" ومن أهم أسباب اختيارنا لموضوع الدراسة نذكر ما يلي:

- معرفة التحولات القيمية التي لها انعكاس على هندسة عمران المدينة، سواء التقليدية أو المعاصرة للوصول إلى تقديم تفسيرات وتحليلات، حول المرجعية القيمية التي مسها التحول، وانعكست على أهم العناصر المعمارية والعمرانية للمساكن في المدينة الصحراوية.

– معرفة التحول القيمي لمجتمع قمار، الذي يعرف على مدار سيرورته تغيرات لها انعكاس دلالي على المجال الإنساني والعمراني، حيث يمثل الجزء المادي من الجانب الثقافي للمدينة والعمارة الصحراوية.

– التعرف على العمارة الصحراوية وخصوصيتها وهويتها المعمارية، التي مسّها التحول على مستويات عديدة، من أبرزها هندسة عمران السكن؛ يمثل التحول من النمط التقليدي، عنصرا ثقافيا دالاً على التكيف مع البيئة الصحراوية، وكل عنصر من البناء له وظيفة تلبي احتياجات الانتقال إلى الشكل المعاصر الحداثي في البناء، من ناحية التصميم أو المواد المستخدمة أو المظهر العام له، الذي يحمل دلالات رمزية لتحول قيمي في مجتمع قمار.

– تقديم قراءات متعددة الجوانب لظواهر لها الأثر الكبير على التغير الثقافي والاجتماعي لمجتمع مدينة قمار، الذي مسته التحولات والتي أثرت على بناءه الاجتماعي، والثقافة الصحراوية التي لها خصوصية حضارية، تعبر عنها عمارة السكن بمدينة قمار.

3– أهمية وأهداف الدراسة:

3–1 أهمية الدراسة:

تعدّ هذه الدراسة من قلائل الدراسات التي تتناول الجانب القيمي، كأحد أهم المرجعيات التي لها انعكاس على هندسة عمران المدينة الصحراوية التقليدية والمعاصرة، والتركيز على المسكن كوحدة عمرانية أساسية ضمن التخطيط الهندسي للمدينة ككل، وتعتبر هذه الإشكالية البحثية موضوع أطروحة دكتوراه في تخصص أنثروبولوجيا الفضاءات الحضرية، وبالتالي تعود أهميته المعرفية في أنه الموضوع المقدم كبحث أنثروبولوجي، حيث يسعى كأي دراسة أنثروبولوجية إلى تقديم تفسير وتحليل تصورات أفراد المجتمع تُجاه التغيرات الحاصلة، وما تُحدثه من تغيرات على مستوى بناء ثقافي واجتماعي، نرصد من خلاله الأبعاد القيمية في هندسة المسكن التقليدي والمعاصر، وذلك باتباع المنهجية الأنثروبولوجية والاقتراب من الموضوع اقترابا جيدا من الناحية المعرفية والمنهجية.

3–2 أهداف الدراسة :

تتمثل أهداف الدراسة في:

– تقديم فهم أعمق حول التحولات القيمية التي يعرفها مجتمع قمار، كجزء من المجتمع الصحراوي وتأثيرها على الفضاء السكني كأحد أهم الفضاءات التي تعد مسرحاً للخطاب القيمي للساكن.

– معرفة الخصائص الثقافية والاجتماعية لمجتمع قمار، من خلال البحث الأنثروبولوجي والبحث في المعاني ورموز السكن، من أجل فهم جيد لبعض السلوكيات والممارسات في المجال السكني.

– تتبع كرونولوجيا المسكن الصحراوي من شكله التقليدي إلى المعاصر الحالي الدال على التحولات البنيوية، لمجتمع الصحراء التي لها أبعاد ثقافية وحضارية متجذرة، وأثرت عليها الحضرية على المدينة في أبسط ممارسات أفرادها في حياتهم اليومية، فمن خلال المسكن والقراءة الأنثروبولوجية له نفهم أهم القواعد القيمية للمجتمع، سواءًا التي لازالت في شكلها الوظيفي أو نمطها الرمزي الدال على الهوية والانتماء الثقافي لمنطقة قمار على وجه الخصوص.

4– مفاهيم الدراسة : تعد مرحلة تحديد مفاهيم الدراسة من أبرز المحطات المعرفية التي يتخذها الباحث في موضوع دراسته من اجل إرساء القواعد المنهجية والمعرفية الصحيحة في دراسته وفي دراستنا هذه نركز على أهم المفاهيم وهي كالتالي :

1.4 القيم:

تناولت المعاجم مفهوما للفعل" **قيم**"، وما حوله من معاني وكلمات نأخذ منها القيمة، فهي اشتقاق لفعل ثلاثي" **قوم**" والقيم جمع قيمة، وقيمة الشيء ما يقوم الشيء به والقيم هي مقياس كل الأشياء المادية، وكل حكم على ما هو معنوي[1]،" قيمة الشيء قدره وقيمة المتاع ثمنه، فيقال ما لفلان قيمة أي ما له ثبات أو دوام على الأمر"[2]، بمعنى أن القيمة دلالة على دوام الفعل وعدم تبديل الحال".

يعرفها كذلك **جميل صليبا** في معجمه الفلسفي "وقيمة الشيء من الناحية الذاتية هي الصفة التي تجعل ذلك الشيء مطلوبا ومرغوبا فيه، عند شخص أو جماعة معينة وذلك لاعتبارات اقتصادية، سيكولوجية، ثقافية"[3]، من العلماء من فرقوا بين القيم الاعتبارية وأخرى حقيقية[4] فالقيم الحقيقية مبنية على المنفعة كالطعام وقيمة الأرض، والمسكن والقيم الاعتبارية مبنية على الثقة كالائتمان والقيمة النقدية كالمال.

[1] مصطفى شربال، "مفهوم القيم في الفلسفة والعلوم"، في : **مجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات**، المجلد 04، العدد 04، 2021، ص520.

[2] مصطفى شربال ، المرجع السابق، ص 520.

[3] جميل صليبا، " **المعجم الفلسفي**"، ج2، دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت، 1982، ص 212.

[4] المرجع نفسه، ص 213.

في موسوعة علم الإنسان: "يعتبر **كلاكهون** من أوائل الباحثين في مجال الانثروبولوجيا ومن أبرز المساهمين في مفهوم **القيمة** التي يُعرفها "تصور ضمني أو صريح، خاص بفرد أو مميز لجماعة عما هو مرغوب، يؤثر على الاختيار من بين البدائل المطروحة من أنماط ووسائل وغايات الفعل"[1].

في القواميس الانجليزية تعرف كلمة قيمة "**(Value)**" مشتق من الفعل اللاتيني "**(Valeo)**" الذي يحمل دلالة القوة "[2]، والتمتع بالقوة الجيدة والشجاعة والصلابة، وفي معانٍ أخرى تدل على بلوغ الغاية والهدف.

ب-التعريف الاصطلاحي:

تعددت التعريفات الاصطلاحية لمفهوم "**القيمة**" على حسب الاتجاهات الفكرية للباحثين والمفكرين على اختلاف اتجاهاتهم المعرفية والمنهجية، وهذا ما نراه من خلال التعاريف المختلفة للباحثين في تخصصات عدة منها: الاقتصاد وعلم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، وتخصصات مختلفة.

من الباحثين الذين اهتموا بالمنهج القيمي "**عبد الرحمن عزي**" حيث " يعتبر أن دراسة القيم هي الدليل الأقوى في فهم الثقافة، فالبعد القيمي يسعى إلى تأطير الوضع من خلال الخيال فهو يدرس ما هو كائن بناء على ما ينبغي أن يكون فالأصل هو الثقافة"[3].

يعرف **روشيه القيم** على أنها "طريقة في الوجود أو في السلوك يعترف بها شخص أو جماعة على أنه مثال يحتذى به، وتجعل هذه الطريقة من التصرفات أو من الأفراد الذين تنسب إليهم أمرا مرغوبا فيه أو شأنا مقدرا خير تقدير"[4]، فالقيم هي مرجع لتصرفات الفرد داخل الجماعة، فهو من صنعها وعليها يتوجه سلوك الفرد والحكم على تصرفاته، الشق المرغوب فيه أو العكس.

يعرفها **حليم بركات** القيم بأنها "المعتقدات حول الأمور والغايات وأشكال السلوك المفضلة لدى الناس، توجهه مشاعرهم وتفكيرهم، ومواقفهم، وتصرفاتهم واختياراتهم وتنظم علاقاتهم بالواقع والمؤسسات

---

[1] شارلوت سيمور سميث، "**موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية** "، تر: محمد الجوهري، ط 2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009، ص 439.

[2] مصطفى شربال، المرجع السابق، ص 521.

[3] هشام المكي، **سؤال القيم بصيغ متعددة نماذج في العلوم الاجتماعية والإعلام والتربية والفن والثقافة**، مركز نماء للبحوث والدراسات، القاهرة، 2015، ص 23.

[4] غي روشيه، " **مدخل إلى علم اجتماع العام** "، تر: مصطفى دندشلي، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1983، ص 88.

والآخرين أنفسهم وبالزمان والمكان، وتسوغ مواقفهم، وتحدد هويتهم ومعنى وجودهم تتصل بنوع من السلوك المفضل وبمعنى الوجود وغاياته."[1]

ج- مفهوم المرجعية القيمية إجرائيا:

هي مجموعة من القواعد والقوانين التي تعدّ مرجعا ثقافيا، يحدد الفرد نوعية السلوك سواء المقبول منه أو غير المقبول، كما تكون على مستوى الفكر والتصور الثقافي للفرد، وتترجم هذه القيمة كونها جزء لامادي من حياة الفرد، كما يمكنها أن تتجسد في جزء مادي، يتمثل في الجانب الثقافي للجماعة أو الفرد، حاملة تصوراته واتجاهات تفكيره، مثل اللباس وعمارة المسكن، التي تظهر فيه القيم كجزء من النسق الثقافي، المستمد من العامل الديني أو من عرف الجماعة وعاداتها الاجتماعية، على أن تكون القاعدة الأساسية للبنية الاجتماعية في ثقافة ما.

4-2 المسكن:

أ-لغة:

من الناحية اللغوية مشتقة من الفعل "**سكن**": والسُّكُونُ: ضد الحركة، سَكن الشيء يَسكن سكونا إذا ذهبت حركته، وأسكنه هو سكنه غيره تسكينا، وكل ما هدأ فقد سكن كالريح والحر والبرد ونحو ذلك، ومعنى سكن: سكت، ويأتي بمعنى البيت والمنزل.

ب-اصطلاحا:

المسكن هو البيت، المنزل، الدار وذكر المنزل في مواضع بمعانٍ مختلفة، فذكر في القرءان الكريم أن السكن جل ما سكنه الإنسان والحيوان، جاء **في سورة النحل من الآية 80** قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾.[2]

المعنى العام للمسكن هو بناء ذا طبيعة حضرية أو ريفية أو طابع صحراوي كالخيمة، وكلٌّ على حَسَبِ اختلاف المواد المستخدمة في نسيجها؛ سواء صوف أو وبر أو غيرها.

يحمل مفهوم السكن دلالة السكينة والهدوء والراحة النفسية، ويمثل كلّ مشغل أو محل يدخله الإنسان قصد السكن.

---

[1] حسان تريكي، مرجع سابق، ص،233.

[2] قرءان كريم، سورة النحل، آية: 80.

في اللغة الفرنسية نجد كلمة سكن **Habitare** المشتقة من الكلمة اللاتينية **Habiter–loge** التي تحمل عدّة معانٍ منها، سكن البيت والعيش فيه، إشغال المكان للسكن، واحتلال المكان للإنسان.

–المعجم الفلسفي:

يعرف "**جميل صليبا**" المسكن على أنّه " الموضع أو المحل، وجمعه امكنة، وهو المحل المحدد الذي يشغله الجسم" [1].

يُعرّف **المسكن** بـ" الحيز المكاني الذي تأوي إليه الأسرة وتمارس فيه تفاعلاتها وفق العادات والتقاليد، فهو بالنسبة لهم مكان له أهمية نفسية، ثقافية، اقتصادية واجتماعية يتميز بخصوصية تحفظ أفراد الأسرة بما يتناسب وطريقة عيشهم داخل المسكن، فهو مصمم لتلبية حاجياتهم المتنوعة باعتباره الفضاء الخاص بالنسبة لأفرادها"[2].

تُعرّف **الباحثة** "**رجاء مكي طبارة**" المسكن: "على أنه مؤسسة وظاهرة ثقافية، وهو مكان مزاولة الطقوس الدينية، وهو مجال عبور الفعل ومجال وسيط بين حياة الاجتماعية والجنسية للفرد"[3]، ويسمح بتغييرها وتنظيمها، فالمسكن عنصر دينامي تؤثر عليه التحوّلات المجتمعية، له الطابع الجمالي الدال على الفكر والخيال الثقافي للساكن وتمثلاته لحيزه الخاص به، فتتكون مع الوقت ذاكرة الجماعة أو العائلة داخله، وتبقى حاضرة في الزمان والمكان من خلال هندسة عمران المسكن، الدال على الحياة الثقافية والقيم العائلية، فيحصل تناسق بين المسكن التقليدي والذاكرة.

ج–المعاصرة في العمارة:

يُعنَى بها؛ مسايرة وملائمة الأعمال المعمارية للظروف العامة والإمكانات السائدة، على أن تعبّر عن المستوى الثقافي والفكري والحضاري للمجتمع الذي اتبعها، دون إغفال مجموعة القيم التي ينتمي إليها، فكلما كان العمران معبِّرًا عن الهوية، حاز على تقدّمه الفكري والثقافي[4]، مكوّنا بهذا امتيازاً لمجتمعه وأفراده، فتغدو العمارة كمنتج ثقافي بروح العصر، والثقافة العصرية لتخاطب الظرف الحالي وتواكب التطور الاجتماعي.

---

[1] جميل صليبا، مرجع سابق، ص 412.

[2] عطية قصي، "**بنية الأسرة وتحولات السكن والتساكن في الفضاء الحضري الصحراوي الجزائري دراسة أنثروبولوجية في مدينة ورقلة**، أطروحة دكتوراه في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، جامعة ورقلة، 2020/2019، ص 40.

[3] رجاء مكي طبارة، مرجع سابق، ص 97.

[4] محمود وحيد محمود صيدم، "**إحياء القيم التراثية في العمارة المحلية المعاصرة: حالة دراسية – مدينة غزة** "، مذكرة ماجستير في الهندسة المعمارية، غزة، 1434هـ –2013، ص 3.

د-العمارة التقليدية:

يقصد بها الطابع والهوية المعمارية التي تشترك مع العمارة الإقليمية والإسلامية، بالخصائص والصفات البصرية والتكوين الفراغي والقيم المعمارية والتي يمكن أن نطلق عليها تراثاً عمرانياً واحد"[1]، فالعمارة المحلية لها خاصية الذاكرة الحاضرة في المكان، الحاملة لعادات وتقاليد وفنون المجتمع وفكر معماري تراثي متناغم مع الخصوصية الثقافية والبيئية، معبرة عن الاستمرارية الحضارية للنسق القيمي لثقافة الأفراد.

هـ-المدينة الصحراوية:

-مفهوم المدينة :

لغة:

يرجع أصل الكلمة في اللغة العربية إلى "**مدن**"، ومَدَنَ بالمكان أقام به وجمعها مدائن[2].

إصطلاحا:

يعرفها "ماكس فيبر" على أنّها مستقر مجتمعي، وتحمل المدينة خاصية الحركة الدائمة، وتمركز الأنشطة الاقتصادية بها ومؤسسات الدولة بفروعها الخاصة والعامة، فالمدينة هي مستقر كبير يتوقف على مجال ثقافي معين[3]، ووجود تبادل اقتصادي.

تختلف تعاريف المدينة على اختلاف التخصصات، فهناك من يُعرّفها على أساس الخصائص الديمغرافية أو الخصائص الاقتصادية أو الاجتماعية وحتى الثقافية، فتعرف المدينة بسمات تجعلها مختلفة أبرزها حالة لا تجانس وطغيان الفردانية، وضعف الجانب المقدّس وغلبة الطابع العلماني، والمدينة تمثل حالة الإنسان من خلال أنها مركز للتفاعلات اليومية التي تعرف تسارعا كبيرا وتطورا لحظي لكل ما يدور حوله.

يرى "**برجل E.Burgel** " "المدينة مصطلحا مجرداً، ويعتبرها تجمعا فيزيقيا يتألف من الشواهد الحضرية كالشوارع المنسقة، الطرق المعبدة والمنازل المشيدة، وأماكن التجارة والعبادة"[4].

---

[1] محمود وحيد محمود صيدم، المرجع السابق، ص 4.

[2] ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: **لسان العرب**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص 4160.

[3] رجاء مكي طبارة، مرجع سابق، ص 60.

[4] نورية سوالمية، "المدينة والحضرية في الجزائر: مقاربة نظرية"، في: **مجلة آفاق لعلم الاجتماع**، العدد 15، 2018، ص 102.

يراها " **شومبار دولو Chombart de lauwe"** " إطار مادي وتركيبة اجتماعية ثقافية " أي للمدينة ثقافة لها خصوصية عن باقي أساليب الحياة على الريف أو القرية، فهي ذات طابع حضري في المعاش اليومي لمجتمع ما، ويمكن اعتبار المدينة منطقة ثقافية وظاهرة تعرف تغيرات على مستويات عدّة، وجب الكشف عنها من خلال الدراسة الأنثروبولوجية واستخدام التقنيات للدراسة الحقلية في مجتمع متحضر له أبعاده الثقافية الحضرية وتزاحم حضاري كبير نظرا لتعدد الأقليات في المدينة، الذي ينعكس على الثقافة المركزية للسكان، ومع الثقافات الوافدة تحصل نماذج وسمات ثقافية لها طابع وهوية مختلفة.

-المدينة الصحراوية:

هناك إشكالية حول تحديد المفهوم للمدينة الصحراوية، هل تعني المدن بالصحراء أم مدينة صحراوية، وتعود نشأة المدن الصحراوية إلى عدة عوامل متداخلة سواء التاريخية أو الاقتصادية، من خلال القوافل والتبادلات التجارية، أو العوامل الاجتماعية والثقافية من خلال الهجرة أو نزوح أقليات مختلفة، ساهمت في التنوع البشري للمدن.

وُتعرّف أيضا أنها "تلك الأحزمة السكانية والعمرانية المتصفة بأسلوب الحياة الحضرية، وتتواجد في منطقة جغرافية لها حدودها الإدارية المعلومة، والتي تعرف بأنّها ديناميكية في تحولها العمراني، وذلك من خلال تشكل وإعادة تشكل بنية ووظيفة المجالات العمرانية المتواجدة، ويتم ذلك بفعل تدخل الفاعلين في المجال سواء السلطة أو المجتمع المحلي بكل مكوناته، وينتج عن هذا كله ظهور نسق تفاعلي بين الجماعات والأفراد يتميز بالخصوصية"[1].

تعرف المدن الصحراوية حالة من الحضرية، وهو الطابع الغالب على مستويات الحياة الاجتماعية والثقافية لأفرادها، أصبحت حالة المدن الصحراوية وسط فضاء بيئي حضري، حيث عرفت جملة من التغيرات في فضاءاته العمومية والخاصة، ووسائل نقل حديثة وطابع خدماتي مميز، وانفتاح الرؤيا عند الفرد الصحراوي، فأصبحت المدن الصحراوية مسرح لهجرات السكان من الشمال، أي هجرة معاكسة على ما كان يُعرف في الماضي ،نظرا لما يتوافر بها من امتيازات اجتماعية واقتصادية (مدن البترول)، (مدن فلاحية) والتي تعرف بها بعض المدن الصحراوية الجزائرية مثل: ورقلة، وادي سوف، عين صالح، حاسي مسعود وغيرها من المدن الصحراوية ذات الطابع الاقتصادي، الذي يعتبر العامل المحفز أو المحرك للهجرة الداخلية.

[1] داحي اسماعيل، " **تحولات المدينة الصحراوية وإشكاليات الاندماج الاجتماعي والحضري: دراسة ميدانية بمدينة ورقلة"**، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة، ورقلة، 2022/2021. ص27.

الباحث Marc Cote؛ من الباحثين الأجانب الذين درسوا مجموعة من المدن الصحراوية، حيث قام بتقسيمها على حسب الكثافة السكانية إلى ثلاثة مناطق[1]:

-**مدن كبيرة الحجم:** وهي المدن التي يتجاوز عدد سكانها 100000 ألف نسمة، وتمثل مقر الولاية وعاصمة جمهورية مصغرة، تتوفر على التجهيزات الخدماتية الأساسية للمواطن، وهي سبع مدن: بشار، الأغواط، ورقلة، بسكرة، تقرت، الوادي.

-**مدن متوسطة الحجم:** عدد سكانها 20000 إلى 35000 ألف ساكن، وتمثل كل من: قورارة، المنيعة، تمنراست، أدرار.

-**مدن ذات تجمعات صغيرة:** تشكل المدن الصغيرة، وتتكون من 3000 إلى 15000 ساكن، وهي مدن ناتجة عن النزوح الريفي الحضري وتشهد زيادات ديمغرافية.

5- المقاربات النظرية للدراسة:

-المقاربات الأنثروبولوجية للمسكن :

تناولت الأنثروبولوجيا موضوع المسكن على عكس تخصصات معرفية أخرى، فهو يمثل الشق الثقافي المادي، الذي يعدّ الوعاء الحافظ لثقافة الجماعات، وتركز هذه الدراسات على جوانب مختلفة أبرزها: الخلفيات الثقافية التي تأخذ بعين الاعتبار المحددات الثقافية كمحدد أساسي في هندسة المدن والمساكن (أنثروبولوجيا المنزل)، فهو يعتبر واقعة أنثروبولوجية تعرف تحوّلات عديدة، تعبر عن تغيرات على مستوى البناء الثقافي والاجتماعي، وقد بين "**ما رسال موس**" في كتابه **Manuel d' ethnologie** أهم الجوانب التي وجب على الأثنولوجي التوقف عندها في دراسته للمسكن، تمثلت في المواد المستخدمة في البناء، وشكل البناء والأثاث المستعمل، والطقوس والممارسات التي تمارس من طرف الساكن كطقوس استرضائية في البناء، فكل هذه الجوانب تعكس الجانب والبعد الأنثروبولوجي للمسكن، فهو ليس بناء مادي فقط، بل مسرح من الرموز والخطابات للعمارة المسكن، فكل تفصيل عمراني داخل المسكن يحمل في ضمنه الكامن قيمة وعادة وتصور ثقافي .

الثقافة هي استجابة لنمط معين، وهذا النمط نابع من الاختيارات الثقافية للأفراد بما يتناسب وحاجاتها الأساسية لها، فكل ثقافة منسجمة مع الأهداف التي سطرت لأجلها، فالمسكن هو عنصر ثقافي أو إنتاج معماري ذو مرجعية قيمية يخلق أو يعبر عن وظيفية ،ويحقق حاجات أساسية ضمن حاجيات الأفراد وهي الراحة، الإنجاب، والأكل وغيرها، فهو عنصر ثقافي يلبي الحاجة ، وهذا ما ذهب إليه

[1] Marc cote, "**Dynamique urbaine au Sahara"**, Insaniyat, No 5, Mai-aout 1998, P85

"**مالينوفسكي Malinowski Bronislaw**" أحد أعمدة المدرسة البريطانية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، التي مفادها أنّ كل عنصرٍ ثقافيٍ وجد في إطار تلبية حاجيات الأفراد، وكل ضرورة إنسانية وجدت لأجلها مؤسسة تلبي حاجاتها وتضمن استمراريتها (الأسرة، النظام السياسي،..) وكلّ عنصر من النسق له دور ووظيفة ضمن النسق العام للبناء، ليحقق نوع من التوزان والانسجام ويضمن استمراريته.

يعد الاتجاه الوظيفي ضمن الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية، التي تهتم بدراسة النظم الاجتماعية، فكلّ عنصر مكوّن للنظام في تجانس وتماسك مع باقي العناصر الأخرى، مكوّنا نسق من الأنساق التي تحقق للفرد ضمن ثقافته حاجياته الأساسية لتلبيتها، وتعمل على إشباعها فكلّ عنصر ثقافي له دور ضمن النسق الكلي، ويظهر كاستجابة لحاجة ما، وعليه طرحت عدة تساؤلات، لماذا يوجد هذا العنصر الثقافي؟ وماهي المهام التي يقوم بها أو الدور الذي يجعله عنصرًا مهما لأفراد الجماعة؟.

فالمسكن؛ يمثل عنصر ثقافي ومنتوج مادي، ينتجه الفرد ليحقق حاجته للحماية والمأوى، بالإضافة إلى تحقيق الحاجات النفسية من راحة..، ويأخذ المسكن قيمة اجتماعية لدى الأفراد، فكل عنصر من عناصره المعمارية له شكله الهندسي بما يتوافق مع الوظيفة التي يتماشى معها، وفق قيم ومعايير اجتماعية، مثل: الفناء الذي له دور في توسيع الهواء، وتغير درجة الحرارة داخل الغرف المقابلة له ، وعليه فكلّ معالجة عمرانية ضمن المسكن التقليدي له وظيفة يؤديها ضمن الثقافة الشعبية للجماعة، "فأي عنصر مهما كان بسيطا أو معقدا، لن يأخذ هويته الثقافية ما لم نضعه ضمن سياقه الثقافي وأظهرنا كيفية أدائه لوظيفيته" .[1]

تقوم النظرية الوظيفية ضمن تفسيرها للثقافة، على مجموعة من القضايا الأساسية من أهمها:"[2]

-أنّ هناك مجموعة من الاحتياجات الأساسية للبشر، كالطعام والإنجاب والارتباط بالمقدس والحماية.

-أنّ الدوافع الإنسانية تنقسم إلى قسمين: قسم فيسيولوجي ودوافع نابعة من الجانب الثقافي الذي يظهر نتيجة استجابة للتفاعل الاجتماعي.

-يعيش الإنسان داخل أنساق اجتماعية ثقافية، تختلف أحجامها وأساليب التنظيم داخلها باختلاف القوة والتأثير، اللّتين تمارسهما داخل هذه الأنساق الاجتماعية باختلاف الخلفيات الثقافية للمجتمعات.

---

[1] فتيحة ابراهيم، مصطفى محمد الشنواني، مرجع سابق، ص، 115.

[2] نبيل محمد توفيق السمالوطي، **" الدين والبناء الاجتماعي –الجزء الاول – "** دار الشروق للطبع والنشر، ط 01، المملكة العربية السعودية، 1981، ص، 39.

-إشباع أعضاء النسق لحاجاتهم البيولوجية بشكل منظم ثقافيا، تتبعه واجبات على الأعضاء القيام بها اتجاه النسق.

-يلبي المسكن عدة حاجيات ووظائف، تضمن للفرد الأمن والحماية والحفاظ على حياته، ضمن حيّز ينتجه وفق قالب أو إطار ثقافي، يلبي له ما يحتاجه في حياته اليومية وفضاء مقدس، له الأهمية الثقافية والاجتماعية للأسرة والساكن، والاقتصادية كمؤشر على المكانة والمراتب الاجتماعي.

6-الدراسات السابقة:

في سعي منا لتحديد طبيعة الإطار النظري والميداني للدراسة، ولجعل موضع الدراسة المرجعية القيمية في هندسة عمران المدينة الصحراوية التقليدية والمعاصرة، موضع بحثٍ وتحليلٍ، من ما استدعى من الناحية المنهجية الاطلاع على بعض الدراسات السابقة والبحوث، التي عالجت موضوع المرجعية القيمية لهندسة عمران المسكن التقليدي والمعاصر ،من اتجاهات عديدة ومواضع في ثقافات وعوالم أخرى، والتي يمكن عرضها كما يلي:

6-1 الدراسات الأجنبية:

- **دراسة :**

Pour une Anthropologie de la maison collection Aspect de l' Urbanisme Amos Rapoport[1]

انطلق الباحث في كتابه من فرضية أساسية، ما يجعلها عاملا أساسيا في تشكل وبناء المساكن عبر عوالم عديدة، وهذا العامل هو العامل الثقافي والاجتماعي، الذي يعدّ أساسي في كيفية البناء وتشكل المساكن ، حيث انتقد تلك النظريات التي فسرت واستقرت على عامل دون غيره، وخلاصة تلك النظريات التي أَوْلَت للظروف الطبيعية والمناخية في تشكل المساكن الأولية على غرار تفسيرات أخرى، قام الباحث بدراسة مختلف المساكن حول العالم من خلال عملية تصنيفية استخرج العوامل الموجودة ،التي تجعل من المسكن بناء ثقافي بالدرجة الأولى، ومن أبرز تلك المدن نيودلهي القديمة والجديدة، ومدينة فاس، ومراكش القديمة والجديدة، ومدن في أمريكا اللاتينية، حيث يعرّف المسكن بأنّه عبارة عن مؤسسة ثقافية ، كما يعد بناء المساكن ظاهرة ثقافية، فهو ليس نابع من احتياجات فردية ،وإنما تعبر تلك المساكن من خلال

[1]Amos Rapoport, "**Pour une Anthropologie de la maison collection Aspect de l'Urbanisme**", Dunod, paris, 1972.

دراسة ميدانية لمختلف الأنماط العمرانية من ثقافات مختلفة مثل الرباط والهند وبعض الدول من آسيا لفهم تلك المحددات الأولية التي يضعها الفرد في اعتباره في هندسة مجاله السكني، وركز على المحددات السيوسيوثقافية كأهم محدد في هندسة المجال السكني وتنظيمه داخليا.

هندستها عن احتياجات جماعية وعن ثقافة المجتمع ككل، وهذا ما يجعل لها قيمة رمزية تترجم عن طريقها الثقافة، وتظهر طبيعتها الرمزية لمجتمع دون غيره.

يتألف الكتاب من ستة فصول، كل فصل يعبر عن عامل من العوامل المتحكمة في بناء المسكن، ومن خلال جمعه للوثائق من مختلف الثقافات وما كتب عنها ،استطاع تصنيف مجموعة من المساكن والمنازل لمجتمعات مختلفة عبر قارات مختلفة، الجزء الأول حدد فيه طبيعة الموضوع وخصوصيته عن باقي الاسهامات النظرية الأخرى، والفصل الثاني حدد فيه النظريات المختلفة حول شكل المسكن من وجهة نظر مادية حتمية، أمّا الفصل الثالث يحتوي على العوامل الاجتماعية والثقافية حول شكل المنزل، حيث قدّم فيه نظرية أساسية حول مدى ودور تلك العوامل السوسيو ثقافية في شكل وبناء المسكن.

في الفصل الرابع تطرق فيه على عامل المناخ كعامل معدل في إنشاء المساكن، وأن البناء هو عملية استجابة لظروف مناخية، وهذا يتضح جليا من مواد البناء والتقنيات المستخدمة في إنشاء المساكن، في حين أنّ الفصل الخامس نجده قد تناول فيه مواد البناء التي يعتبرها عامل معدّل، له دور في إنشاء المساكن والمنازل في ثقافات مختلفة، والفصل السادس والأخير تطرق فيه إلى ثقافة البناء في المجتمع الغربي والوضعية الحالية التي تعرفها عمارة المنازل الغربية والدول النامية.

- **دراسة :**

-Pierre Bourdieu La maison Kabyle ou le monde renversé

عالج "**بيار بورديو**" المنزل القبائلي باعتباره نسقا رمزيا متبعا في ذلك المنهج البنيوي، من خلال تحليله للمنزل، حيث وصف كل أركانه ووحداته العمرانية، وأعطاه بعدا رمزيا للبعد الطقوسي والأسطوري في بناءه، فبعض العناصر الثقافية لها قيمة في مجتمع القبائل داخل المنزل، مثل: المنسج الذي يرمز إلى شرف البنت وله قيمة رمزية، والموقد أيضا له دلالة على الشق الأنثوي في المسكن، فالفضاء والتنظيم الداخلي للمسكن؛ هو فضاء نسوي وعالم أنثوي له ارتباط بالطقوس والعادات للفتاة العزباء والمرأة وشرفها وحفظ حرمة الرجل، الفضاء الخارجي هو فضاء رجولي وفضاء عمل للرجل، كما أشار بأنّ العتبة لها رمزيتها ومنها ينقسم المنزل إلى عالمين: (أنثوي /ذكوري)، كذلك إلى (نور/ظلام) (أسفل/أدنى)، (يمين /شمال)، (شرق/غرب)، هذه المقابلات تكون سلبية أو إيجابية على حسب تصور الفرد، فهي دلالة رمزية على بعد ثقافي يراعيه المجتمع القبائلي، سواء في تنظيمه الداخلي لمنزله أو يحدد له سلوكياته اليومية والجوانب الحياتية والدينية، فالمنزل القبائلي هو حيز غني بالرموز الثقافية ،فكل تفاصيله

عبارة عن قيمة أو رمزية أو يحكي عن طقس متجذر في مجتمع القبائل، ما يجعلنا نفهم أن "**بيار بورديو**" حلل الخطاب العمراني للمنزل القبائلي من خلال تحليله البنيوي لفهم ثقافة مجتمع القبائل.

2-6 الدراسات العربية :

- **دراسة :**

النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة سوف من القرن العاشر الى الثالث عشر هجري القرن السادس عشر الى التاسع عشر ميلادي: دراسة أثرية ومعمارية[1]

عبد العزيز حسونة

عالج الباحث إشكالية العوامل المتحكمة في التطور العمراني لمدينة قمار، ومدى تأثير العوامل المناخية على النمط العمراني لها، وهل تخطيط المدينة هو استجابة للقيم الإسلامية، حيث قدّم الدراسة من وجهة نظر أثرية عمرانية للمنطقة، ومختلف أجزاءها العمرانية من أحياء شعبية، والعوامل المتحكمة في تخطيها ضمن النسيج العام للمدينة وأهم الرموز العمرانية للمدينة على اختلاف أنماطها.

استعان الباحث بالمنهج التاريخي، حيث قدّم وصفا شاملا لعمارة المدينة من القرن السادس عشر إلى التاسع عشر، مبرزا ثقافة مجتمع مدينة قمار سواء من الجانب المادي المتمثل في: المسكن ومختلف وحداته العمرانية، وبعض العناصر الوظيفية أو الجوانب غير المادية المتمثلة في الأساطير.

ومن أهم النتائج التي وصلت إليها الدراسة، أن هناك عاملين أساسين في ظهور العمران لمدنية قمار، فالعامل الأول يتمثل في ظهور الغيطان أي زراعة النخيل في غابات الغيطان، وحفر الآبار فيها من ما ساهم في تطورها التجاري والاقتصادي، حيث كانت النخيل تحيط بكل المدينة، ونمو حركتها التجارية عبر عبور القوافل، والدور المحوري للنخيل في خلق مناخ مناسب للعيش والإعمار، و أمّا العامل الثاني عامل ديني ويتمثل في بناء الزاوية التيجانية نهاية 12هـ/18م، فصارت قبلة للزائرين من كلّ الأماكن وعلى اختلاف الثقافات المحلية، من ما جعلها تساهم في تطورها من الناحية العمرانية وتوسع المدينة على الأطراف، ومثل السكن فيها مثال للسكن ذو الهندسة البسيطة، ولكن على الرغم من بساطتها إلاّ أنّها تتوفر على عدد من المرافق، التي توفر للساكن الوظائف المختلفة في حياته اليومية.

[1] عبد العزيز حسونة، "**النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة سوف من القرن العاشر إلى الثالث عشر هجري القرن السادس عشر الى التاسع عشر ميلادي: دراسة أثرية ومعمارية**"، مذكرة الماجستير في تخصص الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 2، 2009-2010.

- **دراسة :**

الوظائف الاجتماعية للمسكن التقليدي في المدينة الصحراوية –دراسة ميدانية بمدينة تقرت –قصر الزاوية العابدية نموذجا– دراسة دكتوراه 2016–2017.[1]

نوال بلغليفي

تتمحور الإشكالية الأساسية للدراسة حول عوامل تغير وظائف المسكن التقليدي في المدينة الصحراوية، وأهم الجوانب التي مسها هذا التغير خاصة في الهندسة الفيزيقية للمسكن التقليدي، وأثره على وظائفه الاجتماعية والثقافية بمدينة تقرت، حي زاوية العابدية وظهور مساكن معاصرة لا تتناسب وظيفيا مع النمط المعاش للفرد الصحراوي، وعوامل التغير في وظائف المسكن التقليدي، وكيف أن هذه التغيرات انعكست على الحياة اليومية للفرد الساكن والأسباب الكامنة وراء التغيرات العمرانية للمسكن التقليدي.

طرحت الباحثة قضيتين في شكل أسئلة فرعية تتمحور حولها الإجابة على جزئيات بحثية:

– هل تغير وظائف المسكن التقليدي مرتبط بتغير انظمة التخطيط؟

– هل التغيرات الحاصلة في المسكن التقليدي هي نتيجة الحاجات الاجتماعية والثقافية المستحدثة لمستعمليه؟

– ماهي التغيرات الحاصلة في الجانب العمراني ومكونات المسكن التقليدي؟

هدفت الباحثة من دراستها، إلى تحديد عوامل التغيرات التي أثرت على وظائف المسكن التقليدي في المدينة الصحراوية، ومعرفة الخصائص الاجتماعية والثقافية لمدينة تقرت، والبحث في تحولاتها العمرانية وتقديم اقتراحات من خلال الدراسة الميدانية حول المسكن الصحراوي، وأهم تغيراته المعمارية وتأثيرها على الهيكلة الاجتماعية للمدينة ، اتبعت الباحثة من خلال دراستها المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف مكونات المسكن التقليدي والحديث، ورصد أهم التغيرات المعمارية التي طرأت عليه، وعقد المقارنة بينهما حيث تمت الدراسة الميدانية في بلدية الزاوية العابدية.

ركزت في دراستها على حي الزاوية، ويطلق عليه حديثا اسم "**حي عجاجة**"، اختارت عينة بحثها في حدود 264 مسكنا مستعملا، عمدت الباحثة إلى استخدام جملة من الأدوات البحثية المتمثلة في الملاحظة والمقابلة والاستمارة، الملاحظة استخدمتها خلال الزيارات الميدانية لمجال البحث، وأخذ فكرة عن المجال المدروس، وملاحظة طريقة عيش السكان داخل الفضاء السكني التقليدي والمعاصر، كما أنها

[1] نوال بلغليفي، "**الوظائف الاجتماعية للمسكن التقليدي في المدينة الصحراوية –دراسة ميدانية بمدينة تقرت –قصر الزاوية العابدية نموذجا**"، أطروحة دكتوراه في العلوم، تخصص التخطيط الحضري، جامعة قسنطينة، 2016–2017.

ساعدتها في تحديد عينة الدراسة، بالنسبة إلى أداة المقابلة تمت بين 2014 الى 2016 بنوعيها الحرة والمقننة واشتملت على استمارة مقسمة على خمس محاور موزعة على 42 سؤال .

وصلت الباحثة إلى جملة من النتائج من خلال الدراسة الميدانية والتحاليل المنهجية نذكر أبرزها:

-يعد المسكن الحالي بالنسبة لأفراد مجتمع البحث مكانا يحقق لهم درجة عالية من الخصوصية، حيث جاء ليتوافق مع حاجياتهم الثقافية والاجتماعية المستحدثة، وذلك من خلال تخصيصه لاستعمالات تتماشى وطبيعة الحياة الاجتماعية الجديدة.

-تحدث من حين إلى آخر بعض التغيرات في الجانب الفيزيقي للمسكن، نتيجة ما يفرضه التخطيط العمراني عن طريق قوانين البناء والتعمير؛ كتزويد المسكن بالغاز والكهرباء ومختلف الخدمات والمرافق الحديثة، التي تتطلب تصاميم ومواد تتماشى مع ذلك.

-من العوامل التي ساعدت على تغير وظائف واستعمالات المسكن التقليدي بمجال البحث، هو ما طرأ من تغيرات على الحياة الاجتماعية للسكان خاصة من الجوانب المهنية، حيث أصبح أغلبهم يمارسون نشاطات جديدة، كموظفين في المؤسسات، وبالتالي تخليهم عن نشاطهم الفلاحي مما أثر على استعمالاتهم للمسكن وفضاءاته الداخلية.

-مظاهر التغير في المجتمع التقليدي وخاصة في الجانب المادي، لكنها ليست سريعة بل متدرجة، كما أنها ليست شاملة لارتباطها بالوضع الاقتصادي ودرجة الاتصال بالمدينة .... فالقديم يعيش جنبا إلى جنب مع الجديد، وذلك لتوظيف عناصر المسكن لاستعمالات مختلفة.

6-3-أوجه الاستفادة من الدراسة السابقة:

ما تم عرضه من دراسات سابقة، على اختلاف لغاتها ومقاربتها في دراسة موضوع المسكن، من جوانب سواء سوسيولوجية أو أنثروبولوجية، يعطينا مساحة أكبر لتحليل وتفسير المرجعيات القيمية في هندسة عمران المسكن الصحراوي التقليدي، باعتباره نسق من الأنساق المكونة لمجتمع مدينة قمار، وهذه الدراسات تخدم أهداف الدراسة التي لها علاقة مباشرة بالإطار النظري، وتتسم هذه الدراسات بالطابع الميداني لمجتمعات مختلفة في أزمنة مختلفة.

الدراسة الأثرية المعمارية للباحث المحلي "**عبد العزيز حسونة**"، من أهم الدراسات التي تمت الاستعانة بها، حيث تعد من الدراسات الأولى التي هدفت إلى تقديم وإبراز العمارة الخاصة بمدينة قمار، خاصة الشق التقليدي الذي كان بمثابة مرشد في الجانب الميداني، وزودتنا الدراسة بالمعارف الأولية حول المدينة من الناحية التاريخية، لكن دراسته درست الجانب التقليدي للعمارة لمدينة قمار، أي تاريخ العمارة

ومختلف العناصر المشكلة للنسيج الحضري للمدينة، سواء من أحياء وشوارع، التي لعبت دورا في تأسيس المدينة.

وهذا ما جعلنا نتساءل حول الاختلاف بين ذلك النمط العمراني الصحراوي لمدينة قمار والتغير الحاصل، وأيّ سبب جعل المدينة تتغير من نمطها التقليدي إلى المعاصر، فالتغير الذي حصل على المستوى العمراني للمدينة هو انعكاس لتغير في بنية المجتمع ككل، من قيمه وعاداته وأسلوب معاشه فتغير شكل الحي أو هندسته أو تسميته، وكذا المسكن تغير في مواد بناءه وشكله وهندسته كل ذلك له تأثير مباشر على عمارة المسكن بمجتمع مدينة قمار.

من هنا انطلقنا في بلورة موضوع دراستنا، من خلال معرفة تلك المحددات القيمية التي حددت لنا الهندسة العمرانية التقليدية، والتحولات التي مست الجانب القيمي، وما هو الشق الثابت الذي حافظ عليه المجتمع وما يزال متمسكا به؟ والشق الذي مسه التغير، وأهم نتائج ذلك التغير القيمي الذي له علاقة مباشرة بهندسة عمران المسكن الصحراوي بمجتمع مدينة قمار.

من خلال دراسة "**بيار بورديو**"، التي تمّ فيها مقاربة السكن بنيويا واعتباره مكوّنا مهمّا في ثقافة المجتمع، فثقافة المجتمع القبائلي لا تختلف كثيراً عن ثقافة مجتمع مدينة قمار، من ناحية اعتبار المسكن أنه عنصر ثقافي، تتحكم فيه العوامل الثقافية في تنظيمه الداخلي، وأنه عبارة عن متقابلات (فضاء نسوي) (طبيعة، ثقافة)، وإن من أبرز القيم الرجعية؛ قيم الحرمة وستر المرأة من بين التصورات التي تتحكم في بناء المسكن وهندسته الداخلية. فالقراءة الأنثروبولوجية "**لبيار بورديو**" للمنزل القبائلي منحتنا مساحة معرفية أكثر للبحث في ثقافة المسكن لمجتمع الدراسة، والبحث عن تلك التفاصيل الثقافية، والتركيز على الحرمة كمقيمة لها العلاقة المباشرة على هندسة عمران المنزل، فدراسته ثرية جدا بالمعطيات الثقافية، سواء الطقوس أو العادات الاجتماعية لمجتمع القبائل.

دراسة "**أموس رابوبورت**" تتماشى مع الهدف العام للدراسة، وهو أن العوامل الثقافية الأولوية فيها القيم المحددة لهندسة المسكن على اختلاف الثقافات، وتأتي المحددات الأخرى كعوامل معدّلة في هندسة المسكن كالعوامل الطبيعية والاقتصادية، أمّا دراسة الباحثة "**نوال بغليلي**" والتي وضحت لنا المسار النظري وبناء المفاهيم المناسبة لموضوع الدراسة، خاصة تلك المقاربة النظرية المتحكمة في بناء لدراسة المسكن الصحراوي.

على تنوع الدراسات السابقة التي تم تبينها في إطار الاقتراب المنهجي للدراسة، والمساعدة لنا في بناء الدراسة، إلاّ أن موضوع دراستنا لم تتطرق إليه الدراسات بشكل صريح وواضح، ولم تُقَدَّم عليه دراسة

أنثروبولوجية، وكذا مجتمع قمار لم تتناوله الدراسات والأبحاث كدراسة أنثروبولوجية حقيقية، وهذين السببين يجعلان دراستنا اللبنة الأولى، وحجر الأساس لبناء دراسات أخرى قادمة ومرجع مهم في تقديم مجتمع مدينة قمار بسياقه الثقافي، في ظلّ التحولات المعاصرة تمس المجتمع الصحراوي ككل.

7-الإجراءات المنهجية للدراسة: تعد مرحلة الإجراءات المنهجية كمن المراحل الأساسية في تحديد مسار دراستنا من خلال تبيان الطرق والمناهج والحدود المكانية لمجتمع البحث ومن خلال هذه المرحلة نتطرق الى المناهج المتبعة في الدراسة والحدود المكانية وأهم التقنيات البحثية لدراستنا:

7-1- حدود الدراسة الميدانية :

يتحدد مسار الدراسة الميدانية بثلاثة أركان أساسية، عند تحديدها من طرف الباحث تسهل عليه الدراسة، وكذا يصبح لديه تصور أقرب ويحدد له النواحي المختلفة لدراسته، وإنها من الخطوات الهامة في منهجية البحث، وفي دراستنا الحالية وموضوع بحثنا، قمنا بتحديد مجالات الدراسة والحدود الميدانية لها، وفق ما يتناسب مع الموضوع، حيث تم توزيع تلك الحدود والمجالات على النحو التالي:

7-1-1 المجال المكاني:

انطلاقا من موضوع وميدان الدراسة والإشكالية المطروحة، وفي إطار دراستنا الأنثروبولوجية التي تبحث عن المرجعيات القيمية في هندسة العمران، نجد مدينة قمار مدينة صحراوية تعرف تحولات على مستوى النسيج العمراني، سواء على الأحياء القديمة التي تحمل ذاكرة المدينة، والتي تكونت منها ونمت من خلالها، أو من خلال عماراتها السكنية، التي تعرف تحول على مستوى السيرورة العمرانية، وهذه المعطيات الميدانية، تبرز مدينة قمار كميدان خصب وممتاز للدراسة الأنثروبولوجية، للبحث في التحولات الحاصلة على المستوى القيمي والثقافي، ومن جهة أخرى يعود سبب اختياري لها، انتمائي وإقامتي في مجتمع البحث، مما يسهل علينا عملية التنقل والبحث لموضوع الدراسة.

الصورة رقم (01-01): المكان الجغرافي لمدينة قمار

المصدر: تطبيق Google Earth 2024/07/24

قد خصصنا الفصل الموالي في دراسة مدينة قمار، دراسة مونوغرافية واجتماعية، حيث ترتكز على عدة مراكز حضارية، تظهر فيها التغيرات القيمية التي ترجمتها الهندسة العمرانية للمدينة، سواء في الفضاءات العامة وما تحمله من دلالات سوسيوثقافية، وكذا التغيرات العمرانية لهندسة المساكن على مستوى النسيج الحضري للمدينة ككل. وقد وقع اختيارنا على جملة نقاط مهمة ومركزية (البويبة، حي باب الظهراوي، حي باب الشرقي، الهود، الجبادي – الظهراوية، حي التحرير)، حيث تعتبر أهم المراكز التي تنبع منها المدينة التقليدية، كما عرفت تغيرات في الهندسة العمرانية، وتظهر مدينة قمار بصورة حديثة في الهندسة المجالية للمدينة ككل.

7-1-2 المجال الزماني: تمت دراستنا على مراحل زمنية ومعرفية مختلفة، بأدوات معرفية متعددة لها، والزمن المخصص وفق ما يتناسب مع أهميتها.

- **المرحلة الأولى من الدراسة:**

قمنا بجمع المراجع المختلفة والاطلاع عليها، سواء من كتب أو مقالات، حيث كانت هذه مرحلة تمهيدية لفهم التصور الجدي للموضوع، وفهم أكثر لمتغيرات الدراسة والعلاقة بينهما، ومع القراءات الأولى تم القيام ببعض المقابلات الأولية، لبعضٍ من الأفراد المنتمين للدراسة، وذلك لضبط سير الموضوع وفهم الجوانب المعرفية التي وجب الخوض فيها.

- **المرحلة الثانية من الدراسة :**

بدأ التصور الأولي للدراسة في الوضوح، وبدأنا في مرحلة التحرير وهذا خلال مرحلة التسجيل الثاني، أي أواخر جوان 2023، حيث ضبطنا سؤال الانطلاق، والأسئلة الفرعية، والدراسات السابقة، والمقاربات النظرية للدراسة، وفي ظرف مدة شهرين، بدأنا النزول الفعلي للميدان وتشكيل شبكة من العلاقات مع عدد من الإخبارين العارفين، ولهم مكانة اجتماعية مميزة في المجتمع، كما يملكون مخزون ثقافي زاخر.

- **المرحلة الثالثة من الدراسة :**

تحتوي هذه المرحلة على مرحلتين زمنيتين متقاربتين؛ المرحلة الأولى تتضمن زمنين تم فيهما تحرير جزء كبير من الدراسة وطريقة الخطة، مع إجراء مجموعة من المقابلات وتسجيلها، وعملية تفريغ تلك المقابلات من التسجيل الصوتي، والمُبَاشَرَة بعملية التحليل والتفسير لبعض الجوانب المهمة من الدراسة، وكانت هذه المرحلة نهاية 2023 بداية 2024، وتم التقدم في الدراسة الميدانية بنسبة جيدة.

والمرحلة الثانية تم فيها العودة إلى التحرير في الفصول الميدانية، وتحليل مقابلات والبدأ في عملية التحليل لجملة التقنيات ،سواء المقابلات أو الصور الفوتوغرافية، مع بقاء تواصلنا مع بعض الإخبارين لفهم بعض التفاصيل الثقافية، التي تبرز ثقافة مجتمع قمار، خاصة في ما يخص الشق الثقافي التقليدي للمدينة، لغاية شهر أوت 2024 تم إنهاء الفصول الميدانية، وكذا تحليل المقابلات وتحليل المعطيات وتقسيم التفسيرات والنتائج العلمية حول الدراسة، وقبل الانتهاء من هذه المرحلة قمنا بتعديل وضبط بعض التفاصيل المنهجية ليكون أكثر دقة.

7-1-3 المجال البشري:

يتجلى المجال البشري للدراسة المراد دراسته دراسة أنثروبولوجية، ونظرا لموضوع الدراسة الذي يبحث في النسق القيمي لمجتمع قمار وهندسة عمرانه التقليدي والمعاصر، فإن الاختيار سيقع على مجتمع بحث، يخدم الشق القيمي من خلال البحث في قيمه وعاداته وتقاليده الاجتماعية، من خلال البحث في المخزون الثقافي وفهم الرموز والدلالات الثقافية، حيث تم اجراء المقابلات وفق ما يخدم هذا المتغير من الدراسة مع كبار السن، من خلال سرد تلك الثقافة التقليدية للمدينة، والشق الثاني الخاص بهندسة عمران المدينة، وما يحمله المصطلح من مؤشرات ميدانية سواء مواد البناء أو ثقافة البناء المحلية الشعبية، وكذا الشق المعاصر من البناء والهندسة العمرانية للمدينة، وهذا ما تعبر عنه عمارة المساكن، فكلّ قيمة عمرانية يقابلها بعد ثقافي واجتماعي، وكذا اقتصادي تدل على خصوصية وثقافة مجتمع قمار.

من ما تمّ ذكره سابقا؛ فقد كانت عينة الدراسة عينة قصدية، وهي العينة التي تم اختيارها من طرف الباحث بطريقة مباشرة بعيدة عن الصدفة، لأنه يمثل جزء من مجتمع البحث، ولديه معرفة سابقة وإحاطة واسعة بمفرداته، تم اختبار العديد من العينات ،وهذا راجع إلى خصوصية الموضوع الذي يعالج مجتمع قمار من جوانب عدة، سواء قيمية أو عمرانية تقليدية ومعاصرة، ومعرفة تلك التغيرات التي عرفها المجتمع وأثرت على بنيته ككل، والتي ترجمتها العمارة للمدينة، وفي ظل هذا تم إجراء المقابلات مع **(30 مفردة)** وتمثلت مفردات العينة مثل ما ذكرناه في مفردات المقابلات.

7-2 منهج الدراسة :

7-2-1 المنهج الاثنوجرافي : تنطلق الدراسات الحقلية في ثقافات مختلقة من عملية الوصف لأسلوب حياة المجتمع، انطلاقا من العناصر المادية وللامادية للثقافة، والبحث عن دور الثقافة في هذا المجتمع وكيفية انعكاساتها على حياتهم اليومية، فالمنهج الاثنوجرافي أحد المناهج المعتمدة في البحوث الحقلية الأنثروبولوجية، والذي يقوم على عملية الوصف المكثف لمجمل العناصر الثقافية في مجتمعٍ ما.

في إطار دراستنا الميدانية المعنونة بـ " **المرجعية القيمية في هندسة عمران المدينة الصحراوية التقليدية والمعاصرة " دراسة أنثروبولوجية ببلدية قمار** "، مخصصين المسكن كأحد العناصر العمرانية الثقافية، ووصف مختلف الوحدات العمرانية للمسكن التقليدي والمعاصر، و مختلف الأشكال التي يتكون منها، كمواد البناء المستخدمة التي تظهر لنا من خلال لون وهندسة المسكن، وكذا الأحياء القديمة والفضاءات العامة ذات الهندسة التقليدية والمعاصرة في مدينة قمار خاصة الشعبية منها ووصف تفاصيلها.

من خلال عملية الوصف المكثف لفهم الدِّلالات الثقافية والتصورات السائدة في مجتمع قمار نجد خلف الهندسة العمرانية، تختبئ القيم و المرجعيات الثقافية، التي من خلالها يستند عليها الفرد في بناء مسكنه، "فالمنهج الاثنوجرافي تتركز أهميته في كونه يقدم لنا وصفا مكثفا لظاهرة محل الدراسة،[1]"، فعمليات الوصف المكثفة تبرز لنا وتخبرنا عن الجانب المخفي من ثقافة مجتمع قمار، عبر استخدام الوصف لعنصر المسكن "للكشف عن الغير متوقع أو المستور أو المسكوت عنه" [2] لمجتمع الدراسة .

---

[1] جمال معتوق، شماخي موسى اسماعيل، "**منهجية البحث الاثنوجرافي في ميدان العلوم الاجتماعية**"، في : **مجلة انثروبولوجيا**، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الانسانية والاجتماعية مجلد 04، عدد 04، 2018، ص 67.

[2] جمال معتوق، شماخي موسى اسماعيل، مرجع سابق ، ص67.

تم التركيز واتباع المنهج في الدراسة الحالية لما يتناسب معها وفق ما تمّ ذكره، وللوصول إلى دراسة ومحاولة الإلمام بجوانب أخرى، تساعدنا للوصول إلى فهم أعمق وشمولي، كما تمّت الاستعانة بمناهج أخرى تساعد المنهج الاثنوجرافي في الوصول إلى فهم التحولات التي عرفها مجتمع مدينة قمار، وانتقاله من التقليدي إلى المعاصر، ومن بين هذه المناهج المنهج المقارن؛ الذي يقتضي عملية المقارنة بين الشكل التقليدي والمعاصر، في أزمنة ثقافية تقليدية ومعاصرة، وهو ما توضحه هندسة عمران مساكن مدينة قمار التقليدية والمعاصرة.

7-2-2 المنهج المقارن: يعتبر المنهج المقارن من أقدم المناهج التي استخدمت من طرف الباحثين الأنثروبولوجيين الأوائل في الدراسات الحقلية، وهذا للوصول لعناصر التشابه والاختلاف، ونقاط التقاطع لفهم ثقافة مجتمع، وتمييزها عن ثقافة مجتمع آخر، أو فهم الاختلاف بين المتغير والثابت للعناصر الثقافية ، وفهم تلك التغيرات ومعرفة العوامل التي تقف خلفها، والهدف وراء استخدام المنهج المقارن في دراسة الثقافات الإنسانية المختلفة، كما أسماه "**الباحث جمال فزة**" " **الملاحظة العينية** للتشابهات التي تتميز بها الثقافات في الجزء المادي من الثقافة، أو ما يتعلق بالعادات والمعتقدات"[1] ،التي تؤثر على النسق الثقافي ، وهذه الأخيرة تعتبر من أهداف الدراسات الأنثروبولوجية .

فمن خلال الاستعانة بالمنهج الاثنوجرافي في عمليات الوصف للمسكن، بالنمطين التقليدي والمعاصر، وبعض من الفضاءات العامة المشكّلة لهندسة المدينة المعاصرة، وعند كتابة وتسجيل تلك الأوصاف والوقوف عليها من خلال عملية الملاحظة، يأتي المنهج المقارن؛ مكمّلاً لعملية الوصف للوصول إلى عملية التفسير الثقافي والاجتماعي لمجتمع مدينة قمار، وهنا تكمن أهمية عملية تقنية المقارنة، التي تساعدنا في عملية تفسير وتحليل المعطيات الميدانية لمجتمع البحث ومجال الدراسة.

تدور استعانتنا بالمنهج المقارن، ضمن حالتين:

الحالة الأولى: بين شكلين من العمارة، أي بين زمنين التقليدي والمعاصر، وبينهما عمرانيا وثقافيا، حيث تتضح تلك القيم التقليدية، التي تمثل قواعد ومبادئ راسخة في مجتمع مدينة قمار، في حين تجسّدت قيم أخرى دخيلة ومستحدثة ،أثرت على النسق الثقافي لمجتمع الدراسة، ما أفضى إلى ثنائية قيمية متمثلة في: (الثابت/المتغير).

[1] جمال فزة، "**المنهجية الأنثروبولوجية بين إدوارد فستر مارك وإفانس بريتشارد** "، دار الأمان، الرباط، 2013، ص 34.

-**الحالة الثانية** : مقارنة مجتمع مدينة قمار مع مجتمع آخر مجاور له ،مثل مجتمع مدينة كوينين أو مجتمع مدينة **تغزوت**، من جوانب ثقافية مختلفة كمكانة المرأة واختلاف التصورات حولها، واختلافات في بنية المجتمع ككل، " فالمقارنة بين مجتمعين ينتميان إلى منطقة ثقافية واحدة سوف نجد تباينا بينهما من الناحية البنائية "[1] وهذا الشكل من المقارنة اتبعه الكثير من الانثروبولوجيين أمثال "**مارسال موس وإيفانز بريشتارد**" .

7-2-3 المنهج التاريخي :

بالاعتماد على المنهجين الاثنوجرافي والمقارن، ومن خلال العبور بينهما تمّت الاستعانة أيضا بالمنهج التاريخي كمنهج مساعد لنا في الدراسة الحالية، لأنّ المنهج التاريخي من أوائل المناهج في الدراسات الأنثروبولوجية، والهدف من العمل به كمنهج مساعد من أجل دراسة تتبعيّة زمنية ،لأشكال المسكن بمجتمع مدينة قمار، وعبوره من نمط إلى آخر على مرّ تاريخ المجتمع وعلى تنوع ثقافة البناء، ومن جانب آخر الكشف عن ثقافة مجتمع مدينة قمار عبر مراحل تاريخية مختلفة، كلّ ذلك خلال المراجع والمصادر للباحثين في مجال التاريخ المحلي لمجتمع الدراسة أو من خلال تقنية المقابلة والبحث في ماضي العادات والمتعقدات المتعلقة بالمسكن وعماراته والهدف من هذا كما يرى **فرانز بواس** الوصول إلى العوامل التي أدت إلى وجودها واكتشاف تاريخ نموها" [2]، والتي ساهمت في تشكل سماته الثقافية الحالية .

8-3 تقنيات الدراسة :

تعتمد الدراسات الأنثروبولوجية على عدد من التقنيات، التي عرفت تطورًا عبر أزمنة مختلفة في مجال البحث العلمي، يستخدمها الباحث في دراسته لمجتمع ما أو ثقافة محلية معينة، عبر عملية استنطاق لما يجري من حوله من ممارسات يومية، وأسلوب حياة للأفراد داخل ثقافتهم الخاصة، وما يميز البحوث الأنثروبولوجية أنّ لديها الجانب الحميمي الذي نتج عن الإقامة الطويلة للباحث في عيّنة بحثه، واعتباره عضوًا وجزءًا من مجتمع الدراسة.

في دراستنا الحالية لجأنا إلى جملة من التقنيات البحثية، التي تتيح لنا فهم المجتمع بصورة أقرب، والنبش في حيثياته الثقافية التقليدية منها أو المعاصرة، ومن أهمّ تلك الأدوات البحثية التي استخدمت في دراسة مجتمع البحث:

---

[1] فتيحة ابراهيم، مصطفى حمدي الشنواني "**مدخل الى مناهج البحث في علم الإنسان " الانثروبولوجيا**"، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1977، ص 142.

[2] فتيحة ابراهيم، مصطفى حمدي الشنواني، المرجع السابق ، ص 130.

➢ **الملاحظة المباشرة :**

عملية الملاحظة من التقنيات الأولية التي استخدمناها في المراحل الأولى للدراسة، ولأن خصوصية الموضوع تتطلب نوع من الملاحظة المباشرة المادية لمجموعة من المساكن، سواء ذات النمط التقليدي أو المعاصر، وكذا ملاحظة هندسة بعض العناصر العمرانية الأخرى التي تعتبر من مخرجات النسق الثقافي وتعبّر عنه، وبعض الفضاءات العامة والأحياء القديمة في هندسة عمران المدينة، الدال عن الجزء التقليدي من المدينة، محاولة منا لتغطية الجوانب وتقديم قراءات مستنبطة من الواقع الثقافي والعمراني لمجتمع مدينة قمار، فالملاحظة "هي عملية مراقبة أو مشاهدة للسلوك الظاهر والمشكلات والأحداث ومكوناتها المادية والبيئية ومتابعة سيرها واتجاهاتها وعلاقاتها بأسلوب علمي منظم ومخطط وهادف، بقصد التفسير وتحديد العلاقة بين المتغيرات، والتنبؤ بسلوك الظاهرة وتوجيهها لخدمة أغراض الإنسان وتلبية احتياجاته[1]، وأثناء عملية الملاحظة قمنا بتدوين بعض الملاحظات التي توضح لنا التصور العام للدراسة، ومن بين أسباب لجوئنا إليها في بداية مرحلة الدراسة إلى نهايتها، كوننا في كل فترة نزولنا الميدان ،تتضح المعاني وراء تلك الملاحظات المدونة في المجال المدني لمجتمع مدينة قمار.

ومن خلال الجدول الموضح أدناه، نبين أهم الملاحظات الميدانية التي قمنا بتدوينها خلال فترة دراستنا لمجتمع مدينة قمار، كما تعدّ هذه الملاحظات بمثابة مؤشرات تم الانطلاق منها في تحديد عناصر الدراسة التي تساعدنا وتخدم موضوعنا، حيث ساعدت –وبشكل كبير– تلك المعطيات المتحصل عليها من عملية الملاحظة، في عملية وصف الأحوال الثقافية المادية وغير المادية، للوصول إلى تفسيرات وتحليلات لمجتمع مدينة قمار، والتي تكون بسمة الملاحظة أكثر عمقا ودقة.

[1] ربحي مصطفى عليان، "**البحث العلمي: أسسه، مناهجه وأساليبه، إجراءاته**"، بيت الأفكار الدولية، ، الاردن، 2010، ص 115.

الجدول رقم (01-01): مجموعة الملاحظات التي تم تدوينها خلال الدراسة الميدانية لمجتمع البحث.

الملاحظات	نمط المسكن التقليدي	نمط المسكن المعاصر
التفاصيل الداخلية للمسكن	-مسكن مفتوح غير مسقف أو مغلق. -الخط المنكسر لمدخل الباب والمسافة بين مدخل الباب وفناء المسكن. - النوافذ والأبواب تفتح من الداخل وخشبية. -السباط ووجود الأقواس الكبيرة له. -وجود الفناء-وسط الحوش -. -غرف سميكة من الداخل تحتوي على مقصورة. -مطبخ يكون آخر البيت ولا يحتوي على نافذة وبه شميني قديم ومساحته صغيرة. -وجود الدار الظهراوية -للخزين -مع هدم الخابية وإن وجدت في مساكن قد هجرها أهلها وهدم جزء منها. عمليات ترميم وتحديث لأجزاء منه وظيفية منها الحمام وبعض الغرف أو المطبخ. -هندسة تقوم على القباب والادماس في الهندسة العمرانية للمسكن. -وجود الإسطبل بجوار المسكن. -احتوائه على الأجهزة الحديثة الكهر ومنزلية.	-مسكن شكله مغلق من الداخل ومسقف. -فآخر به تعدد الطوابق وبه أشكال سواء الزاوية بحدود 90 درجة أمام المسكن. -ثلاث مداخل للبيت الأول دخول من الشارع والثاني الدخول لداخل المسكن والثالث يكون في جهة مغايرة مقابلة الشارع أيضا. - باب المسكن حديث الطراز وألوان عصرية وبه زخرفة. -جدران مدخل المسكن سمكية ومتدرجة. -عتبة البيت عبارة عن سلالم سواء أربعة أو ثلاثة على حسب نوع المسكن. -المسافة بين المدخل والوسط الداخلي -بيوت فيها وأخرى لا توجد بها- -ستائر على أبواب المنازل والنوافذ. -عنصر الصالون في بداية المدخل الثاني للبيت والأثاث الفاخر. -وجود نفس الهندسة بين مختلف المساكن على اختلاف توزعه الحضري. -وجود فناء صغير بداخل بعض المساكن التي تحتوي على سور محيط بالمسكن كمسافة بين الفضاء الداخلي للمسكن والشارع. -وجود المستودع كجزء مهم من المسكن لوجود السيارة.
مواد البناء	-مواد بناء محلية موحدة تبنى بها كل المساكن الشعبية	-مواد بناء عصرية مختلفة في الوظيفة والاستخدام في كل وحدة من المسكن
بنية الأسرة	-أسرة ممتدة	-أسرة نووية أو مسكن الوالدين يقيمان لوحدهما وجواره مساكن الأولاد.
الملكية	-يملك كل شخص مسكنه الخاص به وعائلته ككل تقيم فيه.	هناك من يملك المسكن وهنالك من يستأجر، وهنالك من يؤجر.
نمط المسكن	-تقليدي شعبي – حوش عربي –	-مسكن متعدد الطوابق لأسرة واحدة أو أسرة مستأجرة من صاحبه الأصلي. -المسكن الجماعي.

		–المسكن النصف جماعي. –المسكن التساهمي. –المسكن من منح الدولة سواء الريفي أو البناء الهش.
النسيج العمراني	–حضور المساكن التقليدية في هيكلة المدينة في الوقت الحالي.	–طغيان المساكن الحديثة على اختلاف أشكالها وأنواعها في أماكن دون غيرها وشكل متنشر دون غيره.
التوزع الحضري على مستوى مدينة قمار.	–المساكن التقليدي في بعض الأحياء القديمة مثل البويبة، حي باب الظهراوي، باب الشرقي، والمناطق التابعة لبلدية قمار مثل الهود، مناطق فلاحية رغم تواجد بعض المساكن ذات النمط المعاصر.	–حي الظهراوية فيها نمط من السكن الجماعي أو النصف الجماعي ومختلف التركيبات الاجتماعية سواء المحلية أو الوافدين للمدينة،

المصدر: من إعداد الطالبة

➢ **المقابلات:**

من الأدوات التي يستعين بها الباحث الأنثروبولوجي من أجل الوصول إلى المعلومات والمعطيات الميدانية ،التي غابت عنه في عملية الملاحظة بالمشاركة، فعملية المقابلة لا تتوقف على أنها شكل من أشكال الحوار بين شخصين أو أكثر، وإنما لها قواعدها وفنونها في عملية البحث الميداني، وهذه تتوقف على حسب قدرات الباحث وإمكانياته، والهدف منها كتقنية بحثية "الكشف عن المعاني الثقافية التي يستخدمها المبحوثين، والبحث والتحري عن نواحي الثقافة التي يتم ملاحظتها"[1]، اتبعنا في الدراسة الحالية نوع المقابلة غير الموجهة، كونها الأنسب في دراستنا، فقد ساعدتنا على عملية استرسال المعلومات من المبحوثين وإعطائهم مساحة للكلام، فبعضهم –خاصة كبار السن–، وجهنا إليهم أسئلة المقابلة، فيردون بجواب أوسع من السؤال، ويعطوننا معلومات حول فكرة أخرى، ما يجعل الاستفادة تكون أكثر فأكثر في معرفة معطيات كانت مجهولة عندنا من ذي قبل .

في مرحلة ضبط الأسئلة الفرعية للدراسة، وحصر القيم المرجعية الواجب دراستها في هندسة عمران المسكن المعاصر والتقليدي بمجتمع مدينة قمار، قمنا باستخراج مجموعة من الأسئلة التي سوف نبينها في دليل المقابلة لإجراء عمليات المقابلة مع مجموعة من الأفراد المنتمين لمجتمع الدراسة، فبعض من الإخبارين والمبحثين استجاب لطلب المقابلة، وآخرين كانوا متردّدين، وهنالك من اتفقنا معهم وألغوا

[1] جيامبترو جوبو، "**اجراء البحث الإثنوجرافي**"، تر: محمد رشدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص 384.

المقابلة، وهذا راجع إلى تصورهم حول فكرة المقابلة وإعطاء المعلومات، لكن مع هذا وصلنا إلى عملية البحث، بفضل علاقتنا ببعض الإخبارين الذين سهلوا علينا عمليات المقابلة مع أفرادٍ ساعدونا في مرحلة البحث، فكان بعض الإخباريين أثناء عملية المقابلة يخبرنا بأنّ " فلان راح يساعدك لأنه مهتم بالموضوع، أو تجد ذلك الشخص إلى مزال شافي على تلك الحادثة، أو ذلك الشخص يفهم أكثر مني في هذه الموضوع فكل إخباري أو مبحوث يدلّنا على آخر غيره، وهذه العملية كانت مساعدة لنا جدا في عملية البحث.

يوضح الجدول التالي بعض المقابلات التي كانت في بداية الدراسة، أي ببداية **2023**، حيث أجرينا المقابلة مع عدد من المبحوثين تتراوح أعمارهم بين **34 إلى 80 سنة**، على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والتعليمية وهذا الاختلاف خلق تنوع في المعطيات والمعارف حول ثقافة مجتمع قمار، ذلك الاختلاف في الأجيال وضح لنا الثوابت والمتغيرات للقيم المرجعية، والقيم المستحدثة للمسكن بمجتمع مدينة قمار.

الجدول رقم (01-02): توزيع المقابلات على الاخبارين لمجتمع مدينة قمار

نوع المبحوثين	عددهم	ميدان المقابلة	الهدف من المقابلة
كبار السن 60-80 سنة	10 أفراد	-في مساكنهم وهي مساكن تقليدية عاشوا فيها أكثر من 20 سنة ومع عائلة ممتدة، وهنالك من هم مقيمين مع أولادهم في مساكن ذات بناء معاصر.	للتعرف على الجانب الثقافي، والقيم المرجعية خاصة تلك المتعلقة بحرمة المرأة داخل المسكن، والتغير الذي طرأ عليها من المسكن التقليدي إلى المعاصر
البنائين	3 أفراد	-كانوا مشرفين على عمليات البناء للمساكن التقليدية، لديهم خبرة في مجال البناء لسنوات طويلة وهم يعتبرون من كبار السن. - بنائين في عمارة السكنات الحديثة وهم من فئة الشباب يحترفون المهنة، ومشرفين على حرف متعددة في البناء.	-معرفة مواد البناء المحلية، وكيفية بناءها ومن أين تجلب، وتغير استخداماتها في الوقت الحالي. -معرفة المواد المحلية المعاصرة وكيفية تشكلها وأمكنة جلبها، وكيفية تجهيز عمليات البناء في شكلها المعاصر.

المهندسين المعمارين	3 أفراد	-مكتب الدراسات التقنية والمعمارية بمدينة قمار والتي تشرف على عمليات الهندسة والتخطيط للمساكن المعاصرة.	-التصور الثقافي للساكن حول مسكنه، هل يحافظ على القيمة الموجودة في المساكن التقليدية، وما هي الاعتبارات الحديثة في هندسة المسكن المعاصر بمجتمع مدينة قمار. -التغير القيمي للفرد في مجتمع مدينة قمار. -كيفية التصاميم الداخلية والتنظيم الوظيفي للحيز السكني الداخلي. -ما هي الثوابت والمتغيرات بين النمط التقليدي والمعاصر في الهندسة وتأثيره على بنية الأسرة ومجتمع قمار ككل.
المهتمين بالتراث الثقافي لمدينة قمار.	فردان	-المركز الثقافي والمركب السياحي بمدينة قمار.	- التعرف على الجانب الثقافي المادي العمراني التقليدي، من خلال التحف والأجزاء المادية الثقافية والصور القديمة لمدينة قمار التقليدية.

المصدر: من اعداد الطالبة

➢ **الإخباريين:**

يمثل الإخباري حلقة وصل بين بيت الباحث ومجتمع الدراسة، حيث يقوم بمساعدته للدخول في المجتمع والتعرف على أفراده، وتقديم تسهيلات للباحث والتعريف به، والهدف من وجوده في دراستنا الحالية، هو اعتمادنا عليه كونه من العارفين بثقافة مجتمع قمار بصورة كبيرة وشاملة، في أبعادها المختلفة العمرانية وكذا الجانب الثقافي، هؤلاء الإخباريين امتدت علاقتنا معهم من بداية الدارسة إلى نهايتها، كما ساعدونا في التواصل مع بعض الأفراد، لهم مكانة رفيعة لدى سكان المنطقة، حيث يصل عددهم بين خمسة إلى ستة أشخاص، على اختلاف مكانتهم الاجتماعية، ودورهم الحيوي في مجتمع الدراسة، والهدف من تواجدهم ضمن أدوات جمع البيانات الميدانية، التعرّف على إخباريين آخرين، وكذا التعريف بثقافتهم"[1] وفهم مجموعة الدلالات الرمزية والثقافية، التي تخص عمارة المسكن بمجتمع مدينة قمار.

[1] روبرت إيمرسون وآخرون، " **البحث الميداني الاثنوجرافي في العلوم الاجتماعية** "، تر: هناء الجوهري وآخرون، المركز القومي للترجمة، مصر، 2010، ص 89.

تمت مقابلة الإخباريين بشكل متكرر، وقد سجلنا في الجدول الآتي الاتصال الأول مع الإخباريين الأساسين في مرحلة البحث ،من بداية جمع المعطيات الميدانية إلى غاية نهاية عملية البحث:

الجدول رقم (01-03): جدول الاخباريين

	الإخباري الاول	الإخباري الثاني	الإخباري الثالث	الإخباري الرابع	الإخباري الخامس
تاريخ المقابلة	24/12/2023	20/08/2023	05/09/2023	2023/11/05	2024/05/16
وقت المقابلة	9:41 صباحا إلى 11 صباحا	من 9:30 صباحا إلى 11 صباحا	من 9 صباحا إلى 10 صباحا	من 10 صباحا إلى 11 صباحا.	من 10 صباحا إلى 01 مساءا

المصدر: من اعداد الطالبة

- **التصوير الفوتوغرافي:**

نظرا لخصوصية موضوع الدراسة، والذي يصب في قالب ثقافي عمراني، نبحث فيه عن القيم المرجعية التي شكلت هندسة عمران مجتمع مدينة قمار في الزمن التقليدي والمعاصر، نجد الشق الثاني من الموضوع يتناول جانب مادي من ثقافة مجتمع الدراسة، وعليه تمت الاستعانة بتقنيات مختلفة من أدوات جمع البيانات، مثل: التصوير لجوانب مختلفة مادية ثقافية لمجتمع الدراسة، مثل الأحياء القديمة، الأحياء المعاصرة وكذا الفضاءات المختلفة، التي لها علاقة مباشرة مع القيم والعمارة، ونستدل عن طريقها على الجوانب الرمزية، حيث كانت الصورة من أبرز التقنيات البصرية في الدراسات الأنثروبولوجية، وقد استعان بها باحثين من أبرزهم "**مالينوفسكي**"، في دراسته الميدانية لجزر التروبرياند، فدورها في الدراسات الحديثة مهم، وله دوره الحيوي، وهذا ما ذهب إليه "**لوروا غوران Leroi Gourhan** في قوله" لقد غير التصوير الفوتوغرافي من إدراكنا للعالم وأبعاده الزمانية والمكانية "[1] .

في موضوع الدراسة تم تصوير العناصر المادية المكونة لعمارة المدينة، وكذا عناصر مادية أخرى مساعدة في فهم المورث الثقافي العمراني وغيره من العناصر المادية الثقافية، وذلك من خلال الصورة التي تقرب إلينا تلك التفاصيل الثقافية وتبرزها والهدف من استعمالها كجزء مهم في تقنيات الدراسة هو" الكشف عن الجوهر الرمزي لثقافة مجتمع الدراسة والابتعاد عن السطحية والتعميم"[2]، وإبراز الجانب الثقافي المحلي لمجتمع مدينة قمار.

[1] بشيرة عالية، بن عرفة إبراهيم، "الصورة كتقنية بحث أنثروبولوجية "، في : **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، المجلد 23، العدد 01، جوان 2022، ص 315.

[2] بشيرة عالية، بن عرفة إبراهيم، مرجع سابق، ص 315 .

➢ **التسجيل الصوتي :**

في العمل الميداني تم الاستعانة بالصورة كتقنية ومالها من أهمية في موضوع الدراسة، أثناء عملية المقابلة استخدمنا أداة لتسجيل الصوت، وقمنا بالتسجيل عن طريق جهاز الهاتف المحمول، لحفظ المعلومات والاستماع إليها وتدوينها في مرحلة عملية التحرير والتحليل والتفسير للمعطيات الميدانية، فتلك المعطيات تعدّ بمثابة مخزون ثقافي ومعرفي غني بالمعطيات الميدانية، إلاّ أننا قد اعتمدنا عليها حصرا في بداية الدراسة، لنستغني عنها بعد ذلك، ونكتفي بتسجيل المعلومات في دفتر صغير بكلمات رمزية، تغنينا عن كثرة التسجيل والكتابة المطولة للمقابلات، ومن جهة أخرى لدينا بعض المبحوثين لديهم بعض على التسجيل، إلاّ أننا استفدنا منها كتقنية لها أثر على موضوع الدراسة، وزودتنا بمعلومات ومعارف عن مجتمع الدراسة.

الفصل الثاني: دراسة مونوغرافية واجتماعية لمدينة قمار.

- تمهيد:
- أولا: أصل التسمية بين الرواية التاريخية والشعبية.
- ثانيا: مدينة قمار في الكتابات التاريخية.
- ثالثا: جغرافية المكان والإقليم لمدينة قمار.
- رابعا: مكونات الوسط الطبيعي لمدينة قمار.
- خامسا: التغيرات الاجتماعية والعمرانية لمدينة قمار.
- سادسا: الأساطير المؤسسة لمدينة قمار.
- خلاصة الفصل.

تمهيد:

يستهدف هذا الفصل تقديم دراسة مونوغرافية واجتماعية لمجتمع مدينة قمار، والتعرف عن قرب لمجموعة من الخصائص الطبيعية والبيئة، التي أبرزتها كمدينة صحراوية لها خصائصها الجيولوجية والطبوغرافية لتربة لها مكوناتها الطبيعية والتي لها الدور في إبراز الخصوصية العمرانية لمساكن المدينة التقليدية، ومختلف الرموز المعمارية التي أصبحت تراث ورموز نستدل من خلالها على مجتمع قمار، فمن خلال التعريف بمدينة قمار ومعرفة التأثيرات التي ساهمت في هندسة عمرانها التقليدي، والتحول الذي أدركه الفرد في مجاله المدني المعاصر، وكذا ذكر بعض المظاهر الثقافية التي تعطي لمجتمع مدينة قمار الخصوصية الثقافية وتبرز معالمه الحضارية الثقافية، والتي تعرف استمرارية من خلال المحافظة عليها في حياته اليومية المعاصرة.

أولا: أصل التسمية: بين الرواية التاريخية والشعبية

حمل تاريخ قمار العديد من الروايات التاريخية، التي تعود إلى دراسات تاريخية واجتهادات في مجال التاريخ القديم للمنطقة، وتعددت التأويلات التاريخية في أصل تسمية وكلمة "**قمار** "، تباينت الدِّلالات التاريخية واللغوية لأصل الكلمة، ومن بين الباحثين الذين ساهموا في مجال البحث في تاريخ بلدة قمار خاصة القديم "**الشيخ محمد الطاهر التليلي**"، حيث قدم عدة إسهامات في العديد من الجرائد والمجلات المحلية التي كانت تصدر في الماضي، خاصة مجلة "**المنير الثقافي الصادرة عن الجمعية الثقافية بقمار**"، في كتابه على أضواء مدينة قمار بمنطقة سوف ذكر الباحث التيجاني العقون أنّ بلدة قمار قديما كانت لها العديد من المسميات من أبرزها " جلهمة، القدايم*، الزراديب، الدبدابة، غمرة" [1] والاختلاف في التسميات له بعد عمراني حضري، فكل ما تتمدد البلدة إلى جزء معين تحمل اسمه ودلالة المنطقة التي وصل إليها هذا الامتداد .

ذكر الباحث "**التيجاني العقون**" أبرز الروايات التاريخية لبلدة قمار التي ترجح أصل التسمية، ومن أبرز تلك الروايات التاريخية:

أ-الرواية الأولى: في رواية أحد الشيوخ، وهو الشيخ " **محمد بن البرية**" ، فقد أعاد أصل بلدة قمار التي تعود امتدادها إلى القرن الثامن الهجري، ورجّح سبب عمراتها وقيام المدينة إلى شجار قام بين أخوين، أحدهم يقطن في القدايم، ووقع صراع مع أخيه فذهب إلى موقع بلدة وقال له " أحط أو أحط هنا قمار فيك"[2] وتعنى الكلمة في الثقافة المحلية الشفهية "عنادا فيك "زكارة فيك " فحملت اسم البلدة تلك الكلمة اسم بلدة قمار.

ب-الرواية الثانية : من الروايات التي برزت كذلك، كتفسير دلالي على تسمية قمار، تقول الرواية : "أنّ رجلا قدم من الهند، فجلب معه مجموعة من البخور والعود، يسمى ذلك العود "عود القماري "، وحمل اسم بلدة العود القماري، ومع الوقت سُميت البلدة نسبة للمكان الذي أقام به هذا الرجل " قمار"[3].

---

[1] التجاني العقون، مرجع سابق، ص، 16.

***القدايم:** مدينة قديمة كانت تقع شرقي تغزوت كان بها ثمانون زقاقا وقد خربت ولم يبق منها شيء كما ذكر الشيخ محمد الطاهر التليلي، ص 21.

[2] التجاني العقون، مرجع سابق، ص 21.

[3] التجاني العقون، مرجع سابق، ص 22.

ج-الرواية الثالثة : أتى في لفظ بعض الأفراد كلمة قمار دون الهزة وهي تعتبر مفردة للكلمة، والبعض يذكرها بالجمع بالألف والهمزة "أقمار"، وتختلف في النطق، فهناك من يسميها قمار بالقاف، ولكن معظمهم يلفظونها قِمار بكسر أولها، والشائع عند الجميع كما هو متعارف حاليا تُلفظ بالقاف ذي ثلاث نقاط وبسكون القاف قْمارْ.

د- الرواية الرابعة : من بعض أقوال الإخبارين حول الدلالات المختلفة لاسم بلدة قمار، "قمار يعود أصلها إلى كلمة **"القميرة"**، وهي تعني العلامة التي يتركها المار ليستدلّ الآخر على مكانه ويتعرف عليه، ومرّ شخص على موطن البلدة فتعارفت بالقميرة، حيث تنطق قاف ثلاث نقاط، وليست بحرف القاف أي **قمار**، ومع مرور الوقت سميت قمار. التعدد في الروايات سواء التاريخية منها أو المتداولة في الثقافة الشفهية بمجتمع بلدة قمار يعطي لها "الطابع الأسطوري والخرافي في نشأتها الحضارية كنوع من الخصوصية الثقافية"[1]، ويوضح مدى حضور الأسطورة والروايات على اختلاف مصدرها، في تاريخ تأسيس عمائر المدن انطلاقا من المرجعية الثقافية لها.

ثانيا: مدينة قمار في الكتابات التاريخية :

مدينة قمار من المدن التي لها بعدها التاريخي والثقافي المكون للتاريخ الثقافي لولاية الوادي ككل، حيث لعب موقعها دورا محوريا في تشكيل خريطتها التاريخية والاجتماعية، واختلف الباحثون حول تاريخ مدينة قمار من حيث تاريخ نشأتها والمرجعيات التاريخية المكونة لتقاسيمها، فمن خلال بعض الباحثين المحليين وكذلك البعض ممن كتب حول المدينة من دراسات كولونيالية لمدينة الوادي، نجدها أهم المدن الصحراوية في الجزائر حيث تزخر بتراث عمراني وطابع معماري مميز يعطي لمدينة الوادي ككل خصوصية وهوية صحراوية.

على الرغم من السمعة التاريخية والثقافية لمدينة قمار، إلاّ أنها من المدن المُغيّبة في الدراسات المعاصرة، وتاريخها يعرف شحا في الجانب المعرفي، وكل ما يخص المدينة من الناحية التراثية الثقافية، ومن أهم الدراسات التي اهتمت بشكل جدي وأبرزت تاريخ مدينة قمار الثقافي والتاريخي والاجتماعي والعمراني دراسة **الباحث "عبد العزيز حسونة" التي حملت عنوان:** "النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة

[1] حبيب سعيدة، شوقي قاسمي، "**مساهمة الأسطورة في بناء عمائر المدن – مدينة قمار نموذجا –**"، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد 10، عدد 01، 2024، ص 82.

سوف، من القرن العاشر الى الثالث عشر هجري، القرن السادس عشر إلى التاسع عشر الميلادي" حيث تناولت الدراسة مدينة قمار من الناحية الأثرية والمعمارية.

ودراسة للباحث في مجال **الجغرافيا Claude Bataillon**، درس مدينة الوادي عندما قدم إليها عام 1953، حيث تطرّق إلى وصف بعض المناطق المكونة لمدينة الوادي، ومن أبرز تلك المناطق: مدينة قمار، تغزوت، كوينين، الرقيبة، وتمت دراستهم دراسة من الناحية الاجتماعية العمرانية، حيث جاءت دراسته بعنوان: "**LE SOUF étude de géographie humaine**"، وقام بترجمتها الباحث في تاريخ المنطقة "**عبد القادر ميهي** "، ومن أبرز الباحثين في تاريخ منطقة قمار الباحث "**التجاني العقون** " حيث عُرِف بكتابه المعنون " **على أضواء مدينة قمار بوادي سوف** ".

ومن الدراسات الاثنوجرافية لمدينة الوادي دراسة الفرنسي **André Roger Voisin** بعنوان **LE SOUF monographie** ،وهي دراسة مونوغرافية لجميع نواحي الحياة لثقافة أهل مدينة الوادي، وذكر فيها الجوانب الثقافية من معتقدات وأساطير لبعض بلديات الولاية، وطريقة الأكل ونوعه ونمط السكن، وكيفية بناءه ومميزاته العمرانية، والنشاط الاقتصادي من الزراعة ونوعية الفلاحة التي يمارسونها، وعلى الرغم من الاختلافات في ما يخص دراسته هذه، إلا أنها تُعدّ من الدراسات التي يرجع إليها الباحثون في تاريخ المنطقة، حيث تعدّ من أهم وأبرز الدراسات التي تطرقت إلى مدينة قمار وتاريخها الثقافي والمعماري، والتي استفدنا منها في دراستنا، من نواحي عدة تبرز أسلوب حياة مجتمع قمار.

ثالثا: جغرافيا المكان والاقليم لمدينة قمار:

مدينة قمار تقع على بعد 200 كلم من منطقة الزيبان بسكرة"[1]، و" يحدها من الشرق توزر وقفصة أي الحدود التونسية ومن الجهة الغربية ولاية ورقلة وجامعة وولاية المغير ومن الجهة الشمالية ولاية تبسة وبسكرة وخنشلة ومن الجنوب ورقلة "[2] وتقع فلكيا " بين دائرتي العرض 33 و34 درجة شمالا، وبين خطي الطول 6 و8 درجات شرقا"[3]، وبلدية قمار تحدها مجموعة من بلديات مدينة الوادي من جهات

[1] Brahim Ben aicha, " **vivre au paradis D'une oasis à un bidonville**", Ed du Sable d'or, Paris, 2005, p12.

[2] محمد الصالح حثروبي، "**هجرات سكان وادي سوف إلى مدينة بسكرة خلال القرن العشرين** "، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، ص 24.

[3] اندري روجيه فوزان، "**مونوغرافيا سوف** "، تر: ابو بكر مراد، دار المعرفة، الجزائر، 2016، ص 24.

متعددة "من الشرق بلدية حساني عبد الكريم، من الشمال بلدية سيدي عون ومن الغرب بلدية الحمراية، ومن جهة الجنوب بلدتي تاغزوت والرقيبة "[1].

الخريطة رقم (02-01): تمثل الأبعاد الجغرافية والادارية لبلدية قمار

المصدر: علي لمحنط، "**المدن الصحراوية بين متطلبات البيئة الحضرية وتطوير الصناعات الصغيرة والمتوسطة: حالة التجمع السوفي**"، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص تسيير المدن والتعمير، جامعة قسنطينة 03، 2022/2021، ص47.

رابعا : مكونات الوسط الطبيعي لمدينة قمار

تتميز منطقة قمار ببيئة طبيعية كباقي المدن الصحراوية، والتي خلقت لها خصوصية في العمارة والسكن والجوانب الثقافية الأخرى، باعتبار أنّ الثقافة هي" تفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية باعتباره عضوا في المجتمع"[2]، المستمدة تفاصيلها من البيئة الطبيعية والمتمثلة في المناخ والموارد المائية والطبقات المكونة للأرض، والرياح على اختلاف اتجاهاتها، كل هذه العوامل أسهمت في بلورة البيئة المحلية لمدينة قمار والوادي ككل.

4-1 المناخ:

يسود مدينة قمار كباقي المدن الصحراوية مناخا صيفيا يكون حارا تصل إلى 50 درجة، وفي الشتاء يكون باردا خاصة مع حركة الرياح سواء في فصل الصيف أو الشتاء، **جاء في كتاب الصروف في تاريخ صحراء وادي سوف لإبراهيم محمد الساسي العوامر** يصف جوّها بقوله: "سُوفْ من أحسن الأهواء لاعتداله وعدم انحراف مزاجه، وطيب نسيمه وخفته وتنشيطه للأعضاء وهضم الغذاء، وعدم مرارة الفم عند القيام من النوم، وصحة الرأس عند ذلك وقلة الوباء، وكل ذلك بسب جفاف الأرض وقلة مروجها

[1] التجاني العقون، مرجع سابق، ص 13.

[2] أحمد زغب، "**عمود الدخان رواسب الآخر في ثقافتنا الشعبية**"، دار الثقافة، الوادي، 2015، ص 7.

ومستنقعاتها وحياضها الراكدة ...." [1]، ومن خلال هذا الوصف نفهم تأثير نوعية المناخ على صحة الإنسان وبدنه ومختلف نواحي حياته .

4-1-1 الرياح:

تهبّ الرياح بصفة مستمرة خاصة في فصول معينة، وتختلف صفة الرياح على اختلاف اتجاهها الذي تهب منه، ويعرف أهل المنطقة اتجاهها وفق اتجاه جريد النخيل، من خلال حركته مع الهواء، تهب الرياح " شمالية وشمالية غربية من فيفري إلى أفريل، ورياح شرقية (بحري) منعشة من أوت إلى اكتوبر ورياح جنوبية (شهيلي) حارة خلال فصل الصيف" [2]، وتختلف أنواع الرياح في منطقة الوادي ككل إلى ثلاثة أنواع من الرياح :

- **رياح ساخنة:** تسمى في الثقافة الشعبية –**الشهيلي** – أو القبلي وتكون في فصل الصيف، وهي عبارة عن هواء حار، تأتي من الجهة الجنوبية، تدوم لعدة أيام خاصة في اللّيل، هذه الرياح لها فائدة طبيعية حيث هنالك محاصيل في الصيف يلزمها حرارة قوية نوعا ما لتنمو ويكون محصولها وافر، وإن طالت تفسد محاصيل أخرى كالتمر.
- **الرياح الباردة:** لها عدة تسميات من بينها البحري أو الصبا "[3] **(أين هي بداية التهميش؟)**، وسميت بالبحري لأنها آتية من "ناحية البحر خليج قابس بتونس"[4]، وهذه الرياح تتميز بالبرودة تكون عادة بعد انتهاء الصيف وخروج أيامه الأخيرة، أو في فصل الربيع، مريحة للبدن وتساعد على النوم ليلا.
- **الرياح الغربية:** تكون هذه الرياح قوية وعنيفة، تأتي من الجهة الظهراوية، تكون في فصل الشتاء وتحمل الأتربة معها والأمطار الكثيفة والرعود القوية.

---

[1] إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، "**الصروف في تاريخ صحراء وادي سوف** "، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977، ص 51.

[2] محمد الصالح حثروبي، مرجع سابق ، ص 25.

[3] ضيف الأزهر، "**البيئة والمجتمع، دراسة تحليلية للصحة والمرض في منطقة وادي سوف** "، مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2010، ص 33.

[4] ضيف الأزهر، المرجع السابق ، ص 33.

4-1-2 التضاريس:

بحكم الطبيعة الرملية لمدينة قمار فهي تقع " في العرق الشرقي الكبير"[1]، تتكون تضاريس مدينة الوادي من ثلاث أشكال متنوعة يتميز كلّ واحد منهم بشكل ومكان توزع معين.

- **العرق:** هي التسمية التي تطلق على الأمكنة ذات الكثافة الرميلة الكبيرة، وتكون رمال ناعمة يتراوح لونها من اللون الأصفر والأبيض، يجلب منها الأهالي الرمل لترميل فناء المسكن وغرف البيت، وكذا لأغراض فلاحية، وكمادة لبناء المساكن المحلية والمعاصرة، تكون على شكلين أولهما كثبان رملية "حيث يصل ارتفاعها 127 م جنوب أعميش، وفي أقصى الجنوب وتصل إلى 200م، تسمى هذه الكثبان بالغرود*"[2]، والشكل الثاني هو المنخفضات والأودية بمدينة الوادي، تُعدّ من الأماكن المنخفضة في الشطوط المنخفضة " شط ملغيغ ومروان الذي ينخفض بحوالي 36 م دون مستوى سطح البحر"[3].
- **الحمادات الرملية :** المقصود بالحمادات هي" طبقات حجرية متنوعة تحت الرمال "[4]، وتختلف طبقات الأرض لمدينة الوادي من حجار صلبة وأخرى هشة، وأخرى تسمى اللوس، وكلها مكونة مع بعضها البعض طبيعة الأرض لمدينة الوادي ككل، وكل نوع منها نجدها في مكان معين دون غيره.

2-1-3 التكوينات الجيولوجية لطبقات الأرض لمدينة قمار:

كما ذكرنا سابقا تتكون طبقات الأرض لمدينة الوادي، العديد من العناصر الطبيعية التي تختلف في نسبها وشكلها وطريقة تموضعها الداخلي، الشكل (02-01)، وهذه التكوينات تكونت عبر أزمنة مختلفة، وهذه الطبقات الحجرية تُستخرج من مواقعها وتستعمل في عملية البناء للمساكن التقليدية بمناطق قمار وغيرها.

---

[1] بن علي محمد الصالح، **"الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية: أكثر من 2600 مثل وحكمة شعبية مشروحة"**، مطبعة عمار قرفي، باتنة، 2012، ص 11.

[2] علي غنابزية، **" مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300-1374/1882-1954"**، دار الهومة للطباعة والنشر، الجزائر 2017، ص 32.

***الغرود** : جمع غُرد أي الفريد من نوعه، أو الشيء الذي يصدر عنه صوت الذي تصدره الرمال أثناء هبوب الرياح، مصدر حسونة عبد العزيز حسونة ص 18.

[3] حسونة عبد العزيز، مرجع سابق، ص 18.

[4] علي غنابزية، مرجع سابق، ص 32.

الشكل رقم (02-01): يمثل الطبقات التربة وترسبها ضمن القشرة الجوفية للأرض لمدينة الوادي.

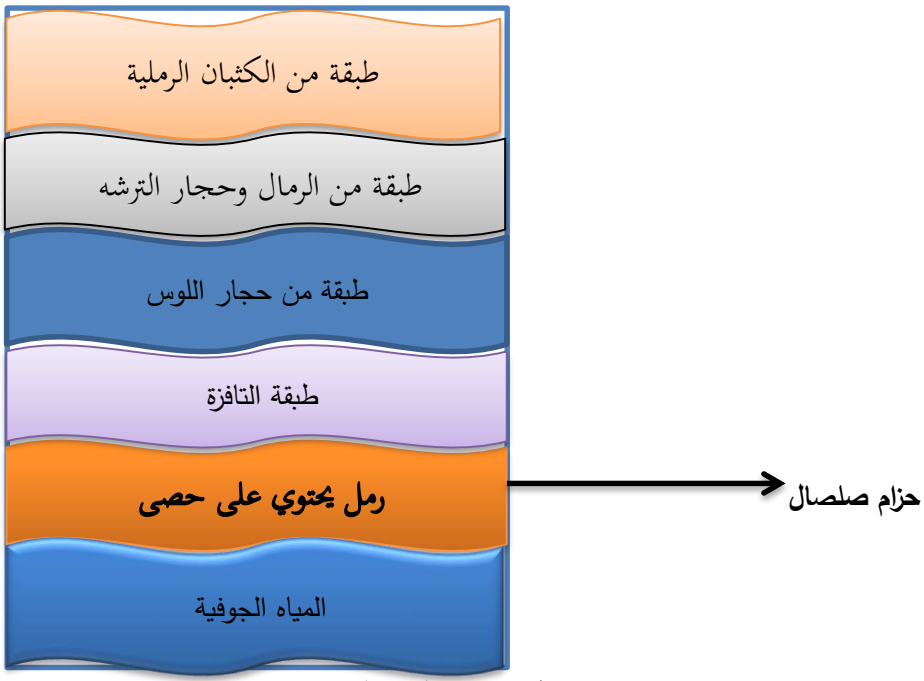

المصدر: إعداد الطالبة بناء على معلومات من دراسة عبد العزيز حسونة، ص 21.

4-3 تساقط الأمطار :

مدينة قمار من المدن الصحراوية ذات الطبيعة الرملية، فنسبة تساقط الأمطار تكون قليلة وتكون بنسب معتبرة في فصل الشتاء، **ذكر إبراهيم بن الساسي العوامر في كتابه الصروف في تاريخ صحراء وادي سوف** " الأمطار تكون بصفة نادرة في مناطق الصحراء، ويعود ذلك بعدها عن البحر ويكون هطول المطر أكثر في الخريف أو أوائل الربيع "[1]، وتقل وتنخفض نسبة هطول الأمطار بين السنة وأخرى، وإن طالت الأمطار أثرت على المحاصيل الفلاحية، أو العكس وتقدّر كميتها " من 50 إلى 100 مم سنويا"[2]، وتقل نسبة الرطوبة والتبخر، وتكون ضعيفة في المناطق الصحراوية .

4-4 الموارد المائية:

تختلف الموارد المائية بمدينة قمار بين الموارد السطحية والجوفية، وتقلّ الموارد المائية السطحية، حيث تكون في فصل الشتاء على مستوى الشطوط التي تكون غالبا جافة على مدار السنة، وتتسم المياه السطحية بالملوحة غير صالحة للشرب. والمياه الجوفية التي لها دور في الزراعة والفلاحة وكذا في عملية البناء، وهنالك مياه جوفية مالحة وأخرى غير مالحة تستطيع الشرب منها وهذا يختلف على حسب

[1] إبراهيم بن العوامر الساسي، مرجع سابق، ص 51.

[2] محمد الصالح حثروبي، مرجع سابق، ص 25.

المنطقة، فتختلف الطبقات الهيدرولوجية وهما نوعان " طبقة البليوسان السفلي"[1]، وهي طبقات مكونة من الرمل الخشن، تكون على عمق 200 م إلى 300 م وقوة التدفق لديها 4000-12000ل/ث، وطبقة أخرى غير صالحة وغير مستعملة وهذا راجع إلى طبيعتها الطينية، وطبقة أخرى أعمق منهما .

خامسا: التغيرات الاجتماعية والعمرانية لمدينة قمار:

عرف مجتمع مدينة قمار تغيرات على مستوى البنية المجتمعية وعلى مستوى الديمغرافي أي التعداد السكاني وطبيعة المجتمع من مجتمع يقوم على العرش وتقسيم على حسب الأصول الى تنوع في العنصر البشري نتيجة لعوامل ديمغرافية واجتماعية جعلت من مجتمع قمار مجتمع تعدد فيه الأفراد، وعلى مستوى العمراني من خلال تحولات في هندسة الفضاءات العامة وظهورها بشكل معاصر ومن خلال هذا نعرض أهم التغيرات الاجتماعية والعمرانية لمدينة قمار كالتالي:

5-1-التغيرات على مستوى الاجتماعي :

تعددت الأقاويل التاريخية فيما يتعلق بالمورفولوجيا الاجتماعية لأهل مدينة قمار، وهي جزء من مدينة الوادي وتطرقت الكتب التاريخية حول أصل ونسب القبائل، ويعود معظمها إلى الأصل العربي، من أشهر القبائل التي تناقلت على تدونها المصادر التاريخية قبيلتين هما : قبيلة طرود وعدوان، وتنحدر من كلا القبيلتين أنساب عديدة وكلّ منها مكانها الأصلي والنسب القبلي لها، في مدينة قمار هناك العديد من العروش التي اتسمت بالاختلافات سواء في النسب أو مكان استقرارها ،ومن أبرز الأعراش القمارية وإن كان هناك من ينسب القمار إلى عرش معين . في المتخيل الشعبي لمصطلح قماري دلالة على أصل العرش ومكانته العريقة، وباقي العروش الأخرى غير أصيلة النسب لأسباب كثيرة، سواء أنهم سكان لديهم أصول أخرى مغايرة عن أهل منطقة، أو أنهم مهاجرين واستوطنوا في المنطقة، وما يزال تأثير التسميات متجذرة في مخيلة أهل المنطقة، وتعرف أصل العرش من خلال ألقاب العائلات، فهي حاملة لدلالات كثيرة سواء اسم العرش أو موطن الإقامة، فكلّ قرية أو منطقة معروفة تشتهر بألقاب دون غيرها. من أبرز أسماء العروش في مجتمع قمار نذكر ما يلي:

[1] علي لمحنط، "**المدن الصحراوية بين متطلبات البيئة الحضرية وتطوير الصناعات الصغيرة والمتوسطة: حالة التجمع السوفي**"، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص تسيير المدن والتعمير، جامعة قسنطينة 03، 2022/2021، ص 80.

الجدول رقم (02-01): يمثل المجموعات الاجتماعية المحلية المكونة لمجتمع مدينة قمار

اسم العرش	النسب	أصوله (مكان القدوم)	ذكر أهم العائلات المنتسبة له.
أولاد بوعافية	جدهم الأول الحاج مبارك جد الحساينة بن ونيس بن محمد لال بن أحمد قديدة من ذرية سيدي خليفة بن حسن بن مبارك بن سعد بن محمد بن مبارك بن محمد بن سعد الدين بن سيدي الحاج بو حفض بن عبد القادر بن محمد وهو المسمى سيدي الشيخ	المغرب	هاني، مهاجر، العايب، برحومة، مرغني، بوجلخة، محمودي، بن عيشة، نصرات، العانز، صغير، رزيقات، هالي، عصمان، نمسي، شنة، حذيق، سلطانة، بوعافية، باري، صديقي بورقعة، ممادي، بن لحسن، جديدي، اللان، بن سايح، بسية، لعريبي، مضو ..... إلخ
أولاد عبد القادر	بن سعد بن بلقاسم بن محمد بن جحيدر جد أولاد سي أحمد بن سعد بن بلقاسم بن محمد جحيدر (بالجيم أو بالشين)	قفصة، تونس	حبيب، تركي، زرزور، كرام، سعداني، خلف، حمايتي، لسود، سعد الله، فرحاتي، شرفي العوز، مفتاح، لشهب .....إلخ
أولاد هويمل	سيدي بوهلال	الجريدة –تونس	بوهلال، بني، دمدوم، غوري، لزعر، شعر، محلو، رجيل ...إلخ
أولاد التمامة	جدهم تميم بن عمر بن وشاح قيس غيلان	الجريد – تونس	عطية، خشانة، رضوان، حني، دادي، لعيس، نوة، خامسة، نموسة، لحمر.
أولاد حميد	يرجع نسبهم إلى قبيلة طرود قيل حميد بن عامر من بني هلال.	غالبيتهم من الهلاليين النازحين من المشرق سنة 443هـ وهناك من أتى من فاس واستوطنوا أولا واد ريغ ثم نزحوا لقمار	بقاط، سقني، دويس، قية، غندوفة، لعويد سايحي، ستو، عويمر، دغمة، زبدي، غوار، بريبش، عفاس، حسونة

المصدر: من اعداد الطالبة، بناء على معلومات التجاني العقون في كتابه على أضواء مدينة قمار، ص 28.

5-1-1-السكان الأجانب:

شكلت فئة أخرى جزء من مجتمع مدينة قمار تختلف في العادات والتقاليد، لكن تعايشت في مجتمع المدينة وشكّلت جزء من تاريخه الثقافي والعمراني، ومن أبرز الطوائف التي سكنت مدينة قمار هي:

الطائفة اليهودية: فقد ذكر الشيخ محمد الطاهر التليلي؛ أنّ اليهود قد سكنوا قمار قديما حيث جاء جدهم اسمه " **تويتو** "، الذي يعود أصله إلى يهود الأندلس الذين هاجروا وأخرجوا منها"[1]، واستقروا في أماكن عديدة سواء في مدينة الوادي أو قمار، حيث أقاموا بها حيا سكنيا يدعى "حارة اليهود" بنوا فيها

[1] التجاني العقون، مرجع سابق، ص 369.

معبداً واتخذواً مقبرة لموتاهم"[1]، واندمجوا في مجتمع قمار ،حيث كانوا يلبسون نفس لباسهم ويتعاملون معهم في تجارتهم، وكانوا يستغلون في تجارة الذهب والفضة ويمتلكون الأراضي الفلاحية والنخيل وبيع الصوف والحدادة، ولا زالت آثارهم العمرانية موجودة لحد الآن كجزء من العمران لمدينة قمار التقليدية، فهنالك المعبد وآثره و المقبرة التي تسمى "جبانة اليهود"، وكذا الرحبة التي ما زالت تحمل نفس الاسم والبعض من البيوت بقيت ترسم عليها النجمة السداسية ودلالات على وجودهم، وظلوا فيها لسنوات طويلة، ثم باعوا منازلهم وممتلكاتهم وتمّ غلق المعبد "ووثقوا ذلك في الوثائق الرسمية وقدمت إلى قائد البلدة سنة 1962"[2].

[1] الإمام بريك، " **الثورة الجزائرية في وادي سوف 1954م-1962م** "، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2014/2013، ص 12.

[2] التجاني العقون، المرجع نفسه، ص 372.

الصورتين رقم (02-01) و(02-02): أبواب مساكن[1] طوائف اليهود بمدينة قمار

[1] **الصورتين (02-01)، (02-02):** أبواب مساكن طائفة اليهود التي سكنت مدينة قمار، تعبّر الرموز المنقوشة على الأبواب عن هويتهم الدينية والثقافية داخل مجتمع مدينة قمار، ومن أبرز آثارهم الفرن الذي كانوا يطبخون عليه الخبز في المدينة، وكذا المقبرة الخاصة بهم، وحيّيهم الشعبي الذي مازالت آثاره موجودة، فهم كانوا يشكلون جزء من مجتمع قمار .

المصدر :

https://www.facebook.com/groups/127343571260722/?hoisted_section_header_type=recently_seen&multi_permalinks=814395285888877

5-1-2 التعداد السكاني لمدينة قمار:

شهدت مدينة قمار نسبة نمو سكاني على فترات مختلفة من تاريخها، وخلال السنوات العشر الماضية وعبر آخر عملية إحصاء التي قام بها أعوان بلدية قمار، وعن طريق عمليات الإحصاء السكانية التي تغطي كافة مناطق قمار وأحياءها، وهذه العملية تمت في سنة 2022-2023 عرفت بنسبة ليست كبيرة ولكن دائما يبقى العدد ليس مضبوط لاعتبارات كثيرة [1]، ومن خلال التقرب لمصلحة الإحصاء بمقر بلدية قمار، والذي كان بتاريخ 2023/09/14 حول طلب إحصائية حديثة، والتي تمت في سنة 2023 تحصلنا على المعلومات الآتية :

الجدول رقم (02-02): يمثل الإحصائية السنوية للسكن والسكان بمجتمع مدينة قمار

السنة	إحصائية السكن والسكان
2008	39.168 نسمة
2022	664.003 نسمة

المصدر: مصلحة الإحصاء ببلدية قمار.

الجدول رقم (02-03): نسبة النمو السكاني لمجتمع مدينة قمار

نسبة النمو السكاني ببلدية قمار	توقع عدد السكان نهاية 2023
%3	67.500 نسمة

المصدر: مصلحة الإحصاء ببلدية قمار.

5-2 التغيرات على مستوى المجال العمراني لمدينة قمار :

تحتوي مدينة قمار التقليدية خاصة من خلال هندستها، على مجموعة من الرموز العمرانية على اختلاف هيكلها المعماري، ووظيفتها داخل المجتمع لمدينة قمار، تلك الرموز المعمارية والعمرانية تعتبر أصالة المدينة القديمة، من خلال مواد بناءها وفلسفة وجودها ضمن النسيج العام للمدينة المتبع لخلفية إسلامية، من حيث تواجد المساجد في وسط المدينة والأسواق والعمارة السكنية وفق ترتيب يرجع جذوره إلى هندسة المدينة الإسلامية " التي امتزجت فيها القوانين المادية بالقيم الروحية " [2] حيث تتميز بتنظيم وتقسيم خاص بالفضاءات العامة والخاصة.

---

[1] مقابلة مع (ع، ب)،2023/09/13، الساعة 10:00 ص- 10:15ص -بمقر بلدية قمار .

[2] ميادة عبد الملك محمد صبري، " تخطيط وعمارة المدينة الإسلامية مدينة دمشق القديمة: نموذج حضري لقمة التعايش والتعامل في المنظور الإسلامي "في: **مجلة كلية التربية /واسط**، المجلد 01، العدد 11، 2012، ص 3.

في بداية تأسيس مدينة قمار، بُنيت المساجد والزوايا كحجر أساس أولي للمدينة، فكانوا كل جماعة يجتمعون في بقعة من الأرض يبنون مسجد لممارسة الطقوس الدينية، في مدينة الوادي نجد العديد من المساجد والزوايا ودور الكتاتيب، تتميز تلك المساجد بارتفاعها الشاهق وكذا الطراز العمراني الإسلامي، وكونت جزء مهم من النسيج الكلي للمدينة، وتبعتها الأسواق الشعبية على اختلاف مواسمها ووظيفتها الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك فضاءات للقاءات الاجتماعية كالرحبة والسباطات.

شكلت الأحياء الشعبية القديمة وخصائصها العمرانية، فبعضها مسقوفة وأخرى على مدخل يحتوي على نصف قبة –قوس– ، وهناك من يشبه شكلها كلّ سباطات، وهذا الاختلاف في طريقة إنشاء الأحياء يحمل روايات وقصص، ساهمت في تشكله المعماري الخاص، فمدينة قمار لها رموزها العمرانية والمعمارية التي تميزها عن باقي المناطق المجاورة لها، ومن أبرز تلك الرموز المعمارية التي تحمل هوية مجتمع مدينة قمار:

5-2-1 المساجد التراثية والزوايا

مدينة قمار من المدن الإسلامية التي تحتوي على العديد من المساجد والزوايا، وتختلف الزوايا على حسب الشيخ المؤسس لها والتابعين له، ومن أشهر المساجد القديمة في مدينة الوادي مسجد مسعود الشابي الذي يعتبر مركزا ونواة المدينة، ويسمى كذلك جامع السوق نظرا لمكانه القريب من السوق وتوسعت عبره المدينة، ومن أقدم المساجد التي تأسست في مدينة قمار التقليدية، على اختلاف أمكنتها وتوزعها في المدينة نجد :

- **مسجد مسعود الشابي :**

يعتبر مسجد المسعود الشابي من أقدم المساجد وأولها من الناحية العمرانية، وله ارتباط كبير بالتاريخ الثقافي الديني لمدينة قمار التقليدية، وكذا ارتباطه بالعديد من الأحداث التي حصلت في البلدة أيضا مع ارتباطه ببعض الأساطير المتعلقة بتأسيس المدينة القديمة، فأسطورة العنزة والقربان التي ذُبحت على عتبة المسجد لمسعود الشابي حيث أُقيم هذا المسجد وبجواره أربعين مسكنا، تعود سنة تأسيسه إلى 1015هـ/1597م[1]، ومن الناحية العمرانية كان المسجد يتميز بالهندسة البسيطة وتوفره على عنصر القبة، التي تعتبر من العناصر المعمارية الدالة على الثقافة الإسلامية .

[1] حسونة عبد العزيز، مرجع سابق، ص 68.

▪**مسجد الشريعة :**

من المساجد التي بُنيت قديما، ويعد من المساجد التي كانت في بدايته مكان لتعليم القرآن أو شكل من أشكال الزوايا، ومع الوقت تم تحويله إلى أحد المساجد لإحدى أحياء بلدة قمار التقليدية، وسُمي في بعض المصادر التاريخية " بيت الشريعة " تأسس سنة 1667، من طرف أحد أحفاد مسعود الشابي في الجهة الغربية من البلدة، وسمي بكلمة بيت لأنه في بدايته تم بناءه على أساس أنه بيت لإيواء عابري السبيل ومدرسة لحفظ القرآن، ومع التغيرات التي حصلت جرّاء قدوم أولاد حميد للحي وتوسع الحي وزيادة السكان، وتغيرت وظيفة البيت إلى فضاء تقام فيه الصلوات الخمسة، وتم ترميمه عدة مرات في كل فترة، حتى يصل إلى صورة مسجد، من محراب أو مكان الوضوء وغيره من المرافق المكونة للمسجد.

▪**الزوايا ودور الكتاتيب :**

الزوايا كمؤسسة دينية لها العديد من الوظائف في فترة ما، وقدمت العديد من الخدمات للأهالي من مساعدات اجتماعية، وتعليم القرآن وغيرها من الدروس الشرعية، حيث عُرفت مدينة قمار **بالزاوية التيجانية** التي تعتبر مقصدا دينيا وسياحيا في الوقت المعاصر، وكان لها عدة أدوار على المستوى الاجتماعي والثقافي لمجتمع مدينة قمار، كما لها الامتداد التاريخي والمعماري، حيث تُعدّ من الزوايا الأولى التي أقيمت من طرف الطريقة التيجانية، حيث يعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 1204هـ/1789م ، على يد شيخ مقدم الطريقة السيد محمد الساسي القماري، وذلك بأمر من مؤسس الطريقة التيجانية الشيخ أحمد التيجاني[1].

تتراوح مساحتها المعمارية التي خطها محمود التونسي تقدر حوالي 81 متر مربع، لإقامة الشعائر الدينية من صلاة وقيام وتسبيح وذكر لله، وبعد فترة من الزمن جرت عمليات توسعة للزاوية على يد أولاد شيخ الطريقة التيجانية، وفي الوقت الحالي نجد الزاوية القديمة بقربها تابعة لها تسمى "المركز الثقافي للزاوية التيجانية بقمار" تابع للزاوية التيجانية، حيث تقام بها دورات تعليمية، والجزء الأول للزاوية أصبح نوعا من المقاصد السياحية الساحرة بعمارتها وزخارفها المتنوعة، خاصة ذات اللون الأخضر، وتحتوي كذلك على المدرسة القرآنية ،وكذا مكتبة تحتوي على العديد من المؤلفات أي لها عدة أدوار ووظائف تلبيها لمجتمع مدينة قمار.

[1] السعيد عقبة، " النشاط العلمي والثقافي للزاوية التبجانية بقمار، خلال القرنين 19 و20م"، في : **مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية**، المجلد 06، العدد 02، 2016، ص 02.

تعد الزاوية التيجانية من أهم المعالم العمرانية الدينية، التي تحمل هوية مدينة قمار فهي تعرف بها ومن خلالها، ولها دور في الجذب السياحي للمدينة، حيث يأتي إليها السياح الأجانب أو المحليين للتعرف على الزاوية، والاطلاع على تراث منطقة قمار، وكذا من الرموز المعمارية ذات الطابع الديني التي تساهم في بناءها بنائين من منطقة قمار وزخرفتها، وهندسة قبابها، ورغم التواجد الديني والمعماري للزوايا الأخرى، إلاّ أن الزاوية التيجانية نجد لها أتباع كثر في المدينة، وهذا ما نلاحظه في المناسبات من خلال طقوس الزواج، حيث يعقد العقد الشرعي فيها ويخرج العريس منها مشيا حتى وصوله لمكان الزواج، وأثناء المشيء تُنشد المدائح الدينية، وكذلك في ليلة المولد تقام بها طقوس الختان الجماعية كنوع من القيم الاجتماعية السائدة بمجتمع قمار.

5-2-2 الأحياء والشوارع الشعبية:

تعددت الأحياء الشعبية لهيكلة مدينة قمار التقليدية، ومع مرور الوقت ازداد التوسع العمراني وتوسعت معها الأحياء، وعرفت زيادة في النمو والهندسة، حيث تختلف الأحياء في أماكن وجودها ولكن تتشابه الهندسة وطريقة البناء والمواد المستخدمة في بناءها، كما تشترك في الأشكال الهندسية المعبرة عن هوية المنطقة الصحراوية، وتعددت العوامل التي تكمن وراء بناءها، حيث شكلت أبرز الفضاءات المجالية الدالة على المدينة التقليدية الإسلامية التي يراعى فيها جملة من التشريعات، التي بُنيت عليها الأحياء في المدينة الإسلامية، ومن جهة أخرى التسميات للأحياء القديمة حيث كل حي يحمل تسمية الجهة التي يكون فيها، أو تسمية تدلّ على شكله العمراني.

أسماء الأحياء في المدينة القديمة مازالت تُحافظ عليها الذاكرة الجماعية، والتي تحمل أسماء ذات أبعاد متعددة منها المكان الذي يقع فيه الشارع، فكل شارع له ميزاته الهندسية وشكله العمراني، وكذا الأفراد الذين يسكنون فيه، فكل حي يحمل اسم، وكذلك الأبواب الرئيسية المكونة للمدينة القديمة لها دلالة من التحولات الحاصلة على مستوى الفضاء المديني والنسيج الحضري العمراني.

ومن المؤشرات الحضرية التي تُمثل نقلة من المدينة التقليدية إلى المعاصرة، التغير في التسميات للأحياء الشعبية والشوارع التي أصبح في تسمياتها بعدا يعبر عن الهوية الوطنية، من أسماء مجاهدين أو غيرها، على اختلاف مناطق تابعة لمدينة قمار سواء الحضرية منها أو الريفية أو على أطرافها التي مسها هذا النوع من التغير، لكن هذا النوع من التحول ذا طابع إداري، فنلاحظ أن الذاكرة الجماعية تحمل هذه الأسماء وتناقلتها الأفراد عبر الأجيال وتربت عليها وعلى تلك التسميات ،فطُبعت في ذاكرة الجماعة والمجتمع ، وما زال محافظ عليها، ومن أبرز الأحياء القديمة التي كونت الهندسة العمرانية لمدينة قمار

التقليدية ،تلك التي ذكرها الباحث عبد العزيز حسونة في دراسته ذات الأبعاد الأثرية والعمرانية لمدينة قمار :

- **حي السوق:**

من الأحياء الأساسية والقديمة من حيث النشأة التاريخية والعمرانية في المدينة، والذي يعتبر نواتها حيث تتفرع وتتوزع باقي الشوارع الأخرى المجاورة له، يحده من الجهة الشرقية زقاق البراطيل، ومن الجهة الشمالية حارة اليهود والمعبد الخاص بهم، والجهة الجنوبية مقبرة قمار، وفي الجهة الغربية مسجد الطاهر تليلي، ومن خلال تسمية الحي نجده يعبر عن جزء من السوق الذي له مكانة ووظيفة اقتصادية.

- **حي باب الشرقي:**

ويسمى في الثقافة الشعبية لمجتمع قمار في القديم أو حاليا " بالفج "[1]، الذي به الزاوية التيجانية، حيث له جهتين الشرقية والجنوبية التي تربطه بالمزارع الفلاحية للنخيل، تسكنه عائلات ذات سلطة ونفوذ، وكذلك بعض من العائلات اليهودية.

- **حي الباب الظهراوي:**

يتميز هذا الحي باتصاله العمراني بباقي الأحياء الأخرى ،سواء حي السوق أو الأحياء التي تتصل بالمقهى الشعبي، الذي يحمل اسمه مقهى بوكحة، يتميز الحي بكثافة سكانية كبيرة على غرار أحياء أخرى، وتنفرد الأحياء كذلك من الناحية الهندسية فتكون ضيقة وملتوية عند المرور بها، وتتسع عند الوصول إلى آخر الحي أين توجد هنالك الرحبة*، ومن المعالم الدينية التي تعبر عن عمقه العمراني مسجد "الزرياطة ومسجد الدغمان"، أقام به الاستعمار الفرنسي مخازن لتخزين محاصيل التبغ بما يسمى "برج الدخان"[2] ومازالت موجودة في الوقت الحالي.

- **حي باب الغربي :**

من الأحياء المكونة لأحد الأبواب الثانوية لمدينة قمار التقليدية، يتميز هذا الحي بكونه يشكل معبرا وهمزة وصل بين بلدة قمار القديمة، وبعض المناطق المجاور لها، وموقعه من الجهة الغربية يحده حي أولاد حميد ومن الجهة الشرقية مسجد الحطابي، ومن الجهة الجنوبية مسجد المعهد والمقبرة، التي كانت

---

[1] عبد العزيز حسونة، مرجع سابق، ص 63.

*الرحبة: هي فضاء يكون واسعا وفارغا ومنخفضا تتجمع فيه الأفراد من كل مكان سواء للجلوس أو عمليات التبادل والبيع والشراء، تتميز بلدة قمار القديمة بوجود الرحبة كفضاء مهم في هندسة مدينة قمار التقليدية.

[2] عبد العزيز حسونة، مرجع سابق، ص 64.

قديما بعيدة عن مركز المدينة، وفي مكان بعيد عن السكنات، ومع الوقت ازدادت عمليات بناء السكنات حيث تغير الوضع وأصبحت تشكل عائقا في عملية التوسع.

في الوضع الحالي تغير حي باب الغربي نتيجة عمليات البناء والتعمير المستمرة، ويعدّ الباب الغربي في الوقت الحالي من الأحياء الاقتصادية، لما يحتويه من المحلات التجارية والمرافق الأخرى العصرية، كالمقاهي والفضاءات والساحات الخضراء وكذلك المرافق ذات الأبعاد الخدماتية.

- **حي باب القبلي:**

من الأحياء التي تعتبر حديثة على باقي الأحياء السالف ذكرها، وهذا نتيجة لسياسة التعمير والزيادة السكانية التي عرفها مجتمع قمار في تلك الفترة، وكذا مخلفات الاستعمار الذي أثر على بعض الأحياء، من خلال إنشاء بعض المرافق الصحية والخدماتية، وبين حي باب القبلي الغربي يفصل بينهما مسجد المعهد، متقاربان في المسافة العمرانية.

5-2-3 الأسواق الشعبية:

تعدّ الأسواق من المراكز المهمة في التخطيط والهندسة الكلية للمدينة، فموقع السوق عادة يكون في قلب المدينة، في بلدة قمار القديمة "تأسس السوق في الجهة الغربية للبلدة القديمة، غرب مسجد مسعود الشابي"[1]، ومع تطور النسيج العمراني للمدينة، تمّ بناء مسجد السوق من الناحية الغربية ،ومن الجهة الشمالية تم إقامة المعبد اليهودي، ومسجد سي سعيد ،ومسجد الطريقة الشابية، فجعلت السوق وسط كل هذه المعالم القديمة للبلدة، ومع تطور الحركات الاقتصادية والمبادلات التجارية مع مناطق خارج ولاية الوادي، ظهرت الدكاكين والمحلات التجارية خاصة المبادلات مع النمامشة *وبلاد واد ريغ وبلاد الجريد التونسي وبلاد الزاب، قامت السلطات الفرنسية ببناء مبنى للسوق سنة 1877 م، كان فضاء مسقف بالأدماس، يحتوي على دكاكين ومحلات ،ومع الوقت تمت إزالته وبناء سوق آخر بالناحية الشرقية للمقبرة.

للسوق مكانة ودور مهم في المدينة من الناحية الاقتصادية، ومن خلال عمليات البيع والشراء أو النواحي الاجتماعية، وتتميز الأسواق الشعبية بطابع مميز وظواهر ثقافية لا نجد لها أثر بالأسواق في المدينة المعاصرة، ومن تلك المظاهر **البَرَّاحْ** الذي له وظيفة مهمة وبارزة في المدينة التقليدية، حيث يخبر

[1] التجاني العقون، مرجع سابق، ص 173.

*النمامشة : تسمية يطلقها أهل بلدة قمار على أهل ولاية خنشلة .

النساء بضياع أشياءهم وممتلكاتهم من حيوانات وغيرها، كما نجده يجول الأسواق والرحبات ومختلف أماكن اجتماع الناس ليوصل الأخبار إليهم.

تختلف الأسواق الشعبية على حسب الأيام التي تقام فيها، أو على حسب السلع المعروضة، ويحمل السوق اسم ومدلول الأيام أو تلك السلع التي يختص بها دون غيره، ويحتوي على مهن أخرى كالخياط والنجارة والحدادة والطبخ كبيع الفول والحمص خاصة من الصباح إلى الليل، كما يعرف ازدحاما يوم الجمعة، ومن أشهر أسواق المدينة التقليدية:

➢ **سوق القمح:** يباع في رحبة تسمى رحبة سوق القمح، وهي عبارة عن فضاء واسع، تحط فيه الإبل المحملة بالسلع من الحبوب القادمة من النمامشة وتبسة وبئر العاتر، تأتي يوم الأربعاء ويستمر قدومها إلى صباح الجمعة، وهو اليوم الذي يقام فيه السوق ويستمر إلى غاية يوم السبت ويغادرون يومها، محملين بالتمر بعد مقايضته مع مواد أخرى كالحبوب، وتتم عملية البيع وفق ثلاثة أطراف وهم:

☒ **البائع:** وهو الشخص الذي يبيع، ويكون من خارج البلدة سواء من خنشلة أو تبسة أو تونس.

☒ **العيار:** " (أين باقي التهميش؟) مصطلح محلي يعنى به المكيال الذي يكيل مختلف أنواع الحبوب، وهو الوسيط بين البائع والمشتري، ويقبض ثمن أجرا مقابل ما قام به أي من خلال أخذه نصيب من الحبوب.

☒ **المشتري** : أو ما يسمى الشاري، وهو الطرف الذي سيقايض البائع .

☒ **المكيال** : في الحبوب يكون مكيال الوزن –ربعي بالمعنى أربع كيلو، والنصافي العشوري وهي أجزاء من الربعي، **يوضح الجدول رقم (02-04)** مختلف المكاييل والموازين ،ونوعية الميزان المستخدمة في عملية البيع والشراء، حيث تتم عمليات البيع والشراء عن طريق المقايضة فهي ثقافة وأسلوب قديم في التعاملات التجارية نظرا لقلة النقود.

▪**المكاييل:**

الجدول رقم (02-04): يوضح المقادير المستعملة في عملية البيع والشراء في الأسواق الشعبية لمدينة قمار

المكيال	مقداره
الربيعي	1/2لتر أو 1/2غ
نصف العشوري	1لتر أو 1غ
العشوري	2 لتر أو 2غ
الربعي	5لتر أو 5 غ
النصافي	10لتر أو 10غ
القلبة	2لتر 04 ارباع

المصدر: من كتاب التجاني العقون "على أضواء مدينة قمار بوادي سوف "، ص 192.

▪**الموازين:**

الجدول رقم (02-05): يمثل الجدول أنواع الميزان المستخدمة في البيع والشراء في الأسواق الشعبية

اسم الميزان
الميزان الروماني (الرومانه)
روبرفال
البسكولة

المصدر: من كتاب التجاني العقون: "على أضواء مدينة قمار بوادي سوف"، ص 192.

➢ **سوق الماء**: يُباع فيه الماء العذب الصالح للشرب، يجلبونه من آبار خارج البلدة بواسطة القُلة، ويتم حملها والمجيئ بها إلى السوق عن طريق الحيوانات، حيث يقومون بتبريد تلك المياه من خلال وضع القلة في كتان الخيشة ويباع بالطاس، الطاس الواحد 1 فرنك.

➢ **سوق الكسوة**: يحمل هذا السوق خلف وجوده وتكوينه ضمن النسيج العمراني حكاية شعبية ،مفادها أنّ أحد التجار الأغنياء يدعى الطاهر العامري تعود أصوله إلى بلدة قمار، ينسب إلى عائلة الحطابية والتي يعود أصلها الى ولي صالح عبد الرحمن الحطابي ،وهذا التاجر يملك سوق في عين البيضاء – أم البواقي –، حيث كان يتنقل من مكان إلى آخر، ولمّا تقدم في السن وعجز عن السفر والتجارة، قرر بناء سوق في قمار 1888 م بنفس المواصفات العمرانية لسوق عين البيضاء، وفي الوقت آنذاك كان السوق من أفخم الأسواق من ناحية عمرانه وهندسته ،حيث يحتوي على طابقين، وجلب العمال المشرفين على البناء من بلاد تونس .

كان عبارة عن فضاء مفتوح من الجهة الغربية بقوس كبير، ومن جهة الغرب كذلك وجود قوس كبير، وهذه المسافة بين القوسين مسقوفة بالأعمدة والسدّة والأخشاب. في بدايته كانت تباع فيه الكسوة الصوفية، بعدها تنوعت فيه المبيعات لتشمل بيع أنواع مختلفة من المنسوجات والبرانيس الصوفية والقشابية، قديما لا يخلو بيت من المنسج أو عمل الصوف تصنعه النساء ويقوم الرجال ببيعه فيه، وكانت مواعيد العمل فيه يومي الأحد والاربعاء.

تتم عملية البيع على أربع أطراف:

☒ **البائع:** هو صاحب المفروشات ومختلف السلع من الصوف.

☒ **الدّلاّل:** هو الوسيط الذي يبيع ويشتري ويدلّ المشتري والبائع على السلع.

☒ **التاجر:** يتبع الدلال في شراء السلعة.

☒ **المَكّاسْ:** هو الشخص الذي يشتري السوق لمدة عام مثلا، ويأخذ أجرة كلّ تاجر قام بعملية البيع بالسوق، وفي سوق المنسوجات يأخذ قيمة معينة على كل قطعة تباع من كلّ تاجر، وما يزال موجودا في أسواق الخضر وغيرها على اختلاف السلع.

أغلب التجار من بلدة قمار يقومون بتصدير تلك الكسوة والمفروشات إلى مناطق أخرى مثل: أسواق قسنطينة ووهران وعنابة والجلفة، وكذا أغلب مناطق تونس، فهناك مبادلات تجارية على مدار العام بين منطقة سوف وتونس، كان نأتي بها من تونس أو العكس.

5-2-4 المقاهي الشعبية:

اشتهرت مدينة الوادي ببعض المقاهي الشعبية التي يعود أصلها إلى حقبة الاستعمار أو ما قبلها، حيث اشتهر بها مقهى شعبي يسمى " **مقهى زقاق البيرو**" [1]، الذي تعود دلالة اسمه نسبة إلى تسمية حاكم فرنسا، الذي كان يقيم في نفس الشارع الذي كان فيه المقهى، كما تعدّ تراثا عمرانيا وفضاء اجتماعي يعبّر عن أصالة منطقة الوادي، ،يسمى صاحبها بـ"**سعيد زروق**" لتتوارثها العائلة جيلا عبر جيل، وما يزال محافظا على ملامحه القديمة وأصالة المكان كالجلوس على الحصير والألعاب الشعبية المختلفة، والأواني التي تستعمل في طهي القهوة والمصابيح القديمة.

[1] جريدة التحرير، "**مدير المقهى الشعبي "مقهى زقاق البيرو" السعيد رزوق للتحرير: نطالب السلطات المحلية والمخلصين من أبناء المنطقة للمساهمة في ترميم هذا المعلم وغيره من تراثنا التقليدي**"، https://www.altahrironline.dz، 9:00، 2024/08/20.

في بلدة قمار أقيمت العديد من المقاهي، واختلفت زمنيا في بناءها، كما اشتهرت في بلدة قمار القديمة مقهى أو اثنين شعبيتين، التي تعتبر فضاء لشرب الشاي والقهوة وممارسة الألعاب الشعبية، وتوزعت المقاهي الشعبية بالبلدة القديمة على مختلف الجهات الظهراوية والغربية، كما توجد مقاهي مجاورة للأسواق الشعبية في البلدة، ومع مرور الوقت أصبحت هناك مقاهي مخصصة لشرائح اجتماعية معينة: كالعمال مثل: مقهى **لزعر العيد**، وغيرها من المقاهي التي اتسعت وأصبحت فضاءات حديثة ومتطورة في مدينة قمار، واختلفت التصورات الاجتماعية للمقاهي.

سادسا: الأساطير المؤسسة لمدينة قمار:

تناولت العديد من الدراسات على اختلاف اهتماماتها المعرفية والمنهجية، الأسطورة كمجال بحثي مهم ، له الدور الأساسي في فهم المجتمعات وثقافتها، وتعددت التعاريف للأسطورة من حيث الرؤية الخاصة لكلّ عالم أو باحث، فالأسطورة تشكل جزء من "الواقع الثقافي المعقد جدا "[1]، ومن تعاريف الأسطورة في" معجم مصطفى سليم في قاموس الانثروبولوجيا الإنجليزي العربي يقول المترجم: **"Mythe** القصة التقليدية ومن عالم موجود وزمن غير معروف،" [2] يختلف أبطالها من آلهة أو أرواح شريرة أو خيّرة، أبطال خارقين، وتفسر الأسطورة نشأة ومعاني الممارسات والمتعقدات، ومجمل الظواهر الطبيعية، وكلمة **"Mythologie"** هو ترجمة لعلم الأساطير واختلفت المقاربات الأنثروبولوجيا في دراستها للأسطورة كعنصر ثقافي له دور في النسق الثقافي والاجتماعي داخل الثقافات المختلفة سواء الأولية أو المعاصرة.

ومن ناحية أخرى نجد لمدينة قمار بُعدًا آخر ساهم في تشكليها العمراني، إلاّ أنّ البعد الأسطوري حاضر وبقوة في تشكل بلدة قمار القديمة، فالعديد من المدن "أسست على فكر أسطوري ساهم في بناء معالمها المعمارية والثقافية، وشكل لها مخزون ثقافي" [3]، وتنتقل الأساطير من الأزمنة القديمة إلى المعاصرة، وتظهر أكثر في العادات الاجتماعية والطقوس والممارسات في أزمنة مقدسة وأمكنة لها بعد مقدس في الفضاء المديني، حيث تهتم الدراسات الحضرية بالاستمرارية الحضارية للأسطورة في ثقافة المدن سواء الثقافية أو العمرانية، ومن أبرز الأساطير المتداولة والتي يُعتقد أنّ لها دورا في تأسيس المدينة

---

[1] سعيدي محمد، "الأنثروبولوجيا والأسطورة كلود ليفي ستروس أنموذجا (2009– 1908)"، في **: مجلة الفكر المتوسطي**، المجلد 09، العدد 01، 2020، ص 84.

[2] سعيدي محمد، المرجع السابق، ص 85.

[3] حبيب سعيدة، شوقي قاسمي، مرجع سابق، ص 77.

وامتدادها العمراني، فعمارة مدينة قمار لها الخصوصية والدلالة الأسطورية ، ومن أبرز الأساطير التي حملت هوية مدينة قمار في مضامينها من خلال الطقوس والممارسات التي قام بها أفراد البلدة نذكر:

- **الأسطورة الأولى : أسطورة الحجر والرصد الحامي لبلدة قمار:**

تحكي هذه الأسطورة عن شيخ أتى من مكان بعيد، ويُقال أنه أتى من جهة الأندلس، فحطّ الرحال ببلدة قمار وبقي فيها ثلاثة أيام وليال، فقام أهل البلدة بتكريمه والعطف عليه مدة بقاءه في البلدة، أراد الشيخ أن يَرُدّ معروف الضيافة والكرم الذي وجده من أهل البلدة، فشكى له أهل البلدة حالهم، وأنّ هناك قوة شريرة تترصد بهم، وتتوعدهم بالقضاء عليهم، وأنها سوف تزول بعد أربعين عاما، فقدم لهم الشيخ حلا لكل شكواهم ومخاوفهم، وأتى بحجر وكتب عليه طلاسم، وأوصاهم بوضع هذا الحجر في أحد جدران البلدة، ويكون هذا الجدار أول جدار تشرق فيه الشمس وآخر جدار تغرب به الشمس، ولا يعرف أحد مكان الحجر وموضعه إلاّ أربعة من الأشخاص فقط، ويكونون من كبار أهل البلدة، ويتصفون بالأمانة، وكلّ شيخ منهم قبل وفاته يخبر الذي بعده بمكان الحجر والطلاسم، ويوضع الحجر في جدران المدينة ليلاً، دون أن يراه أحد من الشيوخ الأربعة، وبقيت هذه الأسطورة الحجر الطلسم تتداول على ألسن أهل البلدة، وفي اعتقادهم أن الحجر الطلسم قد حمى بلدتهم من الشر والزوال، واتسعت حدود المدينة من الجهة الشمالية والغربية .

- **الأسطورة الثانية: أسطورة العنز الحمراء :**

ترتبط هذه الأسطورة بحيوان الماعز، والطقوس الممارسة من طرف أهل البلدة لحماية بلدتهم، فأسطورة الماعز هذه لها ارتباط بأسطورة الشيخ والطلسم والحجر الحامي للمدينة، وما زالت حاضرة في المتخيل الجمعي لأفراد مدينة قمار في العصر الحالي، عانت البلدة قديما من نقص في أفرادها، حيث وصل عدد العائلات بها أربعين عائلة، فلم يشهدوا زيادة في عدد أفراد العائلات منذ مدة زمنية طويلة، وشكوا للشيخ الذي وضع لهم حجر الطلسم لحماية بلدة قمار القديمة.

أمرهم الشيخ بذبح حيوان العنزة، بشرط أن تكون العنزة حمراء اللون، ويوزع لحمها على الأربعين عائلة، وقدم إليهم طريقة عمل هذا الطقس، حيث يقدمها صاحبها قربانا، وتحصل عملية تبادل بينه وبين العائلات، من خلال كل عائلة تقدم قفة من التمر، مقابل إعطائهم تلك العنزة ذات اللون الأحمر، يقوم رجلان أو رجل وامرأة بسحب العنزة والدوران حول مقر سكن الأربعين عائلة، ابتداء من وقت صلاة العشاء إلى وقت الفجر ليلة الجمعة ،أي يوم الخميس يبدأ الطقس من وقت صلاة العشاء إلى غاية فجر الجمعة، وتُذبح العنزة بقرب مسجد سيدي مسعود الشابي، وتكون هذه الطقوس والممارسات في الأسبوع

الأول من الصيف، ويُوزع لحم العنزة التي ذُبحت على الأربعين عائلة، وبعد الطقس بأربعين يوما من فصل الصيف يُحرق الشحم "الشحمة "، في أحد الغيطان البعيدة عن مقر الأربعين عائلة.

في ثنايا الأسطورتين، العديد من الدلالات الحاملة لجملة من المعتقدات خلف تلك الممارسات والطقوس، انطلاقا من العدد أربعة في عدد الشيوخ، والعائلة عددهم أربعين، وكذا أربعين يوما من فصل الصيف، واختيار لون العنزة المقدمة كقربان وذبحها في مسجد مسعود الشابي، كلها دلالات تبرز الخلفية الثقافية لأهل بلدة قمار القديمة، ولفهم تلك الأساطير المتعلقة بتأسيس بلدة قمار القديمة من خلال المقابلة مع أحد الإخبارين حول أسطورة الشيخ والشيوخ الأربعة " الشيوخ الأربعة يقال أن أسمائهم سيدي مروان، وسيدي داود، وسيدي عبد الله الغريب، وسيدي مسلم، وهذا الأخير تعود أصوله إلى تغزوت، كل واحد فيهم مدفون في جزء من بلدة القديمة، سيدي مروان، وسيدي مسلم في جهة القبلة من البلدة، والاثنين الآخرين من الجهة الظهراوية"[1]، وكل شيخ من هؤلاء له مدفن خاص به، وهناك من بقي مكانه ومعروف مكان دفنه، كسيدي عبد الله الغريب تقام على مدفنه جملة من الطقوس والعادات كنوع من البركة.

أسطورة القربان، التي قدمت حيوان الماعز لزيادة عدد السكان في البلدة القديمة، تُسمى في الثقافة الشعبية "عنز النُشْرَهْ" يتميز هذا النوع من الماعز بلونها الأحمر، وهذا اللّون له رمزية ودلالة ثقافية في ثقافات مختلفة، فهو لون الدم ولون النار "إذن الحياة"[2]، ومن الألوان التي لها رمزية في الديانات السماوية أو الصوفية فهو لون ذو "رمزية قربانية[3]"، يحمل اللون الأحمر دلالة الشرّ ولون الشيطان والجحيم في المتخيّل الشعبي، وكذا لون ذو دلالة جنسية يعبّر عن الرغبة في ثقافات أخرى، وهذا التنوع في الدلالات راجع إلى كون أنّ لكلّ ثقافة تعبير معين عن الألوان .

أمّا في الثقافات الشعبية لبعض المجتمعات، نجد لها دلالات تعود إلى الأساطير القديمة، فالتيس مثلا: نجده على رسوم بعض الكنائس والتماثيل في حضارات قديمة، فكانوا قديما "عند جني محاصيل القمح، يقومون بتمثيل الأرض والاستقرار ويتظاهرون بقتل التيس وربطه مع جراب القمح، وذلك من أجل البذور التي سوف تأتي، وفي هذه الحالة يعتبر التيس رمز الخضب " [4]، ومن خلال هذه الدّلالات التي ذُكرت نستطيع تقريب تلك الرمزيات في أسطورة الماعز، من خلال لونها وارتباطها بقفة القمح التي في

---

[1] مقابلة (ح .خ) على الساعة 9:41 ص-11:00 ص، 2023/12/24.

[2] فيليب سيرينج، "**الرموز في الفن –الاديان– الحياة**"، تر: عبد الهادي عباس، محفوظ لدار دمشق، 1992، ص 425.

[3] فيليب سيرينج، المرجع السابق، ص 450.

[4] فيليب سيرينج، مرجع سابق، ص 88.

طقس التبادل، وكذا ذكر أهل بلدة قمار أن عددهم لا يزيد ونقص في المحاصيل للقمح، وكذا ارتباط حيوان العنز وتقديمه قربانا من أجل زيادة معدل أفرادهم ،فهذا الطقس يدخل الممارسات لزيادة خصوبة وارتفاع عدد الكثافة السكانية وعليه زيادة عدد الأفراد، وبالتالي ارتباط حيوان الماعز بالخصوبة .

نلاحظ كذلك في الأسطورتين تكرار لعدد أربعة ،سواء في عدد الشيوخ الأربعة الحارسين للحجر والطلسم، وكذا الأربعين يوما من فصل الصيف، وأن تشارك العدد في كلاهما دلالة عن مدى عمقه الثقافي في مجتمع **قمار**، فدلالته تكون وفق قداسة الاتجاهات الأربعة، أو المكونات الأربعة للحياة، وتختلف رمزية العدد في الثقافات الشعبية والدينية، فغالبا ما يرمز إلى الأرض"[1] ، وكذا ارتباط عدد الشيوخ الأربعة، فكل شيخ دُفن في جهة من الاتجاهات الأربعة للبلدة القديمة، بينما يرمز العدد الأربعون إلى فترة الصيام في ديانات مختلفة، حيث يرمز آلة فترة تطهير للنفس.

اختلفت الأساطير المؤسسة لجملة من المناطق لمدينة الوادي، **بلدة كوينين** وهي من المناطق القريبة لبلدة قمار، حيث تعود أسطورة تأسيسها وقصتها التي ذكرها الباحث **أندريه روجيه فوزان** في كتابه: مونوغرافيا سوف "يروى أن الولي الصالح الشيخ سيدي المسعود الشابي وهو أحد الصالحين" [2] في بلدة وهو شخص كريم متعاون مع الناس، مرّ عليه شخص ما يشكو حاله البائس، وأنه بحاجة لبيت يأويه هو وعائلته، فنصحه الشيخ بالنزول إلى ربوة كانت معزولة، مع مرور الوقت أحس الشخص بوحشة لعزلته وبقاءه لوحده مع عائلته الصغيرة، فأخبره الشيخ أن يُوقِد موقده، ويترك دخان النار في الموقد ليستدرج الناس والتعرف على مكانه الذي تسكن به، مع مرور الوقت سكن بتلك الربوة عدة عائلات حملت تلك المنطقة اسم "**كوينين**" هي تصغير لكلمة **كانون** وهو اسم شعبي للموقد الذي يشعل فيه الحطب في الشتاء.

- **بعض من الأساطير لمناطق مجاورة لمدينة قمار :**

هنالك أساطير تعود إلى قصة خيالية، أو لتفسير طقس مزال يعرف استمرارية في الزمن المعاصر، سواء التي تبرز في طقوس وممارسات وَعْدَة وليّ صالح، أو مرتبط بظاهرة معينة، مثل: الكثبان الرملية المتحركة، والتي تعرف وتمارس لحدّ الآن العديد من الطقوس، وتختلف تفسيراتها في مجتمع مدينة الوادي، فالمدن التي يعود تأسيسها إلى أسطورة معينة تخصها دون غيرها "يجعل منها تاريخ دائما قابل

[1] جان .م . صدقه، "**معجم الاعداد رموز ودلالات**"، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1994، ص 23.

[2] أندريه روجيه فوزان، مرجع سابق، ص 172.

لإعادة التفكير فيه نظرا لأهميته"[1] ،وتكتسب المدينة تاريخ مقدس في تأسيس عمرانها "، وكذا الأسطورة من التفسيرات الثقافية والتاريخية، التي تعود إليها الدراسات الحضرية لبناء تاريخ المدن من الناحية العمرانية، وكذا فهم مجمل العادات والتقاليد الاجتماعية التي يمارسها أفراد المدينة في مجالهم العام وفي أجزاء مختلفة من الفضاء المديني.

يحمل تاريخ مدينة قمار القديمة العديد من الأساطير في التاريخ الثقافي، التي تتداول على ألسنة أهل البلدة، والموجودة في مصادر تاريخية وجغرافية تناولت بلدة قمار في دراساتها، ومن بعض أساطير المحلية التي تتداول، أنّ هناك جنية لها روح شريرة، تقطع كل عام تدمّر النخيل ومحاصيل تمر الجهة الشمالية، من بلدة قمار فتخرب الأراضي الفلاحية وعراجين التمر، فتترك الأهالي جوعى وتخرب عليهم أراضيهم.

فذهب أهل البلدة إلى وليّ صالح اسمه "سيدي بن جدو وهو ابن ولي صالح سيدي بورقعة"[2] الساكن بمنطقة الجريد، الذي له صلة قوية بأهل بلدة قمار، فكان يأتي إليها فيكرمه أهل البلدة كل سنة، فاستنجد به أهل البلدة وهي بلدة شمال قمار اسمها "غمرة" ، لكفّ شر الجنية وإنقاض محاصيلهم، فيُحكى أنه: "امتطى جواده وذهب لمكان وجود الجنية، والتي قتلها وهزمها، فجرّ رأسها وهو يركض بعيدا على فرسه، وفي اليوم التالي وُجد فرسه مرميا ميتا في مكان بعيد، أمّا هو والجنية لم يعثر عليهما، رغم عمليات البحث التي قام بها أهل البلدة لمدة طويلة، وبعد فترة من الزمن، وفي ذلك المكان الذي وقعت به المعركة بين الجنية والولي الصالح أصبح مكانا مقدسا وسُميت بذلك "القارة"[3]، وباتت تقام فيه وعدة سيدي بورقعة، ويوضع عرجون من التمر في كلّ غوط من الأغواط التي يملكها أحفاد الولي الصالح.

كل أسطورة من الأساطير، وإن غاب زمانها بقيت ثابتة في المتخيل الجمعي لأهل البلدة، من خلال إحياءها وإعادة إنتاج تلك الذكرى أو الحادثة، التي كانت في ذلك المكان، وتنتقل الأمكنة من أمكنة عادية إلى أمكنة مقدسة تمارس فيها العادات والتقاليد، كنوع من إعادة إنتاج تلك الأسطورة والأحداث، والمحافظة عليها واستمراريتها عبر أزمنة مختلفة، حيث تختلف الممارسات، سواء التي تحمل طابع القداسة أو التبرك بالولي صالح.

---

[1] حبيب سعيدة، شوقي قاسمي، مرجع سابق، ص 81.

[2] أندريه روجيه فوزان، مرجع سابق، ص 172.

[3] أندريه روجيه فوزان، مرجع سابق، ص 173.

تتناقل تلك القصص والأساطير التي تحمل جزء من التاريخ الثقافي للبلدة، والذي يُعتبر مجال خصب لتعدد الروايات والأساطير، سواء التي تحكي دلالات مكان معين وتعود به إلى الماضي البعيد، أو نفهم من خلالها الخلفيات الثقافية وراء تلك الطقوس والممارسات، التي تكون في مناسبات مقدسة كالوعدة والزردة أي معروف لولي صالح، له قداسة عند أهل البلدة حيث يتبركون به، ومظهر من مظاهر السلوك الديني المحلي الشعبي، ومعتقدات ذات أبعاد شعبية، تناقلها أفراد المجتمع لتعبر في الأخير عن جملة من الأفكار، التي يعتقدها ويؤمن بها الفرد ويعبر عنها من خلال سلوكيات نلاحظها في الطقوس والمناسبات المحلية المقدسة.

خلاصة الفصل:

في هذا الفصل تمّ التطرق إلى دراسة مونوغرافية اجتماعية لمجتمع مدينة قمار التقليدية والمعاصرة، وكذلك التعرف على مدينة قمار جغرافيا وموقعها الفلكي ومختلف مكونات النسق الايكولوجي الذي يميزها كمدينة صحراوية سواء من ناحية العوامل المناخية أو التضاريس التي تبرز موقع المدينة والمميزات الجيولوجية للتربة ومختلف مكوناتها.

كما شمل كذلك دراسة على المستوى الاجتماعي والتعرف على المكونات المختلفة لمجتمع مدينة قمار على اختلاف الأعراش والألقاب التي تحتويها والسكان الأجانب الذي يعتبرون مكوّنا اجتماعيا وجزءا من مجتمع مدينة قمار التقليدية، وأهم المعالم العمرانية والمعمارية المحلية الشعبية التي تبرز هوية مدينة قمار كمدينة أثرية لها العمارة المترجمة لخصوصية المدينة التقليدية خاصة، وذكر البعض من المظاهر الثقافية التي تبرز الثقافة المحلية لمجتمع مدينة قمار والتعرف عن قرب عن الممارسات الثقافية والعادات الاجتماعية المميزة لمجتمع مدينة قمار.

الفصل الثالث: المسكن بمجتمع مدينة قمار.

- تمهيد
- أولا : أشكال المسكن بمجتمع مدينة قمار
- ثانيا : ثقافة البناء بمجتمع مدينة قمار .
- ثالثا : مواد بناء المسكن بمجتمع مدينة قمار بين الثقافة المحلية والمعاصرة .
- رابعا : الوحدات العمرانية للمسكن بمجتمع مدينة قمار .
- خامسا : القيم المستحدثة للمسكن المعاصر بمدينة قمار.
- خلاصة الفصل

تمهيد

في هذا الفصل نتطرق إلى المسكن بمجتمع المدينة في الثقافة المحلية والمعاصرة، وعمل المقارنة بين القيم التقليدية والمعاصرة التي أنتجتها ثقافة البناء في الحالتين، حيث نوضح فيه أشكال المسكن التقليدي والمعاصر ، والتعرف على ثقافة البناء المحلية المتعلقة بمواد البناء وخصائص وأماكن تواجدها، وأهم الوحدات العمرانية والمعمارية للمسكن التقليدي لتحديد وظيفتها وفق الثقافة المحلية للمجتمع التقليدي، والشكل المعاصر للمسكن ومختلف أنماطه المختلفة وشكل المسكن دون غيره من ثقافة البناء الحديثة التي يعرفها المجتمع، وما أفرزته تلك الهندسة المادية من قيم ثقافية، كما سندرسها من ناحية الثبات والتحوّل وأثرها على البنية المجتمعية لمجتمع قمار ككل .

أولا: أشكال المسكن بمجتمع مدينة قمار:

تختلف الأنماط العمرانية للسكن التقليدي على اختلاف الأزمنة والأمكنة الطبيعية وتختلف أشكالها وفق ما يتناسب مع الظروف الطبيعية لمجتمع مدينة قمار ومن أبرز الاشكال العمرانية المحلية التقليدية التي عرفها مجتمع مدينة قمار نذكر ما يلي:

1-1 أشكال المسكن التقليدي بمجتمع مدينة قمار:

للمسكن في مدينة قمار أشكال وأنماط مختلفة، تميزت أشكاله بالبساطة وكلّ شكل من الأشكال تتميز به منطقة ما ظهر فيها نتيجة لعوامل عدة ووفق حاجيات مختلفة تتناسب وظيفيا مع البيئة المحلية الثقافية والطبيعية، ومن المصادر التي ذكرت هذه الأنماط نجد الباحث في تاريخ وتراث المنطقة **التيجاني العقون** في كتابه "**على أضواء مدينة قمار**"، بالإضافة إلى بعض المقابلات نظرا لقلة المعلومات الخاصة بالمسكن الشعبي في مدينة قمار، من أبرز تلك الأشكال نذكر منها:

1-1-1 زرائب الجريد أو السعف: تختص المناطق الفلاحية والريفية بهذا النمط من البيوت وتسمى **الغيطان** ومفردها **الغوط***، وهو المكان المنخفض، ومن أوائل ما سكن الفرد السوفي، نظرا لتلبية حاجياته على اعتباره فرد يمارس نشاط الفلاحة، ويكون اتجاهه على عكس اتجاه الرياح أي الجهة الغربية الجنوبية، وتوضع فيه أغراضه التي تلزمه للعيش ومواده وأدواته الفلاحية، ويكون السكن فيه أغلب فترة الصيف أو وقت المحصول.

تتكون مواد بناءه من جذع النخلة ومختلف عناصرها ومكوناتها، مثل الجريد الكرناف الخشبة، واللّيف، وبعض من نبات الحلفاء المنتشر بالصحراء، حيث يستعمل جذع النخلة كأوتاد، واستعمل كذلك الحديد، عند استعمال الفلاح لتقنية البيوت البلاستيكية تحاط بالحلفاء وأنواع مختلفة من الجريد وتُسد الفجوات باللّيف وكلّ مسافة تُحزم ويسمى **بالحزام**، ويسمّى **الزرب*** من الوسط ويحزم بقوة حتى لا يفلت.

وهذا البيت كان أسلوب معاش الفلاح للبقاء جوار أرضه ونشاطه اليومي وللمبيت، خاصة وقت القيلولة أو في فصل الصيف، ويُعرف في مناطق أخرى بـ "**البورطال**" ، وعرفت تواجد كبيرة في مناطق أبرزها: (لبدوع، الهود، غمرة، الجديدة، أميه صالح وغيرها من المناطق ذات الطابع الفلاحي).

ومن خلال كلام أحد المبحوثين حول هذا النوع من أنماط السكن التقليدي: " نرحلوا فيه ونشتوا فيه– فصل الشتاء نحطوا فوقه قطع من البلاستيك أو الباش*[1] دلالة على الرحيل إليه كمسكن للعيش في فترات معينة في الشتاء، حيث يوجهه للقبلة لدخول الشمس إليه ،أمّا في الصيف إلى الجهة الشرقية لتكيف الفرد السوفي مع البيئة المحيطة به .

1-1-2 دار الكاف: هذا النوع من المسكن يكون في المناطق الفلاحية، ويكون فكره التصميمي على النحو الآتي:

يأتي الفلاح في أرض فلاحية تكون نخيلها مرتفعة جدا، والكثبان الرملية أيضا، ما يعرف بالسيوف* أو السيف، يأتي في آخر السيف وعند رفع الرمل تكون الأرض قاسية جدا متكونة من أحجار اللّوس –التي سنأتي على ذكرها لاحقا ومميزات هذه الأحجار–، وتحفر الأرض القاسية حتى يتشكل لدينا حفرة كبيرة، ويصمّمها الفرد السوفي بقبة أو قبتين على حسب الحاجة لكن في العموم تكون حجم متوسط على قدر، كما يقال بالمفهوم الشعبي– وقفة عبد –[2] ،أي على قدر طول الشخص ويكون بابها من القش أو الملابس البالية .

وتتوزع الغرف على حسب حاجة الأفراد داخلها، وتكون الغرف ذات حجم صغير وتسكنها عائلات متكونة من فردين أو ثلاثة، وتكون باردة صيفا ودافئة في الشتاء، ولها قدرة وصلابة على البقاء لأنّها في أرض صلبة من حجار مقاومة للزمن، ويكون اتجاهها في الصيف إلى الشرق للوقاية من حرّ الشمس، وتحول الهواء إلى البرودة ليلاً والعكس، وفي موسم الشتاء يكون باتجاه القبلة، حيث تدخل أشعة الشمس وتدفئها وتبق الغرفة محافظة على طاقة الدفء والشمس ليلاً. ويعرف هذا النوع من السكنات كذلك في مناطق مختلفة خاصة الفلاحية، ويميز وجوده في مناطق صخرية، كما نجد هذا النوع أيضا في تونس ومناطق أخرى عديدة.

---

[1] مقابلة : (ز. خ) 2023/08/20 9:30ص– 11:00ص .

***الغوط:** هو المكان المنخفض في المناطق الفلاحية ويسمى كذلك – الهود – دلالة على الأرض الرملية المنخفضة.

***الزرب:** هو عبارة عن سدّ يتكون من مجموعة من العصا والحلفاء وجريد النخلة، له وظيفة حماية الأراضي الفلاحية من زحف الرمال، ويضعه الفرد السوفي في بداية مسكنه لحمايته من الرمال والرياح الحارة، ويستخدم كساتر أيضا بين الأبواب وأصبح يستخدم حديثا كسياج أمام بعض المساكن المعاصرة بمدينة قمار.

* **الباش:** هو قطعة من البلاستيك يُغطى بها البيت التقليدي سواء خيمة أو بيوت من السعف لمنع تسرب المياه.

[2] مقابلة (ز. خ)، 2023/08/20 9:30 ص.– 11.00ص

1-1-3 الخيمة: نجدها في مراجع أخرى الخيمة، أو بيت الشعر كدلالة على نوعية المادة الخام التي تصنع بها، والتي تكون مكونة من جلود الحيوانات التي يستأنس بها الإنسان خاصة في الصحراء، والخيمة هي هوية وتراث أهل البادية وثقافة وأسلوب معيشتهم، وقيمة رمزية لما تحمله من دلالات سوسيو ثقافية كمجتمع تعتمد معيشته على الترحال وعدم الاستقرار، وفضاء مكاني تمارس فيه مختلف الأنشطة ذات الطابع الجماعي من ممارسات يومية منزلية أو طقوس العادات والتقاليد، كما تعددت أشكال الخيمة وألوانها ويبلغ حجمها المتوسط ما بين 7 إلى 3 أمتار[1].

تصنع الخيمة من وبر الماعز أو الجِمال، وهذا التنوع في استخدامات نوع الجلود أو غيرها هو حامل لهوية من خلال اختلاف الألوان أو الأشكال فكلّ شكل أو لون أو ارتفاع لها في طولها أو وتدها الذي يحملها كلها عبارة عن رمزيات لقبيلة ما أو عرش معين، يطلق على أهل ساكني الخيم في منطقة الوادي عموما **بالربـايع***، وتعود هذه التسمية على الأرجح إلى دلالة على وضعية الجلوس أي أنهم يربعون أرجلهم عند الجلوس في الأرض.

الخيمة عبارة عن أربعة أوتاد، يقوم الفرد بغرسها في الأرض ويضع عليها قطعة من **الباش**، وفي الصيف قطع مختلفة من الملابس ومعظم أوقات الصيف ينامون في البرّ أو بالمفهوم الشعبي-الصحن *- ويخيطون باب الخيمة لغلقه أثناء الخروج ستر المرأة داخل الخيمة "فباب الخيمة بصغر حجمه يجعل الزائر في وضعية انحناء عندما يهمّ بالولوج إليها، وهي حركة جسدية تبرز في شعائر الصلوات أو طقوس الولاء الاجتماعي[2]" يقومون بتشكيلها وليس بناءها أو غيره لسهولة أخذها والترحال بها في مناطق أخرى .

قسم الخيمة إلى قسمين قسم لجهة للرجال وآخر لجهة النساء، القسم الأول للضيوف ومجالس الرجال والجزء الخاص بالنساء بما يتناسب مع متطلبات أعمال البيت، حيث اعتبرت الخيمة نمط معيشي وسكني خاص بالمجتمع الصحراوي والترحال، متماشيا مع ظروفهم وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية في زمن ما، وفي الوقت الحاضر ما يزال حضورها على الرغم من اختلاف الوظيفة والمكان والزمان، الدال

---

[1] علي غنابزية، مرجع سابق، ص 404.

***الربايع** : تطلق هذه التسمية على ساكني الصحراء، ويقال أن هذه التسمية لهم مستمدة من وضعية الجلوس من قيامهم بتربيع أرجلهم عند الجلوس أو عند الأكل.

[2] سالم وكاري، "المكان السكني في الصحراء من الخيمة إلى الدار بين استمرار التصورات والممارسات وتحولها"، في : **مجلة التخطيط العمراني والمجالي**، المجلد 02، العدد 05، ايلول سبتمبر 2020. ص 139.

***الصَحَنْ** : هو كلمة شعبية بمجتمع قمار وتحمل معنى المكان الواسع الخالي.

على رمزيّتها في ذهنية الفرد، وعلى الرغم من اختلاف مجال الاستخدام إلاّ أنّها احتفظت بالقيمة الرمزية في المجتمع السوفي والجزائري كفضاء للذاكرة الجماعية ومجال للحميمية الاجتماعية، حاملة لخبرات ومعارف ومكتسبات تكونت عبر الزمن .

1-1-4 الحوش العربي : لتسمية المسكن خصوصية ثقافية عند أهل منطقة قمار عموما، فمصطلح الحوش تأتي من الفناء الذي يتوسط البيت أو الصحن المفتوح، ويرجع هذا إلى ارتباط الفرد بما يدور حوله، ووجب أن يكون –مُرَمَّلاً–، أي يحتوي على الرّمل النظيف الذي تحرص النسوة على عملية غربلته يوميا، وفي فصل الصيف يُرَمَّلُ البيت من جديد وكل الغرف والسباط، فنظافة الرّمل يحمل دلالة على نظافة أهله، وهناك بعض البيوت التقليدية التي تحتوي في وسط فناءها على بئر صغير لجلب الماء واستعماله في حياتهم اليومية، حيث يبلغ عدد الغرف من 6 الى 7 غرف وحمام ومطبخ وإسطبل.

يعدّ الفناء عنصر معماري أساسي في البيت التقليدي، حيث له دور ووظيفة مهمة هي توزيع درجات الحرارة وتنظيمها من الداخل إلى الخارج، ممّا يضمن برودة الغرف أو دفئها على حسب الفصول، حيث يكون البيت في اتجاه القبلة على أغلب الحالات دلالة على اتجاه الشمس وقداسة القبلة بالنسبة إلى المسلمين، وبه باب من الخشب ويكون ذا سمك كبير ويقفل إلى الداخل ،ومن مدخل البيت وصولا إلى وسط الدار ،يوجد ممر صغير على شكل خط منكسر يقودنا إلى فناء الدار، وهذا ما يحفظ خصوصية أهل البيت عند قدوم الغريب ،ليتسنى لهم دخول الغرف عند معرفة أن غريبا قادم.

بالإضافة إلى وجود إسطبل أو ما يسمى "الكوري" في معظم البيوت، دليل على امتلاكهم الحيوانات، فهي جزء من البيت، وعند دخولنا إليه نقابل عنصر معماري مهم وهو **السباط**، الذي يتكون من قبتين وعادة ما يكون متجها إلى الشرق، له وظائف عدة مرتبطة بالممارسات اليومية للنساء، من الانشغال بالنسيج أو عمل المنسج لبنات البيت، وغزل الصوف وطحن القمح والشعير، بجانبه دار الخزين أو ما تسمى بالدار الظهراوية، أي في مكان يتسم بالبرودة لعدم اتلاف المخزون.

الاتجاهات في الفكر الشعبي مهمة جدا، فأغلب الغرف تسمى بالاتجاهات التي تكون عليها الدار الغربية، الشرقية، الظهراوية ....، أو بصاحب الغرفة الذي يدل على ملكية الغرفة، تكون بها خابية على عدة أشكال، على حسب الحاجة والدور، ولا تكون بها نافذة وتكون منخفضة قليلا ،أثناء دخولك إليها تجد قدمك وقعت للأسفل قليلا ، وأمام غرفة الخزين هناك عتبة على شكل مربع ذات الأحجار القاسية جدا، ويغلق بابها من الخارج وغالبا ما يكون مفتاحها عند مسؤول البيت الذي يكون الجدّ أو الجدة ، وأغلبها

الجدة لأنها المسؤولة عن البيت ومتحكمة في حاجياته كلها، ولها دور في تدبير الاقتصاد المنزلي، كل ذلك من القيم والعادات الاجتماعية" يُشكل قيمة الثقافة والهوية المعمارية "[1].

الصورة (03-01): تمثل الصورة شكل الخابية وهي من الآليات التقليدية لتخزين المؤونة في الثقافة المحلية بمجتمع مدينة قمار.

المصدر: الطالبة في 16/06/2023

[1] أحمد محي الدين العنسي، مرسال أمين الصهباني، "**دراسة تحليلية لقيم وخصائص وعناصر العمارة المحلية (دراسة حالة مدينة رداع)**"، مذكرة الماجستير في العمارة، الجمهورية اليمنية، 2014، ص، 23.

*الخابية: التي تعد من أبرز الوسائل المستعملة في التخزين، وهي من الأساليب المستعملة في التخزين في الثقافة التقليدية بمجتمع مدينة قمار، وتختلف أشكالها على حسب احتياجات العائلة ونوع المخزون، تُبنى الخابية من مواد محلية من أبرزها الجبس، وتكون في غرفة خاصة تُوجه في مكان لا يتعرض لأشعة الشمس، مما يحفظ برودة الغرفة في الداخل. ويجب كذلك وجودها في الجزء الثاني من الغرفة أي المقصورة. وتسمى في مناطق دار الخزين.

في جهة القبلة هناك صف من الغرف التي تكون في العادة لكبار رجال البيت، حيث يتزوج فيها الشاب، وتتكون من جزئيين: الأوّل على شكل قبة والثاني على شكل أدماس، وجود عتبة أمام الغرفة لتصعد إليها، تليها عتبة أخرى على شكل حافة ، وهذه الطريقة تمنع دخول الرمال، بها نافذتين صغيرتين في كلٍّ من الجزء الأول والثاني ، وتكون على شكل صغير وفيها قضبان من الحديد وتفتح من الداخل، وتكون هذه النوافذ تطل على فناء البيت فقط لتحفظ خصوصية المرأة داخل غرفتها، ولا توجد النوافذ التي تطل على الخارج في البيت التقليدي.

الجزء الأول يكون وسط الدار، القصد هنا بالغرفة حيث يستقبل الضيوف، أو الجلوس ووضع حاجيات الزوجين من أثاث، والجزء الثاني هو خاص مقدس للزوجين لغرفة نوم ومجالهما الخاص، وتتميز الجدران بسماكة كبيرة، في بدايتها تأخذ الشكل المربع وقوس في الأعلى، وبها نافذة صغيرة شكلها مربع، وسماكة في الحواف، و لها مثل العتبة الصغيرة تمنع من دخول الرمل إلى الغرفة ،ومن يمرّ بالفناء لا يرى ما يحدث داخل الغرفة الخاصة، تفتح إلى الداخل وتكون في جهة القبلة وذلك لدخول أشعة الشمس، وتحتوي هذه الغرفة على معايير تحفظ خصوصية الزوجين من جانب علاقتهما الخاصة، وتسمى بالمقصورة أي أنها الغرفة الداخلية، ولا تحتوي على باب، في أغلب الأحيان يوضع ستار من القماش الذي يبرز حركة الشخص داخل الغرفة، وتسمى الغرفة على اسم الزوج .

هناك عنصر ثالث في غرفة الزوجين ويسمى **بالوضاية**، نسبة إلى عملية الوضوء أو الاستحمام، ويكون خاص بهما، حيث يتكون من قبة صغيرة ودمس، مرتفعة على مستوى غرفة الزوجين وبها باب، ويستعملونها للغسل، وهذا حفاظا على الخصوصية والحرمة، وعدم خروجهما للاغتسال في الحمام المشترك للعائلة، تليها غرف أخرى ليأخذ البيت التقليدي الشكل المربع، الذي له رمزيات متعددة ودلالات ثقافية، فهناك ثقافات ترى أنه "الشكل الرمزي لاستقرار"[1].

غرفة الأزواج من أبناء العائلة في البيت تكون مسطحة بالجبس، أو مواد بناء أخرى، على غرار باقي الغرف الأخرى، تحتوي على الرمل ويجمع بين الغرف في البيت التقليدي بما يسمى السِفْلي، ويُعوّض مكان العتبة ليصبح بمثابة العتبة الكلية لجميع الغرف، وله نفس دور العتبة من الحماية، والحمام والمطبخ يكونان تقريبا في نفس الجهة، أي في آخر البيت، وخاصة المطبخ الذي يجب أن لا يكون مكشوفا، وتصميمه إلى الداخل نسبة إلى وجود النساء.

[1] فيليب سيرنج، مرجع سابق، ص 476.

باقي الغرف تحتوي على حجرتين الحجرة على شكل قبة أو أدماس، كل غرفة بها نافذة صغيره واحدة تطلّ على داخل البيت، الحجرة الأخرى تسمى وجه الدار، والثانية يطلق عليها بالمقصورة، أمّا أمام الباب يسمّى باللفظ الشعبي خَدُّ البيت، نلاحظ ارتباط البيت كالوحدة العضوية المشابهة لفكرة أعضاء الجسم، باعتباره بنية ووحدة متكاملة من الغرف، كلّها متناسقة مع بعضها البعض لتكوّن لنا البيت أو المسكن التقليدي.

الصورة (03-02): المخطط العام لأحد المساكن التقليدية بمدينة قمار، رسمه أحد الاخبارين

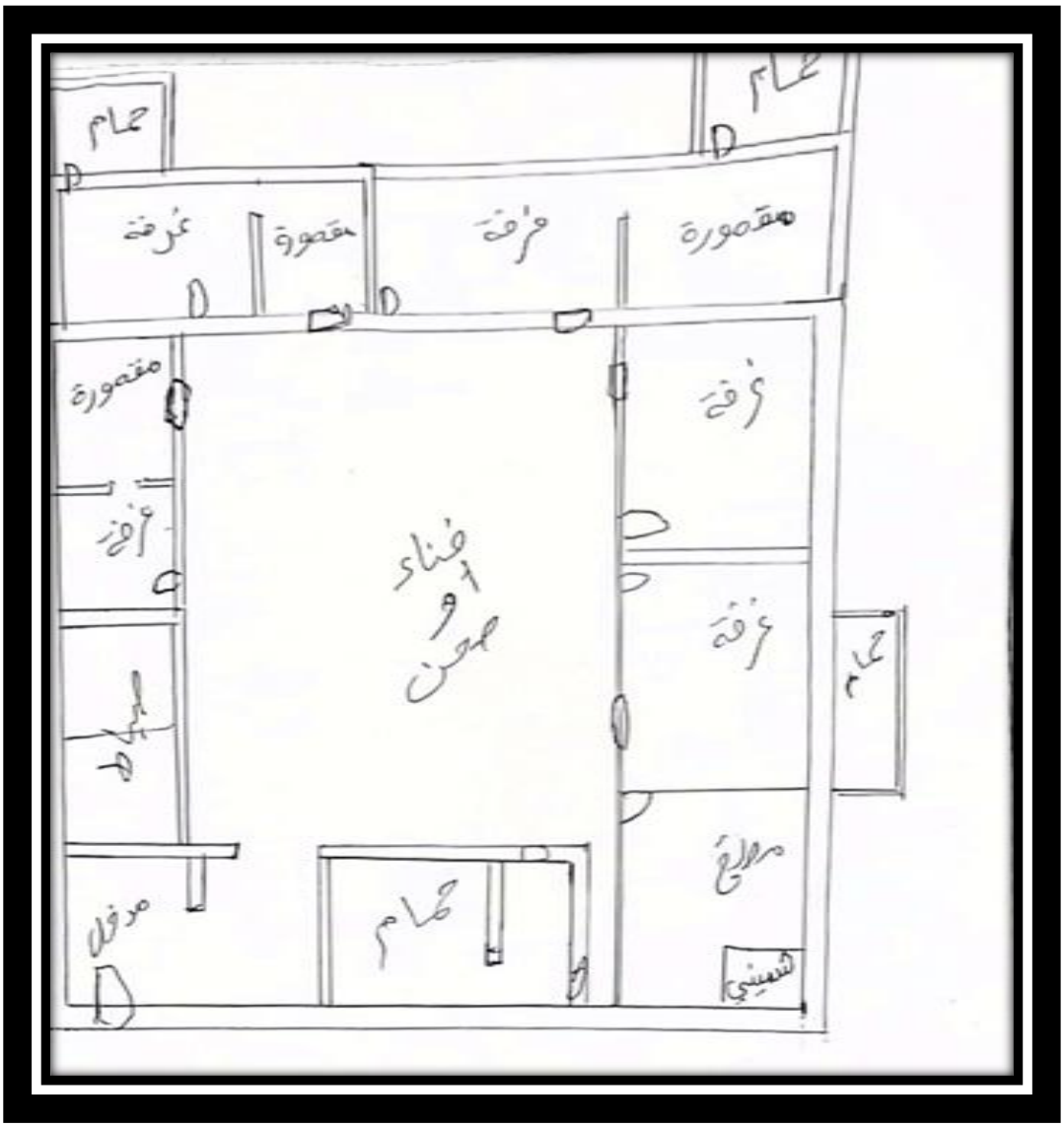

2-1 أشكال المسكن المعاصر بمجتمع مدينة قمار:

اختلفت الأشكال المعاصرة للمسكن بمدينة قمار وفق ما يتناسب مع ظروف عديدة منها ما هي ثقافية واجتماعية وكذا حضرية ومن بين الأشكال العمرانية للمسكن المعاصر بمدينة قمار نذكر ما يلي :

1-2-1 التغيرات الحضرية والثقافية لمدينة قمار

مرت المساكن المعاصرة ببلدية قمار على عدة مراحل ساهمت في تشكّلها، متنقلة من النمط التقليدي إلى الشكل الحداثي، فكلّ ثقافة مرت على المجتمع الجزائري أثرت على نمطه الثقافي المادي، مجسّدة في العمارة كخطاب ثقافي دال على الهوية الاجتماعية لمجتمع ما، ومن أبرز ما تعرض له المجتمع؛ الاستعمار الذي جاء بسلوكيات وثقافات أثرت وتركت لنا رواسب ثقافية في مجالات عديدة من أبرزها السكن كعنصر مادي ثقافي.

فتغير السكن من شكله التقليدي، سواء من الناحية الهندسية أو الاضافات العمرانية التي حصلت، مُبرزة شكلا مغايرا من الفكر التصميمي الدال على الثقافة الأوروبية، فالعديد من المناطق في الجزائر ما تزال تحافظ على النمط العمراني الكولونيالي، من أبرزها وهران، الجزائر العاصمة، قسنطينة، بالإضافة إلى المدن الصحراوية.

من خلال التوسع الفرنسي في المدينة قام ببناء أحياء وبعض المساكن التي تعبر عن ثقافة المستعمر، ومن بعض ما أنجز "حي بالاتجاه الجنوبي الغربي، فتطور نسيج المدينة بطريقة منتظمة شبه شطرنجية"[1]، حيث يعبّر بيت المستعمر عن الوحدة التركيبة للمدينة، فاتسمت المباني بالتنظيم في تفاصيلها وبروز عناصر حديثة في المسكن، كعنصر الفناء واستخدامه كحديقة منزل، وعلى مستوى المدينة ظهور مرافق حديثة مكوّنة لنسيج مدينة الوادي، ومناطق مختلفة مثل: المدارس ودور البلديات والمساحات الخضراء والمستشفيات، لقد كانت مساكن المستعمر تتّسم بالفضاء المفتوح ولها طابقين.

قام الجنرال الفرنسي بإضافة تحسينات على الشكل العمراني للقبة من أدوات بناء حديثة وشكلها العام، وعلى المستوى الحضري مست العديد من التغيرات الشكل العام للمدينة الصحراوية، من خلال سياسات عمرانية حديثة أعادت الشكل العام للمدن، "التي ادخلت ضمن استراتيجياتها التنموية والتحديثية الفضاء الصحراوي "[2].

---

[1] لامعه أحمد، مرجع سابق ، ص145.

[2] طلحة بشير، "المدينة الصحراوية الجزائرية وإشكالات التحضر"، في : **مجلة أنثروبولوجيا**، المجلد 04، العدد 08، 2018، ص 43.

شهد المسكن بمدينة قمار إجراءات وتحديثات عمرانية، من خلال فكر تصميمي حديث يحاكي في تفاصيله مجتمعات وهويات مختلفة عن الثقافة الأصلية، بالإضافة إلى غياب الشق الوظيفي له، وأصبح يشكل وظائف وأدوار تختلف عن الموجودة في المسكن التقليدي، سواء من ناحية تصورات كلّ عنصر لوجوده في أمكنة دون غيرها، أو خلق قيم وعادات اجتماعية وأسلوب حياة ضمن قالب قيمي مغاير للنمط التقليدي، وهذه الاعتبارات جاء بها التصميم الحديث لهندسة عمران المدينة الصحراوية، التي تشهد تحولات أثرت على النسق القيمي للأفراد.

مع مرور الوقت أصبح لدينا شكل متعارف عليه وهو الشكل الحديث، الذي يشهد تنافس على التصاميم الأكثر حداثية في مناطق عدة من مدينة قمار، فحتى المناطق الريفية شهدت نوع من التحضر والمقصود به في أسلوب حياتها يحاكي المدينة، فالمساكن في المناطق الريفية لها طابع عمراني –الفِلَلْ أو مساكن متعدّدة الطوابق – فالنمط المعاصر على مختلف المناطق الصحراوية أو غير الصحراوية، نجده مماثل لجميع نواحي المجتمع الجزائري ،و بنفس القالب العمراني للمجتمعات المحلية التي تختلف في المرجعيات القيمية والعادات والتقاليد، النابعة من تصورات وتمثّلات لبيئات طبيعية وثقافية مختلفة، وبالتالي نعايش قوالب معمارية ثقافية يحاول فيها الفرد التكيف معها ضمن أسلوب حياته .

ما يزال الفرد بمجتمع قمار يحافظ على بعض عاداته من ممارسات وطقوس داخل السكن المعاصر، مثل: طقوس البناء، أو سكنه لمسكنه، ولاعتقاده بوجود عالم آخر، وضع الخُمسة التي ترمز "ليد المرأة المقدسة القوية القادرة على الحماية من الشرور" [1]، أو احدى الدلالات الثقافية التي ترمز إلى الحماية من الحسد والعين، وعنصر العتبة كذلك له التصورات الثقافية الخاصة به، وممارسات وسلوكيات تدلّ على الرواسب الثقافية التي ما زالت عند الفرد الساكن، وعليه؛ فالقالب معاصر لكن بتصور تقليدي.

1-2-2 أنماط السكن المعاصر بمدينة قمار:

تعددت الأشكال المعاصرة للمسكن بمدينة قمار، وكلّ نمط من الأنماط يحاكي ثقافة تختلف عن الثقافة المحلية للمدينة الصحراوية، من ناحية الحداثة العملية التخطيطية والهندسية، حيث نلاحظ في مدينة قمار العديد من السكنات على اختلاف المناطق الثقافية بالمدينة، سواء ثقافة المركز أو الهامش، والمقصود بالهامش هنا؛ تلك المناطق التابعة لبلدية قمار، حيث نجد المساكن متشابهة الشكل، مربعة

[1] حسناء سعدي، حسان حامي، "الرموز ضمن البنية المورفولوجية للسكن التقليدي الجزائري: رمز الخامسة نموذجا"، في: **مجلة انثروبولوجيا**، مجلد 09، العدد 01 السنة 2023، ص 203.

الشكل، وتخللها بعض العناصر العمرانية التي تبرز المستوى الاقتصادي للفرد الساكن، وترمز كذلك لمدى الانفتاح الثقافي.

معظم المساكن نجدها على التماس مباشر مع الفضاء العام، وهذا دلالة على انفتاح الفضاء الخاص على العام، التي أبرزت إفرازات التحوّلات السوسيوثقافية لمجتمع مدينة قمار، أو نجد الفرد يبني سور على مسكنه لحمايته من الرؤية المباشرة على الفضاء العام. فالهندسة التخطيطية لمدينة قمار ذات شكل حداثي، فوجود الساحات العامة والمساحات الخضراء وشبكة الطرق الموزعة على كافة أطراف المدينة ، سواء الداخلية أو على أطراف المدينة، والتي تشهد لحدّ الآن توسع وبناء طرق جديدة نظرا للازدحام الحضري الذي تشهده المدينة داخليا، فأصبحت تتسع على الأطراف وخارج مدينة.

1-2-3 السكن التساهمي الأرضي:

هناك منطقة تعرف بـ**الخْصِيم**، تعطي فيها البلدية أراضي للأفراد، للتعمير بها وإقامة سكنات فردية وفق مخططات سكنية سنوية، وهي تعتبر من المناطق الخالية من التعمير، نظرا للتوسع العمراني والنمو الحضري السريع، الذي تشهده مدينة قمار، حيث أصبحت سياسة التخطيط السكني مختلفة ومناطق التعمير والإسكان كذلك.

كلّ هذه الاعتبارات ساهمت في وجود نمط سكني حديث في مناطق مختلفة، سواء في وسط المدينة أو على الأطراف، وهذا يقودنا إلى أنّ هناك تغير في ذهنية الأفراد حول ثقافة التصاميم لمساكنهم، وفق اعتبارات ومعايير وقيم مغايرة لما عاشوه من قبل، نجد الفرد قد سكن في مسكن تقليدي ونشأ وفق قيم تتماشى مع مسكنه التقليدي، كما قام بالتغيير منها أو إعادة إنتاج بعضها وفق تصوراته لما يعايشه الآن، فهناك تحول بين ما عاشه قبل وما يعشيه في وقته الحالي، فالنقلة الثقافية تتجسد في العمارة كتعبير على التحوّل الثقافي والقيمي.

1-2-4 السكن النصف جماعي والجماعي:

هذا النمط تعرف به منطقة من مناطق مدينة قمار، وهو السكن النصف الجماعي المتكوّن من طابق أرضي وطابق علوي، والجماعي عبارة عن سكنات فوق بعضها البعض الهدف منها "التوسع العمراني"[1]، ونجده أكثر وضوحا في منطقة تُعرف –**بالجِبَادي** – ، وهي ما تعرف كذلك بـ–**الظهراوية** –،

[1] مشري محمد، "السكن المشترك وتأثيره على الممارسات الجنسية لدى الزوجين دراسة سوسيو أنثروبولوجية بمدينة وهران"، **في : مجلة المعيار**، المجلد 14، العدد 2، ديسمبر 2023، ص 203.

يسود فيها نمط معيّن من السكن، حيث يقطن به فئة معينة تشتغل في القطاع العام بالدولة، مثل أفراد الجيش والشرطة وغيرها، وقد كانت في وقت ما تعطى كمساكن لأفراد من خارج المدينة لفترة من الزمن، وحتى في الثقافة الشفهية يسمونهم بـ**حيشان العسكر**–، التي لها ثقافة خاصة بهم ، فهم الدائمين الغربين عن أهل المنطقة، و في تصورات الأفراد نوع من المهاجرين.

مع مرور الوقت أصبحت هذه المنطقة تتسم بنمط معين في السكن، كلّ طابق يحتوي على عائلة على حسب أفرادها، ونجد أهل المنطقة لا يفضلون هذا النوع من السكن، نظراً لضيقه وعدم الراحة فيه على حدّ تعبير أحد المبحوثين:" منقدرش نعيش فيه نحسه يضيّق الروح" [1]، هذه التعبيرات تحمل دلالة عدم الشعور بالراحة، وأن مساحة السكن ضيقة ،لا تعطي للفرد حريته في مسكنه، فهناك علاقة بين الشعور النفسي والراحة والمكان .

فثقافة السكن الجماعي في المدينة الصحراوية لديه نفور الاجتماعي من الأفراد، ولا يفضلونه كمسكن لهم، والعديد منهم يستغلّونه تجاريًا، فيقومون بعملية كراءه وإعادة الاستفادة منه بطريقة ربحية نفعية خاصة، ومع مرور الوقت أصبح هذا النمط من السكن يميّز منطقة – الجبادي– ، حيث يعدّ صورة حديثة أو محدّثة من مدينة قمار، وتعرف توسعًا كبيرًا من نواحي السكنات أو المرافق كالمدارس، وكلّ سنة لها مخطط جديد يساهم في حيويتها الحضارية، ويجعلها نمط مصغر من مدينة داخل مدينة كبرى، في وقت ما كانت بلدية قمار تعطي الأفراد سكنات بالمنطقة والساكنين يكونون معظمهم أسرة نووية، أو أفراد متزوجين حديثا، لتوافق المساحة مع عدد معين من الأفراد، الذين يصل عددهم من فردين إلى ثلاث على الأكثر.

1-2-5 السكن الاقتصادي:

من خلال عملية الملاحظة لهذا النوع من المسكن بمدينة قمار، نجد نمط آخر من الشكل العمودي من المساكن بمدينة قمار وضواحيها، وهذا النوع لديه العديد من الخصائص والسمات، سواء العمرانية منها أو المعمارية، حيث تتجلى في مورفولوجيته الخاصة، ويكون عبارة عن شكل مساكن صغيرة في مسكن واحد عمودي، ذو مساحة كبيرة يضم عائلتين على الأكثر، وتحت السكنات يكون مستودعات ذات طابع تجاري.

[1] مقابلة (إ. د) : 14/03/2023. 2:30 م–2:45م.

هذا النمط من السكن يؤجر للأفراد العاملين من خارج المدينة، الذين لديهم وظائف بالمدينة، حيث يتطلب منهم الاستقرار بها، ومالك هذا المبنى شخص واحد والآخرين عبارة عن مستأجرين، ويُقسّم المسكن ذو المساحة الكبيرة إلى مساكن صغيرة فردية، لقد أخذ السكن نوعًا اقتصاديا من الناحية الوظيفية بالنسبة لمالكه، يكون إما اشترى الأرض من أصحابها أو استغلها في بناء مشروع اقتصادي سكني يستفيد منه.

فتغيّر القيمة الاجتماعية للسكن إلى قيم تجارية ربحية اقتصادية، من مفرزات التحوّلات الاقتصادية الحديثة التي يشهدها المجتمع، فهي لم تكن موجودة من قبل هذه الظاهرة، فكراء المنازل لقيمتها الرمزية لدى الفرد وكذا قيم الفردانية والاستفادة المادية من كل ما يحقق الربح ويمكّن الاستثمار عن طريقه، حيث نجد لهذا المسكن قيمة تجارية ربحية عند الأفراد ذوي أصحاب المال الذين يستثمرون في العقار السكني، لأنه في تصاعد وغلاء مستمر، وكذا يحقق له ربحا شهريا أو سنويا.

في المناطق الريفية أصبح هذا النوع من المساكن يبنى على حساب الأراضي الزراعية، فنجد تحوّل الريف إلى الطابع العمراني نسخة من المدينة وهندستها السكانية، وعليه نجد أيضا غلاء جدّ فاحش لقطع الأراضي والمزايدة عليها من طرف الملاّك، وهنا نلاحظ ونفهم أن قيمة الأرض لدى الفلاحين حصل لها تغير على المستوى الرمزي لما لها من قيم ثقافية واجتماعية، والتمسك الشديد بها أصبح مشروع سكني مربح أو لها قيم وصبغة مادية اقتصادية.

كل هذه المؤشرات تحمل لنا دلالات سوسيو ثقافية على التغير القيمي للمسكن، وظهور أنواع مختلفة بمدينة قمار، التي تشهد تحولا في ثقافة السكن سواء من تصورات الأفراد له، أو من ثقافة البناء والتشييد أو ثقافة تملّكه، فالمسكن المعاصر له قيمة متغيرة على حسب الوظيفة التي يؤديها، فتغيّر المسكن من كونه لي وجزء من املاكي، إلى مسكن أقيم به فترة زمنية ثم أغيره، أو أعيد الاستفادة منه تجاريا، فرمزية هذا العنصر المادي الثقافي هو المسكن، الذي أثر على التخطيط العام للمدينة الصحراوية.

الصورة (03-03): تمثل المخطط العام لأحد المساكن المعاصرة بمدينة قمار، قام بهندسته وتخطيطه أحد الاخبارين المكلفين بهندسة المساكن بمجتمع قمار.

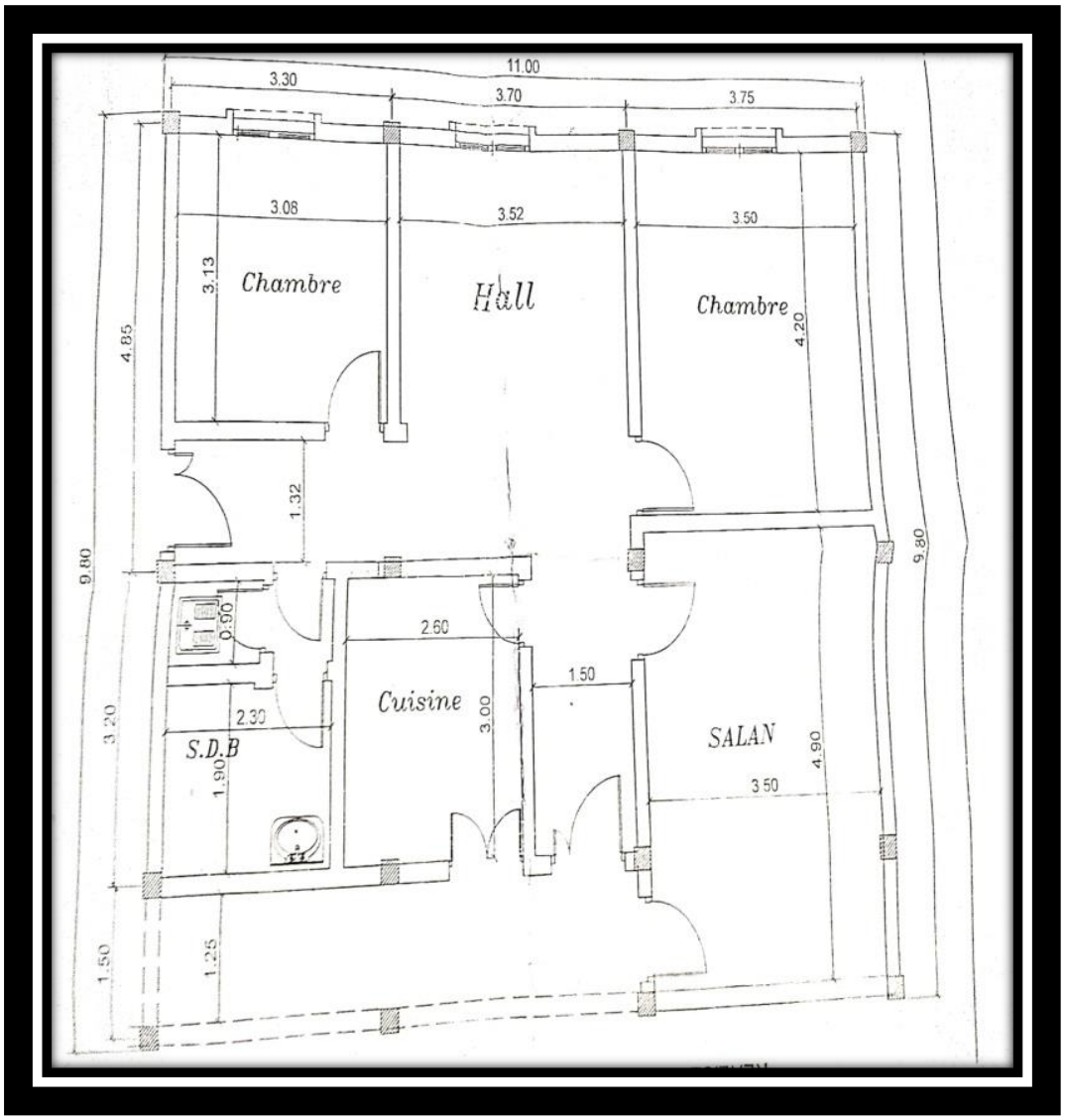

ثانيا: ثقافة البناء في مجتمع مدينة قمار

يختلف بناء المسكن بمدينة قمار على اختلاف النمط، فالتقليدي عايش ثقافة وقيم وعمليات تكيف وكذا المعاصر، الذي يعبّر عن التطور في مجال البناء والهندسة، ففي المقارنة بينهما نفهم مدى التغير الحاصل في ثقافة البناء بمجتمع المدينة.

2-1 ثقافة البناء المحلية بمجتمع مدينة قمار:

توفر البيئة الطبيعية المادة الخام، المستغلة في عملية البناء، ولهذا دلالة على الادراك الانساني للفرد السوفي لما يحيط به وما يتلاءم مع أحواله الاجتماعية والاقتصادية، أي من ناحية التكلفة وسهولة الحصول عليها، وتُوَفّر نوعا من الحماية سواء من العوامل الطبيعة أو ما يتداعى من متغيرات على صحة الفرد داخل المسكن، وهذه المواد تتشكل ويعاد إنتاج بعضها وفق ما يتناسب مع المتعارف عليه في عملية البناء التي يقوم بها صاحب البيت.

توظيف المواد الطبيعة في البيت التقليدي، يدل على إنتاج عنصر ثقافي يحفظ خصوصية الفرد، ما يجعل من البيئة الطبيعة جزء من المجال الثقافي، بحيث تختص البيئة المجتمعات دون غيرها، ومن أهمّ عمال البناء الذين اشتهروا في مدينة قمار، ولهم الفضل الكبير في تعليم أهل بلدته فن النقش على الجبس "**عمار قاقه** –، الذي ساهم في عملية بناء قِباب المساجد والزوايا داخل مدينة قمار وخارجها"[1]، فمدينة قمار قديما كانت جلّ بيوتها مبنية من الجبس، وأنواع الحجارة المستخرجة من البيئة المحلية لمدينة قمار.

من الباحثين في مجال الأنثروبولوجيا، الذين درسوا المسكن واهتموا بثقافة البناء عند الثقافات الأخرى، "**مارسال موس**" الذي حرص على التطرق إلى مواد البناء المستخدمة في عملية تشييد المساكن عند ثقافة الاسكيمو، وتأثيرها على نمط السكن، الذي يؤثر في ما بعد على الأبعاد الاجتماعية الثقافية، حيث حدّد **مارسيل موس Marcel Mauss في كتابه Manuel d' ethnographie** ؛ الجوانب التي ينبغي للباحث الأنثروبولوجي الاهتمام بها أثناء دراسته للمسكن، كنوعية مواد البناء المستخدمة في عملية البناء[2] .

---

[1] عثمان زقب، " **الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**"، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة. 2006/2005، ص 167.

[2] Marcel Mauss, **Manuel d' ethnographie**, Edition, payot, 1926, P 73-78

عند دراسة المسكن من الناحية الأنثروبولوجية ، وجب التطرق إلى مواد البناء كأهمّ مؤشّر على ثقافة المجتمعات، ومن أجل فهم علاقة التأثير بين الفرد وبيئته، فهذه العلاقة تفرز لنا عنصرا ثقافيا ماديا دالا على ايكولوجية المنطقة، ومن أهم مواد البناء التي استعملها الفرد السوفي لبناء مسكنه الجبس، وحجار اللوس، وأجزاء من النخل (الكرناف، جريد النخلة، الليف، وغيرها ..)، الرمل، الأحجار، وعملية رفع الرمل وحمله للبيوت وتكسير الحجارة، وقطع النخل، جميعها كان في وقت مضى نشاط يومي ومعاش للفلاحيين، وما زالت تمارس لحدّ الآن مع اختلاف الطريقة والوسيلة . وتعكس مواد البناء المستعملة لون خاص وموحد للبيت الممزوج بين الطين والجبس، فمعظم المساكن باللون الأبيض يميل إلى الحمرة قليلا، نتيجة للخلط بين الجبس وحجر **التافزة**، حيث يوضح **الجدول رقم (03-01)**، التالي تسميات لحجر البناء ومميزاته واستعمالاته ومناطق تواجده.

الجدول (03-01): يمثل الجدول مختلف أنواع الحجارة المستخدمة في عملية بناء المساكن التقليدية

أسم الحجر	مميزاتها	استعمالاتها	أماكن استخراجها
اللوس	– صخر رملي. – محدوبة. – اللون أصفر. – أقل تأثير بالرطوبة. – قوة تحمل.	–الأحجام الكبيرة توضع في الأساسيات. –الأحجام المتوسطة ترفع بها الأعمدة. –الأحجام الصغيرة لتسقيف القباب والأدماس.	–الجهة الغربية من مدينة قمار. –غمرة السفلى شمالا. –الغربية والمقلع.
الصلاجة	–طبيعة كلسية. –مصلبة. –لون فاتح يميل إلى الزرقة. –مقاومة للحرارة. –عازلة للصوت.	–توضع وسط الجدران	–غمرة العليا. –منطقة المجوري. –الشمال الشرقي لقمار. –الدبدابة.
التافزة	–حجارة كلسية.	–تستغل في صناعة الجبس	–منطقة المجوري. –غمرة العليا.
الجبس	– مادة صلبة. – اللون ابيض أو رمادي. –طبيعي يسمى البرانيس. – الناتج من الحرق يسمى تافزة. – عازل للحرارة والصوت.	–يستعمل كرابط بين الاحجار. – تلبيس الجدران. – في عملية النقش والزخرفة. – استخداماته في الطب الشعبي كالجبيرة. –تبيض المباني.	–الغيطان. –المناطق الفلاحية. –الفولية.

كما أشرنا سابقا إلى أنّ الجبس يوجد على نوعين: النوع الطبيعي المستخرج من البيئة، والثاني يكون نتيجة لحرق حجر التافزة، وهذه الطريقة يستعملها الفلاحون كثيرا للحصول على الجبس، ويستعملونه لأغراض عديدة، كالبناء أو في عملية الفلاحة، حيث يقوم الفلاح بخلطه مع الماء وقليلا من التراب، حتى يحصل على شكل يشبه العجينة ويضعه فوق التراب الذي يشكله مع الماء على شكل ساقية، يوضع فوقها الجبس، وبعد فترة يجف الجبس ويشكل قالب الساقية، لتوزيع مجرى المياه وسقي الفلاحة، وتعتبر هذه الطريقة من أهم الطرق التقليدية لعملية السقي عند أهل الغيطان في الفلاحة، ويحرق الجبس بطريقين على النحو التالي:

- **الطريقة الأولى:**

استخدام **نبات الحاروق** – ،الذي هو نبات يوجد في الصحراء وتعددت أسماءه على حسب المنطقة ،هناك من يسمونه –الطرفاية* – المستخدم في حرق الحجارة التي تدعى –**الترشة**–، وهو نوع من حجر **التافزة**، يُؤْتَى بمجموعة من أغصان النبات، توضع فوقه الحجارة، ويستعمل هذا النوع من النبات خصيصا لسرعته على الاشتغال مع نباتات أخرى لها نفس المميزات، توضع فوقة الحجارة على شكل قبة، ويبقى متنفس صغير من الفوق لدخول وخروج الدخان، وتشعل النار في الجوانب، مع سرعة اشتعال الحجر يحدث له حرق سريع، وبعد مدة زمنية نجدها قد تحولت حالتها إلى لينة، وأصبحت جاهزة للسحق، ولبساطة الطريقة نجد الفلاح يمارسها لأنها عملية وتساعده على كسب الوقت لإصلاح الساقية أو أحواض الماء أو ما يعرف –**الماجن**–. [1]

- **الطريقة الثانية:**

تتمّ عبر عمليات الحرق كذلك، لكن عبر ما يسمى الفرن أو –**الكوشة** –، طريقة تشتهر بها مناطق مختلفة في مدينة الوادي، من أبرزها: **الفولية**، حيث تتوفر على عدد من الأفران لحرق الجبس، وبعض المناطق الفلاحية. ويكون في موقع محدد منها بالقرب من مكان يسمى– **مقلع الحجارة** –، عن طريق استخراج قطع من الحجارة الكبيرة ،ذات السمك الكبير، ويقومون بتكسيرها على قطع متوسطة الحجم ويختارون حجارة ذات الصلابة .

[1] الماجن : هي كلمة محلية شعبية وهو مكان تجمع فيه مياه الشقي وهومن التقنيات المحلية المستخدمة في السقي المحاصيل الفلاحية ، يكون على شكل مربع أو مستطيل يُبنى من الجبس والحجارة بطريقة يدوية يستغلها الفلاح لتخزين مياه السقي ، من خلال ثقوب تكون أسفله لخروج المياه الجوفية الأتية من البئر الى الساقية لمحاصيل الفلاحية .

تشكل الحجارة دائريا، وتوضع في الأسفل حزمة قلبها من **الكرناف**، وتحاط بكومة من الحجارة حتى تشكل دائرة لتصل إلى القبلة في الأعلى، ويبقى متنفس صغير لخروج النار، وممر صغير في الأسفل، يدخلون نوع من النباتات وسعف النخل بعد اشعاله بالنار، ويدخل في جوف صغير من الأسفل حيث يحترق **الكرناف*** وليف النخل ليصل الى حجارة.

يستمرّ الحرق لساعات أحيانا إلى المساء حتى تبرد حجارة التافزة، ويتمّ تحطيمه –**بكرنافة**– أو ما يعرف بـ**الخباطة*** حتى يصير ليّن، ومن الأفضل تحطيمه وهو ساخن ليسهّل تفكك قطع الحجارة، والحجارة القاسية تستعمل مرة أخرى في عملية الحرق، وهذه العملية أكثر استخداما للحصول على الجبس، ويستعمل لأغراض مختلفة من بينها: البناء، سواء مزجه مع مواد أخرى، أو لتماسك الحجارة فيما بينها، وبهذه الكيفية يمزج الجبس مع رماد النار وأجزاء من الخشب المحروق، كل هذه العناصر تعطي للجبس اللون الرمادي وتزيده من الصلابة والفعالية في استخداماته المتنوعة، يقوم بهذا النشاط الرجال وحتى النساء في المناطق الفلاحية ، وذلك بعمل أفران الجبس كغيره من الأعمال الفلاحية الأخرى.

تتسم طريقة البناء وتشييد المباني بقيم التعاون والتضامن بين مختلف أفراد المنطقة، حيث يتم تقسيم العمل، فهناك المتكفل بجلب الماء وآخر بجلب الحجارة والرمل والمياه من الآبار المجاورة كشكل من أشكال التضامن العضوي والقيم الاجتماعية، الذي يعتبر من خصائص المجتمعات المحلية التقليدية، خلال عملية البناء تردد الأهازيج، التي تعتبر مدائحا"[1] والصلاة على الرسول صل الله عليه وسلم كنوع من البركة في المعتقد الشعبي للأفراد المنزل والبركة في الوقت والعمل.

تتشارك الأفراد في عملية البناء، فيكون في ما بينهم انسجام وتفاعل، فالمهندس هنا هو الحرفي الذي يخطط وفق رؤية شعبية نابعة من تصوراته الاجتماعية اتجاه محيطه، يستخدم في عملية التخطيط قياس الجدران وغيره من العناصر العمرانية للمسكن برجليه أو يديه مثال: –قدر شبر أو ذراع أو كوع – وهي طرق التقليدية، واتسمت المساكن التقليدية في فترة بعدم الاتساق والانسجام وبروز الحجارة وعدم

[1] علي غنابزية، مرجع سابق، ص، 334.

*الخباطة : اسم محلي شعبي ببلدة قمار هي أداة تستعمل لوظيفة لتكسير الحجارة والجبس تكون عادة جزء الحديد والخشب

***المشنقر**: هو شكل من أشكال البناء التقليدية، حيث تكون حجارة القبة أو الجدران للمسكن حجارته بارزة للعين وحادة ، ولونها أشبه للأحمر لاستعمال الطين الأحمر والتراب وحجارة اللوس، هذا الشكل كان معروفا في البيوت التقليدية الأولية، وبعدها بفترة من الزمن أصبحت البيوت تطلى بالجبس وتغلف .

تغطيتها جيدا بالجبس، ويعود هذا إلى الظروف الاقتصادية التي يعاني منها الأفراد، ما أدّى إلى بروز جدران تعرف باللفظ المحلي – **الحيط لمشنقر***– أي الحاد البارزة حجارته .

من خلال كلام إحدى الإخبارين حول كفية البناء القديمة للبيوت المحلية، شرحت لنا بالتفصيل الكثر من الأمور منها أنه: " يتم تحديد اتجاه الغرف اتباع شروق الشمس وغروبها، وأغلب الأفراد عندما يريد بناءها يتمدد أرضا، فيكون ذلك مقياسها طولا وعرضا، أمّا طولا على حسب طول البناء كما هو معلوم في الثقافة الشفهية – عَلَى قَدُّ طُولْ وَقْفَةْ رَاجَلْ – أي أن الرجل الذي يقوم بعملية البناء على قدر طوله تكون طول الغرفة، وعلو الجدران لا يتجاوز أربعة أذرع.

العديد من النساء داخل البيت تدرك الوقت عن طريق الظل –تسميه الخيال– يسمى الظل كذلك أو الشمس عند غرف المنزل، وعلى هذا النمط يحسب التاريخ عبر تتبع القمر وزواله، واعتمادهم على الفصول الفلاحية القمرية، فالسكان المحليين لديهم الاعتقاد الخاص بهم حول الزمان والمكان في الثقافة السوفية، بالعودة إلى عملية البناء توضع الحجارة على شكل صف، ويوضع فوقها الجبس كنوع من – التلييس– ،ويتراوح سمك الجدار بين 40 الى 50 سم لقدرته على حمل القباب والأدماس.

ذكرت العديد من المصادر التاريخية التي اطلعنا على البعض منها، حول ما كتب على مدينة الوادي وطرق البناء التي عرفت تطور تاريخيا، سواء في الشكل العمراني أو طرق تشييد المباني، أنّ الحكومة الفرنسية التي حكمت منطقة الوادي، كان لهم دور في تطوير الهندسة العمرانية من حيث مواد المساعدة في البناء كالمسامير، واستعمالهم الخيوط لتدوير القباب والأقواس، ومن أبرز الضباط الفرنسين الذين ذكرتهم المصادر النقيب **Pujat**[1] الأكثر إسهاما في الهندسة المحلية للمسكن بمنطقة الوادي، بحكم أنه مهندس، ومع فترة حكمه تطورت شكل القباب باستخدام أدوات أكثر تطورا ،فأصبحت أكثر صلابة ودقة وذات شكل متناغم أكثر.

عمليات النقش على الجبس استوردها الفرد السوفي من تونس للقرب الثقافي والجغرافي لها والمدن الحدودية لتحسين الشكل الخارجي، واحترفت بعض العائلات فنّ النقش على الجبس وأورثوها من بعدهم، خاصة في مدينة **كوينين**، ومع مرور الوقت تطورت عمليات البناء لتشمل المرافق الحكومية، ومساكن للعائلات المرموقة، كما برز العامل الأجير المتخصص في عملية البناء والتشييد، أي الانتقال من البنّاء الحرفي إلى البنّاء الأجير.

[1] علي غنابزية، المرجع نفسه، ص 336.

-طقوس ومعتقدات في بناء المسكن في الثقافة المحلية لمجتمع مدينة قمار:

في ثقافة بناء المساكن التقليدية بمجتمع قمار جملة من المعتقدات والممارسات الاسترضائية الخاصة بالمسكن، وهذه العادات انتقل منها البعض إلى المسكن المعاصر، كما زال البعض منها، ومن أبرز الطقوس الاسترضائية التي يمارسها أفراد مجتمع قمار، تلك الممارسات التي تكون مع مرحلة البناء ومرحلة ما بعد البناء، ومن خلال كلام أحد الإخباريين حول طقوس وممارسات التي تميزت بها ثقافة البناء التقليدية للمساكن، والبحث عن رمزيتها ودلالاتها في ثقافة مجتمع قمار.

➢ **طقوس أثناء عملية البناء:**

أثناء عملية البناء وبعد تحديد الشكل العام للمسكن، يُبنى **الساس**، وهو أوّل قاعدة لبناء المسكن، وتعود تسميته لأنّه أساس قيام المسكن، ومتحكم في شكله وتموضعه، حيث يُخطّط في الأرض، ويحدّثنا أحد الإخباريين بأنّه " **كِي يَتَّبْنَى السَّاسْ تَعْ الحَوْشْ تْنَحِّي –تنزع– المَرْأَة تَعْ الدَّارْ زَوْجَة وَلَّا البِنْتْ، خَاتَمْ مِنْ فَضَّة أَوْ أَيْ قِطْعَة فَضَّة مِنْ حُلَيْ النِّسَاءْ وتغرسه هي في الأرض فِي سَاسْ الحَوْشْ**"، وعند سؤالنا حول دلالة الفضة ولماذا معدن الفضة بالذات، أجابت إحدى المبحوثات قائلة: "الفضة لأنّ النساء قديمًا لا يمتلكن الذهب لسوء الحال والمعيشة، والفضة كانت حليًا للمرأة السوفية ،سواء كانت خلخالاً أو خاتمًا أو أقراطاً –فْلاَيَكْ–" ، والمعنى الشعبي هنا للفضة؛ هو أن يقوم المسكن على **سَاسْ صْحِيحْ*** "كلمة صحيح هنا القصد بها على أساس قوي وتكون الأسرة مترابطة وتحوط البيت البركة فيها، فمن خلال ذلك =نفهم أن مشاركة النساء في بناء المسكن ضرورية وأساسية، كما لها دور فعّال في قيام الأسرة.

مشاركة النساء في طقوس بناء المسكن مع الرجل، دلالة ثقافية اجتماعية بمجتمع مدينة قمار، و"دفن شيء من حلي المرأة في أساسات المسكن هو طقس أنثوي "، "ومن الأمثال الشعبية الدالة على هذا الطقس، قولهم: "المرأة هي السّاس والرجل هو القنطاس" بمعنى أنّ المرأة هي أساس المسكن وقاعدته، و"الرجل هو السقف الذي يحميه"، وهذه دلالة رمزية في "الثنائية الأنثروبولوجية (المِرأة /الأرض والرجل/ السماء)"[1].

في بداية عملية البناء يبدأ الساكن ببناء الغرف التي تقع في جهة القبلة، وهذا ما أبلغنا به أحد الاخبارين قائلا: " **كِي يَبْدَأ يَبْنِي الرَّاجَلْ يَبْدَأ بِالشقْ –الجزء – القِبْلِي، وَبَعدَهُ الشَّق الغَرْبِي الكَانُونْ وَبَيْت مَاء، وَكَايَنْ مَيْدِيرَشْ شَقْ شَرْقِي وْبَكْرِي مَكَانَشْ بَابْ لِلْحَوْشْ، لِأَنَّهُ بِكْرِي مَكَّانَشْ السَّرْقَةْ وَالاَمَانْ**

[1] براهم عصام، "تقسيم الفضاء السكني بين الجنسين في العائلة التقليدية "،في : **مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات**، جامعة تلمسان، المجلد 07، العدد 02، سبتمبر 2018، ص 66.

مَوْجُودْ، وَالحِيشَانْ إِلِيْ تْكُونْ فِي الغِيطَانْ وَالفَلاَحَةْ تْكُونْ مَفْتُوحَةْ فِيهَا جُزْء قَبْلِي، يَبْنِي دَارِينْ قْبَالَة يَقْعدُوا فِيهْ مِنْبَعْدْ كَانُونْ وْبَيْت مَاء وشَقْ غَرْبِي ويَسْكن فِيهم، وْكَايَنْ يزِيدْ الشّقْ الظَّهْرَاوِي يَبْنِي السبَاط ودَارْ لَخْزِينْ"، يبني الساكن في الثقافة المحلية الضروري له، ويبني غرفه ومجاله السكني على محدد الاتجاه لديه، فالقبلة اتجاه مقدس في الثقافة الإسلامية، وكل اتجاهٍ له الوظيفة المناخية في نظر الساكن، سواء يوفّر له البرودة أو الدفء على حسب فصول السنة.

➢ **طقوس بعد نهاية عملية البناء:**

بعض من الطقوس الأخرى تشارك في مرحلة بناء المسكن، وهذه الطقوس نجد لها وجود في الثقافة المعاصرة للمسكن، وهي عبارة عن طقوس استرضائية، يمارسها الفرد لحماية مسكنه، وكذا لاعتقاده أنّ هناك أرواح وعوالم أخرى تشاركه مسكنه، فيسعى من خلال تلك الطقوس إلى استرضاءها والتعايش معها في مسكنه، ومن بين الممارسات في مجتمع مدينة قمار على لسان أحد الإخبارين أنّه "عند بناء السَّاسْ نَذْبحُوا كبش، وْ لِّي مِشْ قَادر يَذْبَح حَتَى زُوْجْ حَمامْ مُهِم يْسَيِّلْ الدّمْ عَلَى سَاسْ المَسْكَنْ أَو العَتْبَة "[1]، حيث يتمّ هذا الطقس في عتبة المسكن الجديد، كما يقوم به الفرد أيضا عند شراء فلاحة جديدة أو أرض للزراعة أو للبناء فيها، وبعد عملية الذبح يقوم الساكن بشواء رأس الكبش، وفي عرش **أولاد عبد القادر** في عاداتهم القيام بزردة "**سي عبد القادر**" [2] ،وهي عبارة عن أكلات توزّع على بعض الجيران والأفراد المقربين.

ثالثا: مواد بناء المسكن بمجتمع مدينة قمار بين الثقافة المحلية والمعاصرة

اختلفت المواد المستخدمة في بناء المساكن، فكلّ فترة تتميز بمواد تخصها، تعبّر عن التطور في مجال البناء والتشييد، فالمساكن التقليدية تكون المواد فيها طبيعية يستخرجها الانسان مما يحيط به من الطبيعة، وهذا يقودنا إلى مدى الادراك الثقافي بما يدور من حوله وما يتلاءم مع طبيعة المناخ، فالطين والجبس ونوع الحجارة أنتجت لنا عنصر ثقافي يميز عمارة دون غيرها، رغم التشارك في البيئة الصحراوية، من جهة أخرى تحقق وظيفة الراحة له في مسكنه.

مع بروز التحولات العمرانية وإحداث الثورة الصناعية، أصبح لدينا مواد مصنعة تستخدم في البناء، ومواد مساعدة أخرى كالحديد، واختراع آلات متقدّمة للبناء، بالإضافة إلى ظهور هندسة معمارية أكاديمية

[1] مقابلة : (س، س) : 2024/01/25. الساعة 3:00م –4:00م .

[2] مقابلة : (س، س) : 2024/01/26، الساعة ص8:00 الى الساعة 9:00ص.

بعيدة كلّ البعد عن الهندسة المحلية، حيث تَعتَرف هذه الأخيرة بالآلات المستحدثة والمدارس والنظريات الحديثة والمعاصرة في فن العمارة، واستعمال الخرسانة المسلحة التي شكّلت فارق في الهندسة الحديثة والمعاصرة، فالتحول من مواد طبيعية تستخرج من البيئة الطبيعية ،إلى مواد مصنّعة أثّر على شكل المسكن والهندسة العمرانية له ، كما ساهم في ظهور نوع معاصر من الهندسة العمرانية، وهذا ما نلمحه في الهندسة الغربية ومدى تأثيرها على الفكر العمراني العربي.

من أبرز التطورات الحاصلة في المسكن، بدأت نتيجة ذلك التغيّر الحاصل في مواد البناء، وتحوّل موقف الحرفي الهندسي التقليدي إلى مهندس أكاديمي، حيث يعتبر الإسمنت عنصرًا أساسيًا في عملية البناء، بالإضافة إلى الآجور والتراب على اختلاف ألوانه، فيتخذ أغلبه اللّون الأصفر وتخلله حجارة صغيرة خشنة، كذلك الأحجار ذات الحجم المتوسط مع الرمل، حيث يوجد منها ما يُجلب من الطبيعة والبعض الآخر من المصانع كالإسمنت الذي يوضع في أكياس، ويُخلط مع موادٍ أخرى مثل: الماء والتراب، وتعتبر أساسية في عملية البناء، فالفرد الساكن يشتري كلّ هذه المواد بتكلفة كبيرة، على عكس المسكن التقليدي الذي تتوفر مواده الطبيعية، والمواد الحديثة أحيانا تصل إلى أسعار مرتفعة، ما يضطره لوقف بناء مسكنه إلى حين توفر مواد البناء بأقلّ تكلفة، فالتكلفة أمر مهم يراعيه الفرد كثيرا عند القيام ببناء مسكنه.

العديد من الباحثين في مجال العمارة خاصة، اهتمّوا بموضوع مواد البناء وتأثيرها صحيا ونفسيا على الفرد، حيث أكدوا على ضرورة الرجوع والاهتمام بمواد البناء من البيئة الثقافية المحلية، واستخدامها في العمارة السكنية أو بناء المشاريع ذات البعد الاقتصادي كالفنادق وغيرها، ومن أبرز من أشار إلى هذه النقطة، المهندس المصري "**حسن فتحي**" ، حيث اهتمّ بفكرة المواد المحلية واستخدامها في عملية البناء، من خلال مشروعه "**القرنة**"، كما ذكر ذلك في عدة مؤلفات يطرح فيها فكرته وتوجهه بقوله: "فقد كنت دائما أودّ أن أقيم صلة ظاهرة ومتينة بين هتين العمارتين في هيئة ملامح مشتركة، تكون نقطة مرجعية مألوفة للطرفين "[1]. فهو يعتبر من المحافظين على الأصول المحلية من خلال الإبقاء على المواد المحلية، لأنّها تشكّل خبرة الأفراد لسنوات عديدة، وجزء بيئي ثقافي من روح الأفراد.

تعدّ المواد المستخدمة في عملية البناء محور جدل بين العديد من المعماريين، فمنهم من يرى بوجوب المحافظة على المواد المحلية التي استخدمت في العمارة المحلية، كشكل من شكل الحفاظ

[1] حسن فتحي، " **الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية**"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977، ص 28.

والاستمرارية الحضارية للهوية الثقافية في قالب عصري ، يواكب التحوّل والتغير المجتمعي، ومنهم من ركّز على الاهتمام بالمواد العصرية واستخدامها المفرط في عملية البناء كشكل من أشكال الحداثة والعصرنة في مجال العمارة، والاستغناء عن كل ما هو تقليدي متّصل بالماضي، وهذا يقودنا إلى الانفصال على الماضي وقطيعة معه، والترحيب بكلّ ما هو عصري.

ولا يختلف الأمر كثيرا في مساكن مدينة قمار، فالمواد المستخدمة مصنّعة ومعالجة بطرق عديدة، وكما أشرنا سابقا حول فكرة التكلفة، فالأفراد في تنافس حول اقتناء كلّ ما هو حداثي أكثر، كشكل من أشكال ومعيار التفوق الاجتماعي، وإبراز المكانة الاجتماعية، فالمسكن هو رمزية وهوية لساكنه تتجلى فيه العديد من التعبيرات البصرية، خاصة ما يتعلّق بالأحوال الاجتماعية والمكانة الاقتصادية للفرد، حيث تختلف المواد باختلاف أشكالها وألوانها ومسمّياتها المختلفة، كما أنّ مواد البناء كالموضة تماما، فنجد شكل موحّد في كلّ البيوت، أو لون متعارف عليه في مجتمع معين لصبح ذلك –الدّارج– أو كعرف عند الأفراد يستخدمنه في البناء، وتختلف القيمة الاقتصادية للمواد مشكّلة جزء مادي ثقافي يتماشى مع القيم العصرية الحالية .

في القرن الثامن عشر، أعلن **مارك –أنطوان لاوجير** " أن التقنية هي السبب الأساسي للتعبير المعماري"[1]، وهذا ما نجده حاليا في المجال العمراني، فالتطور في المجال التقني والصناعي قد أسهم في بلورة عمارة حديثة للعمارة السكنية، مستخدمة طرق حديثة في بناء الأسقف والجدران وإضافة مواد سواء مختلطة أو صناعية، فالمواد من الناحية الشكلية تبرز دلالات ورمزيات مختلفة حول المسكن والساكنين فيه، وتختلف مواد البناء على تنوع أشكالها وصناعتها وتموضعها في المسكن، وتنقسم إلى مواد طبيعية مستخرجة من البيئة الطبيعية المحلية لمدينة قمار، ومواد البناء التي يتمّ خلطها مع مواد أخرى ، أو تكون عبارة عن مجموعة من مواد البناء ومواد أخرى مصنّعة، يتم صنعها في أماكن مخصصة لها وهو ما يوضحه الشكل **(03-01)** من أنواع مواد البناء.

ساهمت الخرسانة في بلورة عمارة حديثة، وشكّلتها ضمن قوالب معاصرة ألبستها ثوب العالمية، حيث لا يختلف نمط معاصر عن آخر في ثقافة أخرى، فنجد الإسمنت كمادّة لبناء المساكن في مدينة قمار، رغم عدم تناسبه مع المناخ والطبيعة البيئية للمدينة الصحراوية، ففي فصل الصيف تكون درجة حرارة المسكن حارة جدا، وفي الشتاء باردة ، وهذا الاختلال بين المسكن ودرجة حرارته الداخلية لعدم

[1] هاشم عبود الموسوي، " **توجهات العمارة الحداثوية** "، دار دجلة للنشر، عمان، 2015، ص 73.

وظيفية الإسمنت، ما يخلق عدم الراحة داخل المسكن، وحتى تتوازن وتتوافق الحرارة مع المسكن نجده يجهّز بيته بالأجهزة الالكترونية، كوسيط في فصول مختلفة لتحقيق نوع من الراحة داخل المسكن .

مواد البناء الحديثة والتقنيات المستخدمة في عملية إنشاء المباني السكنية بمجتمع قمار، تغير في الشكل والوظيفة على ما كان متعارف عليه في بناء المساكن التقليدية، وهذا ما أثّر على شكل المسكن، حيث برزت التقنية الحديثة من الوجهات المعاصرة في التغيير الشكلي للعمارة التقليدية، وانتقالها إلى العمارة المعاصرة لمدينة قمار، التوجه المعاصر للعمارة في المدن الصحراوية أثّر على نمطها وكيانها التقليدي والهوياتي.

الشكل رقم (03-01): يوضح تصنيف مواد البناء المعاصرة من حيث طبيعة المواد

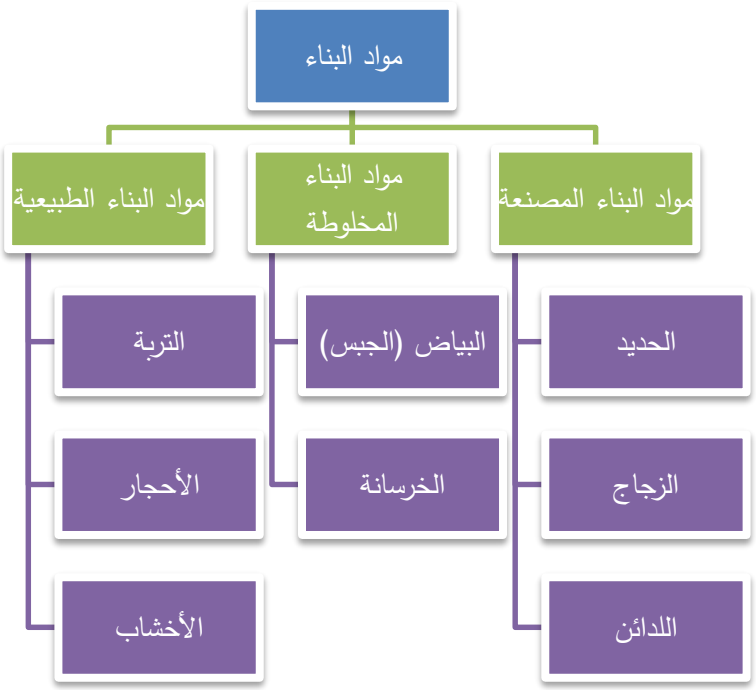

المصدر: مجدي محمد قاسم وآخرون، تأثير تطور مواد البناء على تصميم الغلاف الخارجي وواجهات المباني، ص3.

إنّ انتقال المواد من شكلها الطبيعي المستخرج من البيئة المحلية، التي يقوم فيها الفرد باستخراج المادة الخام إلى مواد مصنعة، أي ذلك التغير الذي مسّ مواد البناء المستخدمة في بناء المسكن المعاصر، نتيجة لثقافة استهلاك المجتمع، من مجتمع منتج إلى مجتمع مستهلك، يستهلك المواد كما تأتي إليه من المصنع أو الشركة المخصصة المساهمة في صنع المواد البناء المعاصرة؛ أدّى إلى اختلاف ثقافة البناء من الشكل التقليدي إلى المعاصر، فجسّد لنا التغير الحاصل في مواد البناء المحلية التي تعتبر جزء من ثقافة الفرد، إلى مواد غريبة عن البيئة ومختلفة في المكونات والشكل، فالمواد المحلية وظيفية أكثر وتتكيف مع البيئة الحارة لمنطقة قمار، خاصة في فصل الصيف، في حين المواد الحديثة

ليست وظيفية، ما جعلها تستدعي دخول الأجهزة الكهربائية، سواء في فصل الصيف أو الشتاء، فحداثة المواد أحد المحددات المعاصرة في تشكل المجتمعات وثقافتها المادية المتجسدة في المسكن كعنصر مادي ثقافي رمزي، تتجلى من خلاله ثقافة البناء والاستهلاك في نواح اجتماعية عديدة .

أثرت عملية البناء وتقنياتها على مستوى العلاقات الاجتماعية، ففي المسكن التقليدي كان الأفراد والجيران يساعدون بعضهم البعض دون مقابل عند بناء مسكنه، أو كما تسمى عند أهل المنطقة – صَبْ الدّالَهْ –، وهي عملية إنشائية يقوم فيها الساكن بصب الخرسانة لبيته وإرساء معالم بيته، هذه المناسبة كانت عند أهل الحي الواحد عند معرفة أن أحدهم يقوم بصبها لبيته يأتون لمساعدته والتضامن معه، لأن العملية تحتاج حوالي 20 شخص، فيتعاونون في ما بينهم دون مقابل، هذا النوع من النظام الثقافي الذي يسود المجتمعات التقليدية يسمى **التويزة أو – العوانة –** كما في مجتمع قمار، وبعد الانتهاء منها يقوم الساكن بتجهيز الغداء والأكل لكلّ من ساهم في ذلك، كنوع من الاحتفال.

نجد هنا روح الجماعة الواحدة وقيم التضامن والتعاون، لكن الوقت الحالي أصبحت التقنية هي من تقوم بتلك العملية أي صب الخرسانة، مع أنّها جدّ مكلفة إلاّ أنّ الساكن يفضلها على تلك العوانة أو نظام التعاون، لنفهم من خلاله أن قيم الفرد المعاصر يميل إلى الاستقلالية والاعتماد على المادة والتقنية، فثقافة البناء المعاصرة أثّرت على الجانب الاجتماعي للمجتمع، وانتقاله من شكله التقليدي القائم على نظام ثقافي، إلى شكل آخر دلالة على التحوّل على مستوى البنية الاجتماعية للمجتمع.

رابعا: الوحدات العمرانية للمسكن بمجتمع مدينة قمار

يتكون المسكن من عدة أجزاء، حيث كلّ وحدة معمارية لها فكرها الثقافي، سواء من ناحية مكان تواجدها أو الاتجاه الذي تُبنى فيه، أو تقسيم الفراغات داخل المسكن التقليدي، فكلها محددات تعكس ثقافة البناء والمسكن لدى الفرد السوفي، وكلّ وحدة أو عنصر داخل المسكن له دوره الوظيفي، الذي يشبع حاجات الفرد سواء حاجة الراحة أو الاستقرار أو الحماية.

يتكوّن المسكن التقليدي بمجتمع قمار، من عدة وحدات عمرانية، سواء في شقها الوظيفي أو المستخدمة في تسقيف المسكن ووحداته، حيث توزّعت إلى ثلاث عناصر أساسية نذكر منها:

4-1 الوحدات العمرانية للمسكن التقليدي بين الجانب الثقافي والوظيفي:

4-1-1 القبة : من أهم ما استخدمه الفرد السوفي في بناء مسكنه التقليدي، وهي رمزية معمارية لمدينة الوادي، مدينة ألف قبة وقبة ،كما أطلقت عليها "**إزابيل ابرهاردت**"، عند رؤيتها لمدينة الوادي من أعلى قمة من أحد المساجد العريقة بالمدينة، يعود أصل تسميتها في لسان العرب إلى معنى البيت الصغير

المستدير، وبصفة عامة القبة هي أحد الأشكال الخاصة المستخدمة في أسقف المباني والمساكن ،ولها تاريخ عريق في حضارات تاريخية أخرى، ومن المعالجات المعمارية التي خدمت الفرد السوفي في بيئته الحارة وتوفير البرودة داخل غرف المنازل، وشكلها عبارة عن قوس متكرر وملتف حول وسطه .

تحمل دلالات رمزية العمارة الإسلامية من خلال قباب المساجد والقصور في التاريخ الإسلامي، حيث "ظهرت القباب بمنطقة الوادي مع هجرات القبائل العربية من بني هلال وعدوان وسليم، وهي الفترة التي ظهرت فيها بعض المدن السوفية أبرزها الزقم، قمار، كوينين"[1]، ومن أوائل ما عمرت في الوادي **الأعشاش** أو ما كان يسمى قديما **شارع البلدة**، وأوائل المساجد مسجد **سيدي المسعود الشابي** وبدأ انتشار بناء القباب في المدينة والمساجد والزوايا والمساكن لما لها من قيم وظيفية وجمالية، تمثلت هذه القيم فيما يلي:

4-1-1 قيمة القبة وظيفيا: القبة هي ضرورة معمارية من نواح عديدة أبرزها أنها غير مكلفة من ناحية سواء من ناحية إنشاءها أو مواد بناءها المكوّنة من الجبس وحجار اللوس، والتوافق المناخي توفير نوع من المناخ المعتدل، وغير مباشرة لأشعة الشمس الشديدة في موسم الصيف، والتقليل من تراكم الرمال والأمطار على أسطح المساكن، فشكلها الكروي يساعدها على توفير الإضاءة واعتدال الحرارة في زوايا الغرف، كما أنّها عنصر معماري صلب، قادر على التحمل والتماسك لفترة زمنية ممكنة، حيث لا يتجاوز قطرها 3 أمتار[2]. إلاّ أن عبقرية الفرد السوفي، أوصلته إلى بناء السقف دون دعائم، تمثل في قوس صممه بتقويس عصى الجريد مع الجبس داخل الغرفة، حيث تقف عليه القبة لتكوين السقف بطريقة شبه دائرية.

وللقبة ضروريات مختلفة من الجوانب المادية، فهي غير مكلفة، وطبيعية غير مصنعة، وضروريات مناخية لأنّ وجودها يساهم وظيفيا في المسكن من جوانب عديدة، كالتدفئة والاحتفاظ ببرودة الغرفة، وأخرى تقنية على اعتبار أنها الشكل المعماري الأنسب للمنطقة، والتشكيل الهندسي غير المتطلب، والسهولة في الإنشاء، حيث يقيمون الجدران الأربعة وشكلها المحدوب والمقعر، على عكس ماهي في العمارة الحديثة التي اختزلت وظيفتها من حيث أنّ القبة رمزية وهوية في المساكن، وبعض المؤسسات الأخرى ودلالة ثقافية لمدينة الوادي.

[1] محمد الصالح بن علي، الفلسفة الجمالية لبناء القبة في وادي سوف في: **مجلة القباب**، العدد 08، 2014، ص 31.

[2] محمد الصالح بن علي، المرجع السابق، ص 32.

4-1-2 قيمة القبة جماليا ورمزيا: تتخذ القبة شكلا متناغما مع الثقافة المحلية للمنطقة ،سواء من خلال أنها تراث معماري حامل للثقافة، أو عنصر معماري يعكس تراث الحضارة الإسلامية، ولها دلالاتها الرمزية حتى أصبحت هوية محلية لمدينة الوادي، فلها جذور متأصّلة في العمارة التقليدية لمدينة تحمل رمزا وظيفية اعتمدها الفرد السوفي ليتكيف مع البيئة الصحراوية الحارة، وينتج لنا عنصرا ثقافيا ماديا، دالا على العبقرية لأهل سوف في العمارة، وفي المدينة المعاصرة غاب الشق الوظيفي، إلاّ أنها بقيت حاضرة لتشكل معلما تاريخا حضاريا –حاضرا ومستقبلا–.

4-2: الدمس: هي شكل معماري مطور من القبة ،لكن نصف أسطوانية استعمل في القرن 19 ، فقد جاءت من الجنوب التونسي من مدينة "**مدنين** " ،وقدم بها البنائين السوافة إلى المدينة، حيث اعتبرت في فترة ما من المؤشرات الحضارية والمعمارية في المساكن، كما استعملت في أحياء قمار مثل: –زقاق البراطيل، وعمارة الزاوية التيجانية بقمار[1]، ما يميّز فترة استعمالها دخول عنصر الحديد في البناء، وتسقَّف عليه **الدمسة**، فبدل من القبة نجد أدماس، رفعت كلّ واحدة منها بوتد من الحديد، ولها نفس الوظيفة المناخية للقباب، لكن الأدماس توفّر مساحة أكبر، فالغرفة الواحدة سقفها عبارة عن عدّة أدماس متوازية تشكل السقف العمودي.

يتكون المسكن المحلي بمجتمع قمار، من مجموعة الوحدات العمرانية ذات الطابع الوظيفي في هندسة عمران المدينة التقليدية بمدينة قمار، ونذكرها وفق الترتيب الآتي:

أ– **السقيفة:** مفهوم السقيفة يختلف معناه في مدينة الوادي، هناك من يشير إليها على أنّها غرف استقبال الضيوف ،وهناك من يعتبرها هي مدخل البيت، المقصود بها في هذه الحالة هو المنعرج الذي يبدأ منه مدخل البيت الذي يكون على شكل خطّ منكسر، شكله يكون عريض المسار في البداية ثم يضيق ليصل إلى حدّ الفناء .

الفضاء المكاني، يربط بين باب المسكن والفناء الداخلي له، تعود فلسفة تصميمه إلى احترام المنزل، كأن يستر النساء عند وجودهم في فناء البيت، فلا يُكشف عنهم ولا يسمح لهم بدخول الغرف أثناء تواجد الغريب، وأمام باب المسكن هناك فضاء صغير ذو مساحة تتسع لشخصين، يستغلّ للجلوس، وتسمى هذه المساحة المكانية في المفهوم الثقافي الشفهي –**فم الحوش**–، ومع مرور الزمن أخذ طابع المعاصرة، مع بقاء الوظيفة التي صمّم عليها، مع اختلاف المسميات والهندسة العمرانية له.

[1] حسونة عبد العزيز، مرجع سابق، ص 114.

ب- الإسطبل: يأتي كثاني عنصر موجود في المسكن، ففي معظم البيوت التقليدية نجده عند دخولنا للمسكن على بعد مسافة قليلة من المدخل وسقيفته، ويكون شكله مربع ومدخله مربع به قوس في الأعلى، جدرانه سميكة جدا، به باب من الخشب يفتح ويغلق إلى الخارج، يتشارك نفس الجدار مع الحمام كجزء من أركان البيت، لأنّ الحيوانات تعتبر من أملاك أهل المنزل ،وجب الاعتناء بها، فمعظم الأكل والمشرب مستخرجة من الحيوانات التي يربونها، فهي جزء أساسي في معاشهم وحياتهم ،ولذلك نجدها داخل المسكن التقليدي والشائع في اللهجة المحلية كلمة -كوري- وفي الداخل نجده منخفض أمام المدخل، له عتبة على شكل مربع بنوع من الأحجار.

في المعتقدات الشعبية؛ لا يدخل إلى الإسطبل ليلا، لاعتقادهم أنّ من يدخله ليلا، تلبسه كائنات من العالم الآخر، كذلك معتقد آخر بحرمة ضرب الحيوانات داخل الاسطبل، بالإضافة إلى معتقدات شعبية تشاركت فيها رمزية الحيوانات مثل كلمة -**قرة العنز**- وهي أسطورة حول العنزة الحمراء تشتهر بها مدينة قمار، والحيوانات في المعتقد الشعبي للساكن لها أهمية بالغة، على غرار المنفعة التي تحققها.

ت- السباط: من أهم الوحدات المعمارية التي لها أهمية كبيرة في المسكن التقليدي، لما له مكانة وأهمية ووظائف متعددة، حيث يتكون من قبتين كبيرتين، قديما كانوا يستعملون الأوتاد الخشبية لرفع بين القبتين، وأجزاء أخرى من الخشب، بعد مجيئ الحديد استعملت قطع كبيرة منه، كأعمدة لتكون القبة أكثر صلابة وتماسكا، كأن يشبهان الغرفين لكن مفتوحتين، وهي فضاء متعدد الوظائف والاستخدامات الخاصة للنساء، تستخدمه مثلا: لعمل المنسج على اختلاف أشكاله وألوانه، وتختلف وظيفة القبتين الأولى تُستغلّ للأعمال المنزلية ،من نسيخ وطحن القمح والشعير للاستعمال في عملية الطهي.

والقبة الثانية؛ يوضع بها الماء خاصة في موسم الصيف ليبرد، وتعليق الغذاء المجفف مثل: الثوم والنعناع وغيره من النباتات التي تستعمل يوميا، ويكون بالقبة الأولى والثانية حديد يعلّق في السقف، يسمى -معلاق- تعلّق عليه الثياب أو النسيج أو النباتات، في الصيف يكون فضاء بارد، حيث يُخصص أحيانا للنوم نهارا، فهو من العناصر التي تحقق "استقرارية حرارية " [1]، أو تبقى النسوة تمارس نشاطها اليدوي داخله لوقت طويل، ولا تُحدث إزعاجا لباقي الأفراد النائمين في غرفهم، حيث يعتبر السباط من العناصر المعمارية المتعددة الوظائف في المسكن التقليدي، ويلبي أكثر من حاجة للأفراد.

---

[1] لعمودي التجاني، "الاستدامة في العمارة الصحراوية"، في: **مجلة العلوم الاجتماعية**، المجلد 07، العدد 22، 2015، ص 248.

***بطاين:** شكل من أشكال التخزين التقليدية للتمر وحفظه من في أكياس على اختلاف خامتها.

ج- غرفة الخزين: تكون مشتركة مع السباط في نفس الجدار، ذات جهة شمالية أو ما تسميها النساء داخل البيت –الدار الظهراوية–، نسبة إلى اتجاه ومكان تواجدها، وهذا ما يتناسب مع الوظيفة الاقتصادية لها، بها حجرتين: الأولى تكون فيها الأواني الفخارية التي تستعمل لتخزين الحبوب وبها عنصرين مهمين في عملية التخزين الأول على شكل مربع يبنى داخل الدار، ويستعمل لوضع الحبوب من شعير وقمح أو –**بطاين*** التمر –، مختلفة الأحجام ، كما يسمى –المخزن–، أما الجزء الثاني وهو الأهم يسمى الخابية، وتكون على شكل أسطوانة في شكل مخروطي، تشبه جرة الفخار، تبنى من مادة الجبس، التي توفر الجو الملائم على عملية التخزين، لعدم إتلاف المواد المخزنة، والتي تكون غالبا **تمر الغرس**، كما تكون قاعدتها في الأسفل عريضة، وفي الأعلى توجد فيها فتحة ضيقة، تغطى عادة بغطاء من ليف النخل لمنع دخول الحشرات الضارة كما تظهر في الصورة

الصورة رقم (03-04): تمثل الصورة (03-04): تمثل الصورة شكل من أشكال الخابية المستعملة، تسمى الشبرية*[1]، تستعمل للتخزين بالثقافة المحلية لمجتمع قمار.

اعداد : الطالبة

هناك من يضع قصبة صغيرة في أسفلها، حيث يخرج منها عسل التمر –**الرُب**–، وتكون الخابية عالية، فهناك من يستعمل سلم صغير للنزول إليها بعد عملية غسل اليدين والرجلين، أغلب الغرف نجدها تحتوي على أكثر من خابية على حسب محصول التمر في موسم الخريف، وباقي السنة تملئ بالشعير أو القمح، ووجود دار الخزين ضروري جدا، لأنها الطريقة الشعبية لتخزين المواد، ومع تطور الحال وظهور التكنولوجيا المعاصرة، نجد الثلاجة كتقنية جديدة في التخزين، إلاّ أنّ ثقافة التخزين ما تزال موجودة في

[1] تمثل الصورة شكل من أشكال الخابية المستعملة، تسمى **الشبرية**، تستعمل للتخزين بالثقافة المحلية لمجتمع قمار، حيث تُصنع من مواد محلية كالجبس والطين لتحفظ الأطعمة المخزنة ولا تُتلف، تكون واسعة من الداخل وهي ذات شكل مخروطي، تعتبر من الأشكال التقليدية التي انتهجها الفرد القماري في ثقافته للتخزين والاستهلاك، ومن المواد الجافة التي يخزنها نجد: الحبوب الفريك والقمح والشعير، دون إلحاق الضرر على صحته، هذا النوع اختفى مع التحول في الهندسة المحلية للمسكن واستبدل بالأجهزة الحديثة الخاصة بالتبريد.

ذهن الفرد، لأنه يتم وضع الثلاجة في نفس الغرفة التي تتواجد فيها الخابية قديما. أي أن الثلاجة توضع في الدار الظهراوية، بسبب اعتقادهم بقاءها باردة ولا تفسد.

د-المطبخ : اختلفت تسمياته مع التغيرات المجتمعية الحاصلة في مجتمع قمار، فقديما كان يسمى **الكانون** ، حيث يعود أصل التسمية لاستعملهم الكانون في إشعال النار، وبعدها أصبح يسمى بالترجمة الحرفية الفرنسية للمطبخ **la cuisine**، وحاليا تغيّر تماما الاسم إلى (Salle à manger) ، مع تغير وظائف عدة للمطبخ في المسكن التقليدي، يتكون من شكله المربع ذا القبة الكبيرة ،ولا تتواجد به نوافذ، يبنى من الجبس والحجارة على شكله البسيط، وتشكّل فيه أدراج من الجبس، واحدة في الأعلى وتكون على حدّ المطبخ، توضع فيها مواد الطبخ، وأدراج صغيرة لوضع الأواني المختلقة، وأهم عنصر في مطبخ هو **-الشميني-** ، وهو عبارة عن موقد به مدخنة، تصل إلى أعلى المنزل، يخرج منها دخان الطبخ ،-في الأعلى درج صغير لوضع أغراض الطبخ، أمّا في ما يخص أدوات الطبخ تستعمل أواني معينة، تسمى - الزانقل-، تتحمل الحرارة خاصة التي تستخدم الأكل التقليدي.

نلاحظ عودة الأواني التقليدية في عصرنا الحالي، مع تغيّر الوظيفة، لكن بقيت محافظة على نفس دلالة الألوان، مثل الأصفر والأحمر والأزرق، وتختلف طريقة الطّهي من الطريقة التقليدية إلى المعاصرة باختلاف المواد والأجهزة، حيث كان نمط الطهي التقليدي الذي تأتي فيه النساء بثلاث حجارة أو أربعة بحيث أنّها تتحمّل الحرارة، ويوضع فوقها إناء الطبخ، وتكون وضعيتها على حسب حجم الإناء، وتستخدم دائما للطبخ، كما أنّ الخشب المستعمل جزء من أجزاء النخلة، مثل الكرناف، وجريد النخلة التي يبست، وأصبحت قابلة للاشتعال ،وحطب الصحراء، فكلّ أكلة وما يناسبها.

ترتسم المشاعر الحميمية في المطبخ أثناء فصل الشتاء، حيث يغمره الدفء نظرا لوجود النار، فتجتمع العائلة للأكل والسهر والسمر، إلاّ أنّ بعض الأسر الفقيرة تستخدم الطبخ وتقسّمه على جزئيين: جزء خاص بالطبخ وجزء خاص بالنوم والجلوس، فتكون غرفة كبيرة مقسمة إلى قسمين: الأول مطبخ والثاني عبارة عن قبة كبيرة كحجرة للنوم والجلوس.

ي- الحمام: يسمى قديما في الثقافة الشفاهية لأهل المنطقة – الخربة –، حيث تكون منعزلة عن باقي المرافق الأخرى، شكله المعماري مربع، لا يكون مسقف لضروريات صحية ومناخية، توضع حجارة صلبة على شكل ثنائيات متقابلة، يرش أهل المسكن عليه الرماد كل فترة لحمايتهم من الأمراض والرائحة، حيث يستخدم الرماد لأغراض مختلفة، كالتطبيب ومعالجة الجروح للإنسان والبهائم، ويُحرم المشي فيه بل يجب

تجنبه في الطريق، كما يكون في كل الاتجاهات، ما عدا اتجاه القبلة باعتبار أنّ دورة المياه فضاء مدنس، والقبلة اتجاه مقدس في الإسلام، فهي اتجاه الصلاة والعبادة،

4-2 وحدات المسكن المعاصر بين التغير الوظيفي والهندسي:

من ناحية المقارنة بين الوحدات التقليدية والمعاصرة للمسكن بمجتمع مدينة قمار، نجد اختلافا في التسمية بين وحدات العناصر العمرانية، كما يختلف بعضها من الناحية الوظيفية، فنجد المعاصر أكثر تخصصا وظيفيا من ناحية تقسيم الغرف ومساحاتها، والمختلف في ذلك أيضا ما يتعلق بالجانب الشكلي نسبة للتغير الوظيفي، حيث تشترك الوحدات في النمطين وفي شق التقسيم وتوزيعها على مساحة السكن، والمقصود هنا أن توزيع وترتيب الوحدات العمرانية لها نفس العنصر المشترك، وهو الترتيب القائم من العام إلى الخاص، وإلى الأكثر خصوصية، فهذه القيمة المشتركة المتمثلة في التنظيم الوظيفي، مستمدة من التصور الثقافي للساكن في الفضاء الداخلي السكني وعلاقته بالفضاء الخارجي.

في المسكن التقليدي نجد المدخل المنكسر فيء المسكن التقليدي حُذف من الهندسة الداخلية وأصبح في الشكل الخارجي للمسكن المعاصر، ووجود السباط كعنصر معماري مميز، له بعده الوظيفي والهوياتي، ففي المسكن المعاصر لا نجده، وإن وُجد نجده شكلاً فقط، متمثلا في القوس عند مدخل المسكن الداخلي، كما نجد في المدخل العنصر المعماري الحديث، المتمثل في **الصالون – الصالة** – وهي أحد المستجدات المستحدثة في العمارة السكنية بمنطقة قمار، حيث تكمن وظيفته أنه مكان لاستقبال الضيوف، حاملا الصفة العصرية من ناحية الأثاث والمفروشات، تجتمع فيه العائلات في المناسبات والاحتفالات، كما يعتبر فضاء للتفاعل الاجتماعي واللّقاءات الاجتماعية الأسرية .

باقي العناصر العمرانية لها نفس الأسماء والوظيفة التي تحققها للأسرة، فوجود عنصر غرف الأطفال الخاص بهم، في المسكن التقليدي لم يكن له وجود، فالفرق بين العناصر التي تتشابه بين النمطين التقليدي والمعاصر، الناحية الشكلية من الداخل، نجدها أكثر عصرنة وحداثة في تناسقها مع مواد البناء والأثاث والأجهزة المستعملة من طرف الأسرة، تلك الاختلافات في الشكل تبعا لتحوّلات وحداثة المواد في عالم البناء والعمارة.

خامسا: القيم المستحدثة للمسكن المعاصر بمجتمع قمار:

تختلف القيم المرجعية المساهمة في بناء الشكل الهندسي والتصور الثقافي لهيكلة المسكن بمجتمع قمار، حيث هناك انتقال ثقافي بين القيم التقليدية التي تبدو واضحة في المجال السكني المحلي الشعبي، سواء من عادات وتقاليد وقيم دينية وكذا قيم اجتماعية، وصولا إلى القيم الاقتصادية، تبعا للتحولات الاقتصادية التي مست الجوانب الثقافية الاستهلاكية لمجتمع قمار، منها السكن وتحوّله إلى قيمة اقتصادية في مجتمع متحوّل يرتكز على المادة ،للتأكيد على مكانته ووجاهته الاجتماعية ، وقيم أخرى تخصّ الجانب الهندسي، من أهمها القيم الجمالية، والانتقال من البساطة إلى التكلّف في الزخرفة والنقش والمواد ذات الألوان المختلفة، كل هذه القيم تعتبر من القيم المستحدثة التي أفرزتها العمارة المعاصرة، ومن أبرز تلك القيم المستحدثة في هندسة عمران المسكن المعاصر نذكر ما يلي:

- **القيم الثقافية:**

يتعلق الجانب الثقافي بكل جوانب حياة الفرد، فتلك الثقافة مع مرور الوقت تفقد البعض من معانيها، وتظهر أجزاء ثقافية مغايرة وحديثة، بجانب الثقافة المحلية التقليدية، فهندسة المجال السكني فيها ثبات من ناحية جوهرها وثباتها في تصور الفرد، وهذه القيم مستمدة من النسق الديني الموجه لسلوك الفرد، والضابط لسلوكياته اليومية، فالبعض من العادات والتقاليد الاجتماعية أثرت عليها التحوّلات التي مسّت البنية المجتمعية لمجتمع مدينة قمار، والتجسيد المادي لهندسة المسكن ؛هو ترجمة لتلك التحولات، لبعض من الطقوس والممارسات، مثلا: ما نجده متغيرا في بناء المساكن.

- **القيم الاجتماعية:**

يتسم مجتمع قمار كجزء من المجتمع الصحراوي بجملة من القيم الاجتماعية، التي تعمل على المحافظة وإبرزا خصوصية البناء الاجتماعي، فالمسكن التقليدي حامل معه في هندسته جملة من القيم الاجتماعية على اعتبار أنّ الأسرة الساكنة، أسرة ممتدة مكوّنة من مجموعة من الأفراد الفاعلين والمحافظين عليها كبنية كلية، لها مصالح وعلاقات حميمية مشتركة، تلك الحميمية يحفظها السكن ويحتضنها لتقوية الروابط الأسرية.

الشكل المعاصر في هندسته التي تقوم على صغر المساحة وضيق الغرف، لا يتسع إلاّ لأسرة نووية، ويبرز الاستقلالية الاجتماعية عن الأسرة الأصلية، وهذا لاعتبارات منها الاعتبارات الاقتصادية لكل أسرة، فكلّ عائلة لها نفس الاقتصاد والنشاط الفلاحي فهم يشكلون لُحمة واحدة وتحت سلطة الأب،

ومع تعدّد الوظائف والخدمات توزع أفراد الأسرة كلٌ في مسكنه الخاص، أي الأسرة بالمدينة الصحراوية تعاني "تلاشي للقيم الحقيقية التي يُبني عليها النسق الأسري" [1] للأسرة بالمدينة الصحراوية.

فالفرد الحداثي بصفة عامّة يعيش الاستقلالية سواء المادية أو الاجتماعية، ويفضّل الاستقرار في مسكن يخصه، فقيم المشاركة تلاشت نوعا ما، وبرزت الفردانية كلٌ مسؤول عن نفسه وحياته، كذلك قيم التضامن والتعاون إلى عزلة وضعف الروابط الاجتماعية، فالمسكن التقليدي هو ملكية جماعية مع مرور الوقت، ولّد المسكن الملكية الخاصة للفرد.

المسكن المعاصر عمل على إعادة تشكّل الأسرة، وانتقالها من نمطها التقليدي المحافظ على الروابط وقوة التفاعل الاجتماعي في حيز اجتماعي مادي واحد، إلى أفراد منعزلين عن الآخرين ومستقلين عن بعضهم البعض، فالعائلة الكبيرة لا تتشارك ولا تلتقي إلاّ في المناسبات أو أيام خاصة دون غيرها، خاصة بعد وفاة الوالدين، فالوالدين هم من يجمعون بقية الأسرة ويحافظون على بقاء علاقاتهم رغم أنّ كلّ واحد فيهم في مكان بعيد عن الآخر.

المسكن المعاصر له دور في بلورة العلاقات الاجتماعية والقيم التي كانت في الأسرة التقليدية ذات المسكن المشترك، إلى عائلة كلّ فرد من العائلة في مسكنه الخاص به، فمن القيم المستحدثة التي أبرزها ووضحها السكن هي قيم الفردانية والاستقلالية وملكية المسكن الخاص به، فالإنسان في العصر المعاصر الحداثي تغيرت قيمه وعاداته الاجتماعية، نتيجة لعدة تحوّلات على مستوى النسق القيمي وبنيته المجتمعية، فشكل المجتمع في المدينة الصحراوية تغيرت مورفولوجيته الاجتماعية، وما يؤكد ذلك "أنّه أصبح يعاني من الظواهر الاجتماعية التي تواجهها مجتمعات أخرى، وذلك بتغير النمط العمراني" [2] مثل المشاكل الأسرية، كمشاكل الشباب في الفضاء الحضري الصحراوي، مثل: العنف، المخدرات، وهي مشاكل بات يعاني منها الشارع الصحراوي نتيجة ما لاقاه من تغيرات على مستوى بنية وهيكلة المدينة بمفهومها المعاصر.

في مجتمع قمار العائلة التقليدية تتشارك في كلّ نواحي الحياة، سواء في النشاط الاقتصادي أو غيره، كما تحافظ العائلات على تجمعهم بعنصر المطبخ، باعتباره حيزا يجمعهم ويقوّي علاقاتهم، من

---

[1] محمد الصافي: "المدن الصحراوية بجنوب المغرب من نسق البداوة الى ضرورة التحضر نظرة على التحولات الاجتماعية والعمرانية" في : **مجلة العلوم الاجتماعية**، المجلد 07، العدد 29، مارس 2018، ص 16.

[2] محمد الصافي، المرجع نفسه، ص 16.

خلال التجمع حول مائدة واحدة، أو قيام كلّ النسوة بطبخ الأكل لكلّ أفراد العائلة، كما نجد بعض العائلات المعاصرة ما تزال تحافظ على هذه القيمة.

فنجد زوجات الأبناء وإن كنّ منفصلات في المسكن على والدي الزوج، إلاّ أنّهنّ يطبخن جميعا في نفس المطبخ، وهذه ما تسمى في الثقافة الشفاهية لمجتمع قمار –**القسمة** –، فتقول إحدى النسوة :**(ما زلت مش قاسمة على أهل زوجي رغم أنه لدي المسكن الخاص بي والبعيد قليلا عن مسكن أهل زوجي)** [1]، فقدر الطعام ليس عبارة عن شيء مادي، بل هو رابطة روحية تولّد عاطفة بين أفراد الأسرة الواحدة، والقسمة بين أفراد الأسرة يكون بدأ من عزل زوجة الابن عن المطبخ، فالمسكن المعاصر له خصوصية اجتماعية جديدة تختلف عن التقليدية بمجتمع قمار .

- **القيم الاقتصادية:**

المساكن التقليدية كانت لا تشكل عبئا على الساكن في قلّة التكلفة، من خلال أنّ جميع مواد البناء متوفرة لديه، ويستخرجها بنفسه من بيئته الطبيعية المحلية، فلا يتكلف عناء شراء المواد، وكذلك هو الذي يقوم بفعل البناء ويشرف على جميع عمليات التصميم والتشييد الخاصة بمسكنه، كما أنّ العمال الذين يأتون للمساعدة لا يتقاضون مقابل ذلك أجرا، فهم يتعاونون مع بعضهم البعض، مجسدين بذلك صورة من صور التضامن والتكافل والتعاون فيما بينهم.

الأمر يختلف في المسكن المعاصر، فهو مكلّف لبعض العائلات خاصة ذات الدخل المتوسط أو المنخفض، فعملية البناء تستهلك وقت طويل لإتمامه والاستقرار فيه، نظرا لغلاء مواد البناء والتقنيات الخاصة به، كذا أجرة العاملين المسؤولين على تشييده، والمعماري الذي صمّم المسكن، كلّ هذه العوامل ترفع من قيمته المالية على عكس التقليدي، فنجد الفرد غير القادر على بناء مسكن مستقلّ خاص به، يلجأ إلى استأجار بيت.

المسكن المعاصر له قيمته الاقتصادية من خلال شكله الخارجي، الذي يحمل دلالة على المكانة الاقتصادية للفرد، ومؤشرا اجتماعيا على مكانته في المجتمع، فنجد المساكن بمدنية قمار مختلفة الشكل والبناء، فالقيمة الاقتصادية من أبرز القيم المستحدثة في العمارة المعاصرة بشكل عام، حيث نجد تأثيرا كبيرا للجوانب المادية المالية، فنجد الأفراد في تنافس حول امتلاك أفخم المساكن، من خلال مواد البناء

[1] مقابلة مع إحدى المبحوثات (ع، ن) يوم 10/04/2024 الساعة 10:00 ص .

والنقش والطلاء ذو السعر المرتفع، فكلّ ذلك يساهم في التغير القيمي للمسكن التقليدي، الذي يقوم على تكلفة منخفضة.

➢ **القيمة الجمالية:**

تتسم العمارة التقليدية بمجتمع قمار بالبساطة في هندستها سواء الداخلية أو الخارجية، من خلال استخدام مواد محلية بسيطة، أو من خلال الهندسة الداخلية، من توزع الغرف والعناصر المعمارية التقليدية فكانت تلك المواد والهندسة وظيفية، تلبي الحاجيات الأساسية للأسرة، كما نجدها تتسم بطابع البساطة ما يجعل شكلها مريحا للعين، ودافئة في تفاصيلها المعاصرة، وقد أثّرت على شكل البناء والمواد واهتمت بالزخرفة والاجتهاد في تبيان الفخامة والعصرنة في مجال البناء والعمارة، فنجد بعض المساكن بمجتمع قمار شبيه بمساكن في مجتمعات أخرى متخلفة ثقافيا، وحتى العمارة المعاصرة لها اختلاف على المعاصرة الحداثية، التي تتجه حاليا إلى البساطة في الشكل وحتى الأثاث والألوان، فالذوق يتغير بتغير الأحوال الاجتماعية، كما يكون مشتركا مع أفراد مجتمع قمار، وهو ما نلاحظه ملاحظة ميدانية، فنجد أنه يستند إلى فخامة شكل المسكن وهندسته، والاهتمام بالألوان والأشكال المكلفة، تحمل جمالية بصرية وهوية غير محلية عن مجتمع اعتاد على ثقافة القبة وحمل رمزيتها معماريا.

خلاصة الفصل :

تعرفنا من خلال هذا الفصل إلى المسكن بمدينة قمار، من خلال الطرح الأنثروبولوجي الذي تطرقنا فيه إلى التحوّلات التي عرفها المسكن كشكل مادي له التأثير المباشر على التحوّلات السوسيو ثقافية لبنية مجتمع ومدينة بالكامل، وناحية عمرانية من خلال عرض الهندسة العامة للنوع التقليدي والمعاصر للمسكن ،وتبيان الاختلاف في الهندسة والعمران، ومجموع القيم التي تُعدّ ثوابت مجالية عند الساكن، وكذا بروز قيم مستحدثة ظهرت مع الهندسة المعاصرة للمدينة عامّة، والعمارة السكنية على وجه الخصوص، مفرزة قيما، تبرز التصورات والقيم الحديثة لفرد يعاصر ويسارع التحوّل الحاصل في المجتمعات، مع التركيز على أهم تلك القيم التي ساهم السكن في إيضاحها من ناحية الشكل المادي، وعملنا تحليل ذلك الخطاب العمراني للمسكن المعاصر بمدينة قمار، لفهم التحولات القيمية في الهندسة المعاصرة لها.

الفصل الرابع: الحرمة كقيمة مرجعية في هندسة عمران المسكن بمدينة قمار.

- تمهيد
- أولا: الحرمة كتصور ثقافي بمجتمع مدينة قمار.
- ثانيا: المسكن كفضاء مقدس: الممارسات النسوية في المسكن بين قداسة المكان والاعتقاد.
- ثالثا: المسكن كفضاء نسوي.
- رابعا: المسكن والجسد الانثوي.
- خامسا: التغير الثقافي لقيمة الحرمة للمسكن في مجتمع قمار.
- خلاصة الفصل

تمهيد الفصل:

نتناول في هذا الفصل الحرمة ،كقيمة محددة في هندسة عمران المسكن بمجتمع قمار، وترجمتها الهندسية ضمن الفضاء السكني سواء التقليدي أو المعاصر، وأهم العناصر العمرانية الدالة على التصور الثقافي لها كقيمة حاضرة ضمن المجال السكني التقليدي والمعاصر، ومن خلال دراسة التحول القيمي التي تبرزها الهندسة المعاصرة، وعن دور المرأة كعنصر ثقافي له الدور الأساسي في التغير الحاصل، في الفضاء الخاص من خلال تغير أدوارها الاجتماعية داخل مجتمع قمار، تشكلت على إثرها هندسة حديثة وأصبح الفضاء السكني كفضاء دال على تغير النوع الاجتماعي، وهذا ما كان له تأثير مباشر على الهندسة العمرانية للمسكن المحلي، وانتقاله إلى الهيكلة الحديثة المعاصرة.

أولا: الحرمة كتصور ثقافي بمجتمع مدينة قمار

تعتبر المجتمعات الصحراوية من المجتمعات المحافظة نوعا ما على شكلها الثقافي، والحرمة قيمة مستمدّة من القيم الدينية، المتجسدة في أشكال متعدّدة، سواء الجانب الثقافي المادي أو غير المادي، ولها علاقة وطيدة بالفضاء السكني، لأنه يعبّر عليها من خلال توزع الفضاءات الداخلية للمسكن التقليدي، وتتضمن قيم الحرمة بعدين هما: العرض والشرف ،فالعديد من الدراسات الأنثروبولوجية التي تناولت هتين القيمتين، خاصة في المجتمعات المغاربية **العِرض** بمعنى :عِرْض الرجل وحسبه ..... ، وقيل ما يمدح به وفيه يُذم"[1]، وكذا مرتبطين أساسا بالوجود النسوي والجسد الأنثوي ضمن المجال المنزلي، فالباحثة **خلود السباعي** عرّفت الشرف على أنّه: " يتضمن أيديولوجية جنسية، تجعله مرتبطا بالمرأة"[2].

في التعبير المحلي يُقال " **دَارِي تُسْتُرْ عَارِي**" وهنا دلالة واضحة أنّ المسكن له وظيفة الستر من كلّ عار، والستر هنا من القيم الاجتماعية المرتبطة بالحرمة والعرض والشرف والحياء، وكلها قيم ثقافية اجتماعية لها تصور وارتباط كبير بالحرمة، ضمن المجال السكني الذي يُجسّد من خلال هندسته العمرانية، وأهم مؤشرات القيم المتعلقة بالشرف والعفة والاحترام والوقار، ويدعوا إلى المحافظة عليها كجزء من شرفه وعرضه، ومن خلال تقنية الملاحظة للمسكن التقليدي بمجتمع قمار – **الحوش**–، نجد عدة تفاصيل معمارية تحاكي قيم الحرمة كتصور ثقافي ،ويُعبّر عنها من خلال جملة من العناصر المعمارية أبرزها:

1-1 العتبة: هي المجال الفاصل بين الفضاء العام والخاص، والعتبة في الموروث الشفهي ،هي الحدّ الفاصل بين مجالين : العام والخاص الحميمي، حيث لها العديد من التمثلات الثقافية والطقوس التي تمارس فيها في مجتمع مدينة قمار، مثلا: لا يجوز الجلوس عند عتبة باب المنزل، لاعتقادهم أنّها مكان لكائنات أخرى تسكن الفضاء السكني، وتُوضع العتبة كعنصر معماري في أول المسكن، لاعتبارات مناخية أيضا كأن تمنع دخول الغبار والتراب، والعتبة في المسكن التقليدي ليست متعلقة بالباب الخاص بالدخول إلى المنزل، فالعتبة موجودة أمام كلّ غرفة في البيت – عتبة الحوش– عتبة الباب – عتبة الدار– (الغرفة)، وهذا لوجود الفناء الذي به تراب أو كما يقال في الثقافة الشعبية لأهل المنطقة – وسط الحوش يكون مرمّل –، فوجود العتبة بكلّ غرفة يمنع دخول التراب وغيره ، كما يعود سبب وجودها بكلّ

[1] محمد كركوب، "سوسولوجيا القيم في الاسرة المغربية "العرض والشرف نموذجا"، في : **مجلة تاريخ العلوم**، العدد الثامن، ج 2، جوان 2017، ص، 131.

[2] محمد كركوب، المرجع نفسه، ص 131.

الغرف في شكل المسكن التقليدي، لاحتوائه على الفناء، ما استدعى هذا الشكل من التصميم، حيث يقودنا هذا إلى فهم مدى تكيّف الفرد مع بيئته الطبيعية، وإنتاج عنصر معماري ثقافي يتلاءم والبيئة الطبيعية للمدينة الصحراوية.

في الثقافة الإسلامية العتبة مرتبطة بالمرأة ،فقي قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما أُمر أن يُطلِق زوجته قيل له :"غيّر عتبة بابك"، وعندما تزوج مرة أخرى قيل :"له ثبّت عتبة بابك " والمقصود هنا أن المرأة مثل العتبة، أي أساس البيت ،ومنها يكون بناء وتأسيس الأسر، وفي ثقافة مجتمع أهل قمار الولد الذي يولد أولا يسمّى – **البدري**– مثل: العتبة، لا يجوز تخطيه عندما يكون جالسًا، فالعتبة عنصر مادي ثقافي ،له رمزيات مختلفة ضمن الثقافة المحلية لمجتمع مدينة قمار، وهي جزء مهم في المجال السكني على اختلاف وظائفه حتى وإن كانت مناخية.

الحرمة قيمة ثقافية تحمل الشق المقدس، وتعدّ من أبرز العناصر المجالية قداسة في ثقافة مجتمع قمار، وتختلف العتبة من المسكن التقليدي إلى المسكن المعاصر من جوانب عدة، حيث طرأت عليها تغيرات على المستوى الهندسي، أصبحت موجودة ضمن مجال مدخل البيت لا غير على غرار المسكن التقليدي، فهي موجودة داخل الفضاء الخاص لكلّ الغرف، فجزء العتبة ما يزال محتفظ به ضمن الفضاء المنزلي، لكن بمواد بناء وشكل مختلف عن التقليدي لتطور المجال الهندسي العمراني، فالعتبة من الناحية الهندسية الحديثة هي عبارة عن تدرجات من الرخام، يغلب عليها الطابع الفني والقيم الجمالية، وإن وجدت تغير شكلها وظهرت عليها محسنات وتغيرات هندسية ،سواء من الشكل أو المواد المستعملة، وإن حافظت على وظيفتها من تقليل دخول التراب أثناء حدوث رياح رملية، –**شهيلي**–.

الصورتين رقم (04–01): تمثل الصورة العتبة في الشكل التقليدي للمسكن، حيث تتميز بارتفاعها وعرضها وتوضع حجرة على شكل مربع لوضع الرجل قدمه لتسهيل الدخول للمسكن، وعتبة الغرف تكون أقل من ناحية العرض، وتكون على شكل مستطيل وتُبنى بالحجارة القاسية والمتينة القديمة.

الصورة رقم (04–02): تمثل الصورة عتبة المسكن المعاصر، حيث تتميز بالشكل الفني العصري من ناحية مواد البناء، وتختلف عدد الدرجات المكونة لها من ثلاث إلى درجتين على حسب المسكن، لغاية الوصول إلى أمام باب المدخل، وكلها تعتبر عتبة ومساحة مقدسة فاصلة بين مجالين للمسكن.

اختلف الشكل وطريقة الهندسة، لكن ما يزال شكلها محافظا على وظيفته من الناحية المناخية، وكذا ما زالت بعض المعتقدات المرتبطة بها سواء من طقوس بناء محافظ على حرمته ضمن المسكن بمجتمع مدينة قمار.

الصورة رقم (04-02): تمثل عتبة المسكن المعاصر

الصورة رقم (04-01): تمثل عتبة المسكن التقليدي

المصدر: من اعداد الطالبة 2023 /01/12.

المسكن التقليدي عتبته تكون منخفضة، فعند الدخول إلى المسكن يرفع رجله، للدلالة على دخوله عالمه الخاص، وعبوره من العام إلى الخاص، وعند الدخول إلى الغرف يرفع رجله ويخفض رأسه، فخفض الرأس ورفع الرجل له دلالة على " التطويع والضبط الجسدي، يذكر بأنّه ثمّة حَدّ، يتمّ عبوره للولوج إلى فضاء خاص له حرمته"[1]،ودلالته الرمزية، وهذه الحركة نلاحظها في البيوت التقليدية، لصغر الغرف وارتفاعها القصير، فالعتبة رمز معماري وهوية لأهل البيت، كما تكون في بداية تشكّل الفضاء السكني، وتَعبر من خلاله إلى مجالين مختلفين في الهوية والتعامل الاجتماعي، كما أنّ العتبة مجال رمزي وطقوسي، يتمّ فيه ممارسة الطقوس الاسترضائية كالتضحية والذبح، فحرمة البيت تبدأ من عتبة بابه،

[1] عماد صولة، "سيرورة الرمز من العتبة الى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في المسكن التقليدي التونسي"،في : **مجلة إنسانيات**، مركز البحوث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، عدد أفريل 28 أفريل – جوان 2005، ص 15.

والغريب أو الزائر لأهل البيت يقف أمام العتبة أو يبتعد عنها بقليل حتى يسمح له بالدخول، كنوع من القيم الاجتماعية واحترام خصوصية أهل البيت وحرمته.

2-1 المسافة بين الباب ووسط الحوش – المسكن: تبدأ تلك المسافة من باب البيت، من الداخل إلى غاية الوصول إلى فناء المسكن، وهو عبارة عن خط منكسر، وُضع لاعتبارات كثيرة منها لحماية حرمة المسكن، فالنساء موجودات في الفضاء الخاص بهنّ، عند دخول الضيوف أو غرباء للمنزل يتسنى لهن الدخول إلى الغرف الخاصة بهنّ، كنوع من الحماية وعدم التكشف مباشرة على أهل البيت، وهو ما نجده في كل البيوت التقليدية.

في مدخل البيت، نجد مساحة صغيرة على شكل مربع تسمى- **باب الحوش**- أو -**فم الحوش**-، يستخدم أحيانا للجلوس عند قدوم ضيف لزيارة قصيرة في الفترة الصباحية، حيث نجد هذه الفكرة متواجدة حتى في المساكن المعاصرة، لكن بشكل مختلف ولكن بنفس الوظيفة، التي تقتضي الترحيب بالضيف لكن دون إدخاله إلى وسط المسكن وذلك للحفاظ على خصوصية الداخل. وعلى كلام أحد المبحوثين نجده: "يسمى في الثقافة الشعبية لأهل منطقة قمار –باب الحوش- "[1]، لأنّه عنصر معماري تقليدي تابع عضويا للباب، ومدخل المسكن، والخط المنكسر له وظيفيتان، كونه مدخلا للمنزل، وفي نفس الوقت هو بمثابة مدخل المسكن التقليدي، ولوقت طويل كانت المساكن دون أبواب يكتفون فقط بعمل الخط المنكسر، أو كما سمته إحدى المبحوثات – **الداير**- ،أي شبهته أثناء كلامها بنصف الدائرة.

الصورتين (04-03)، (04-04):تمثلان الخط المنكسر للمسكن التقليدي بمدينة قمار، الذي له دور في الحفاظ على حرمة المسكن، فبدايته من مدخل الباب إلى غاية مدخل المسكن والفناء، هذه المسافة تضمن حرمة السكن وتحفظ وجود النساء بداخله خاصة عند قدوم الضيف، كما له دورا وظيفيا ضمن الهندسة الكلية للمسكن في حفظ حرمة أهل البيت، ومن أهم العناصر العمرانية الثقافية لحامل لهوية المسكن التقليدي، الخط المنكسر يكسر الرؤية من باب المدخل ومنع الرؤية لداخل المسكن وستر حرمة أهل المسكن.

[1] مقابلة : **(ع. ل)**، 05/09/2023، 9:00 ص.

***الداير:** كلمة شعبية محلية بمجتمع قمار، تدلّ على الشكل النصف الدائري للمكان، أو تستعمل في مواضع أخرى في الثقافة الشفاهية كالفلاحة.

الصورة رقم (04-03): يمثل بداية الخط المنكسر من مدخل باب المسكن التقليدي بمدينة قمار.

الصورة (04-04): تمثل الخط المكسر عند الوقوف بالمدخل تنكسر رؤية العين لداخل المسكن.

المصدر: من إعداد الطالبة: 15/12/2023

في المسكن المعاصر نجد هذا العنصر المعماري قد خرج إلى الخارج، بمعنى أن حرمة الفضاء السكني المعاصر انتقلت من الداخل إلى الخارج وذلك لعدّة اعتبارات، فمن خلال ملاحظة المسكن المعاصر نرى بأنّ هناك تغيرا في هندسة وتصاميم المجال الداخلي وشكل المسكن، فالخطّ المنكسر أصبح عبارة عن نصف دائرة، نلاحظه عند رؤيتنا الواجهة الأمامية للمسكن، أي عند فتح الباب، وبالنسبة إلى الباب يوضع بطريقة وشكل يعاكس اتجاه الشارع في الفضاء الخارجي، أي في زاوية من الداخل، ليحجب الرؤية المباشرة للفضاء الداخلي للمسكن ،بحيث لا يلاحظ المار أمام المسكن ما يوجد في الداخل أو يلاحظ حركة الأهل بداخله.

الشكل المعاصر لمدخل المسكن له دور وظيفي في حفظ حرمة أهل المسكن من نظرات العالم الخارجي، وله وظيفة ثقافية لتحقيقها قيم متجذرة في التصور الثقافي لأهل مجتمع قمار، حيث يرافق هذا

العنصر عنصرا آخر، نصف دائري في الداخل، ومع بعضهما يتكاملان في تحقيق دور ووظيفة ثقافية، بمعنى أنه مرتبط بالهندسة الداخلية بالعنصر الأول الخارجي، ويمتد من الباب إلى غاية بداية الفضاء الداخلي، فعند قدوم الغريب إلى المسكن يتمكّن الأفراد من الدخول إلى حجراتهم بالداخل، إذن هذين العنصرين الداخلي والخارجي يكمّلان بعضهما البعض، ولهما نفس الوظيفة أَلَا وهي حماية المسكن وتحقيق الحرمة بالمجال السكني ذو النمط المعاصر.

الصورة رقم (04-05): تعبر عن تجسيد الحرمة في هندسة المسكن المعاصر بمجتمع مدينة قمار، حيث هذه الزاوية تكسر الرؤية على المارين، وعدم التعرف على من يقف بالباب، وبالتالي تحفظ حرمة السكن ومن هم بالفضاء الداخلي، حيث قيمة الحرمة بعد أن كانت في المسكن التقليدي بالداخل من خلال الخط المنكسر، انتقلت إلى الخارج بشكل هندسي عصري وحديث في هندسة المسكن المعاصر.

الصورة رقم (04-05): مدخل لمنزل معاصر بمدينة قمار

المصدر: الطالبة: 05/11/2023

3-النوافذ: من أبرز العناصر المعمارية في هندسة عمران البيوت، سواء التقليدية منها أو المعاصرة، اختلف شكل تواجدها باختلاف التصور الثقافي للمسكن، كما نجدها في البيوت المحلية أو التقليدية بشكل مربع وصغير على ارتفاع كبير نوعا ما، وما يميّز وجودها في البيوت التقليدية تواجدها ضمن الفضاء الخاص بالبيت، وتطلّ كلها على فناء البيت – وسط الحوش –، فكل غرفة لها تقريبا نافذتين صغيرتين تحتوي على جدران داخلية سميكة لحجب رؤية المارّة من جنب الغرفة، فلا يرى النساء من الداخل والكشف عن حرمتها داخل فضاءها الخاص بهن، والجزء السفلي منها له وظيفة حماية الغرف من دخول رمل الفناء إلى الغرفة .

من خلال عمليات الملاحظة الميدانية، وجدنا أنّ الفضاء الوحيد الذي كان لا يحتوي على نافذة في هندسة بعض المساكن التقليدية، هو المطبخ فلا نجد فيه أيّ نافذة من أيّ نوع، لأنّ المطبخ لا يحتاج إلى تهوية نظرا لوجود –**الشميني** –، الذي يخرج منه دخّان الطبخ، والسبب الثاني أنّ المطبخ مجال خاص بالنساء فلا يجب التكشف عليه، كما أنّ مكانه موجود في آخر المسكن تفاديا لإحراج النساء أثناء الدخول والخروج منه، أو التكشف عليهن وهنّ يمارسن عملهنّ، فالنافذة عنصر معماري في التصور الثقافي للفرد بمجتمع قمار، وظيفتها حفظ حرمة وخصوصية المسكن. **الصورة رقم (04-06): تمثل** المطبخ في المسكن التقليدي وهندسته الداخلية، بساطة الشكل وهندسة سقفه من فوق نفس شكل الشميني المستعمل في الطبخ، ما زال لحدّ الآن هذا الشكل الهندسي للمطبخ في المسكن التقليدي بمجتمع مدينة قمار، حيث يتسم بالبساطة والاعتماد على الطبخ على الحطب قديما ومختلف عناصر النخلة والحلف

الصورة رقم (04-06): المطبخ التقليدي بمدينة قمار

المصدر: إعداد الطالبة: 27/12/2023

في المسكن المعاصر انتقلت النوافذ من المجال الخاص إلى العام، وأصبحت تطلّ على الفضاء العام والنوافذ كلّها خارج المنزل نظراً لتغير الهندسة العمرانية للمسكن، فغياب الشكل التقليدي والحذف العمراني الذي حذف عنصر الفناء واستبداله، اضطرّ الفرد بمجتمع مدينة قمار إلى إخراجها لوظيفة التهوية وتسهيل عمليتي دخول وخروج الهواء من الداخل إلى الخارج، فمن نافذة ترتكز على مواد طبيعة كالخشب إلى مواد حديثة كالحديد والزجاج والالمنيوم، وأكبر حجما من الشكل التقليدي، حيث اعتمد الفرد في المسكن الحديث على سياج حديدي لحمايته وتوفير الحماية له ولأهله من الخارج، وكذا تحقيق الأمان وعدم التعدّي على حرمة بيته. **الصورتين رقم (04-07)، (04-08):** يوضحان شكل النافذة لمسكن

معاصر، وتواجدها خارج المسكن، وجود الحديد للحماية من الخارج، ووجود الزجاج بالداخل والخشب على الخارج لمنع الرؤية، والتكشف عن حرمة أهل المسكن بالداخل وهناك نوافذ من الألمنيوم لها وظيفة فيعزل الصوت الداخلي، وهنالك نوع آخر يشبه المشربيات التي تحجب المسكن من الداخل، بحيث لا توضع للآخر من في السكن من الخارج.

هندسة المسكن الحديث نجدها تحافظ على قيم الحرمة من خلال بقاء النوافذ في الفضاء الداخلي الخاص للمنزل، وذلك من خلال بناء سور حول البيت، يكون على ارتفاع يقارب ارتفاع نوافذ البيت، فتُحجب على المارة خاصة إذا كان المسكن بقرب الشارع، فتحفظ حرمة ساكنيه من الخارج، وأضاف الساكن بالمسكن المعاصر بعض المواد التي تزيدها جمالية من الناحية البصرية مثل: القرميد الذي يعتبر مادة من مواد البناء والزينة، يتميز بشكله الغريب عن الطراز العمراني المعروف، وبمواده المحلية وبساطة الشكل، كما نلمح في توظيفه وجود دلالات رمزية توحي بالقدرة المادية للساكن، وعدم الإحساس بالتفاوت الاجتماعي لمساكن من حوله، كما يدلّ ذلك أيضا على الرفاهية الاجتماعية لمالكه.

المسكن مؤشر من مؤشرات المكانة الاجتماعية والاقتصادية، فالتحوّل الحاصل للمسكن، لما له وظيفة للحماية والسكن والراحة، وهي الأساس الذي يُبنى عليه المسكن، إلى رمزيات تدلّ على الرفاهية في المعيشة والقدرة المالية، ووجود قيم التنافس في إتباع ما هو حديث ومعاصر، وهذا ما أكّده أحد المبحوثين، فمن يريد تصميم مسكنه يأتي له بصورة ويوريه مسكن من ثقافة أخرى، مساكن وتفاصيل يريد اعتمادها من مجتمع مخالف لعادات وتقاليد، مثل مساكن لبيوت فخمة من الثقافات المعروفة بالرفاهية الاجتماعية في مجال العمارة، ولا تهمّه التكلفة، كما نجد إصرارا كبيرا من صاحب المسكن على امتلاكه لنفس التفاصيل الهندسية.

فهنا نفهم أن مرجعيته وتصوره لمسكنه، من ثقافة تختلف عن مجتمع مدينة قمار، والاهتمام بالجانب الجمالي والابتكاري وإتباع ما هو متطور وحديث، وهذا ما أكّده المبحوث بجملة قالها أثناء المقابلة:" **البناء ولى طاير خلاص مابقاتش كيما بكري ولاّت حوايج متطوره وحديثة ما عندها حتى علاقة وش كاين قبل**[1]"، وكلمة طاير تحمل العديد من التأويلات الرمزية، من بينها أنّ المسكن أصبح

[1] مقابلة "**(س، أس)**"، **05/11/2023 الساعة 11:30**ص، بمكتب الدراسات العمرانية والتقنية بمدينة قمار .

* تمثل شكل النوافذ في المسكن التقليدي، التي تفتح من الداخل ولها عدة أجزاء مكملة لبعضها البعض، لحجب الفضاء الخاص، فالعتبة الصغيرة تحمي من الظروف المناخية والحديد لكسر بتلك الطريقة لكسر الرؤية وكذا تماسك النافذة وزيادة صلابتها، وشكل المربع هو الشكل الثابت لكل نوافذ الغرف.

متطور ومبتكر، والساكن فيه يتابع كل ما هو حديث، ويجسده في مسكنه لإحساسه أنه شخص متفتح ومنفتح على العالم الآخر، وهذا نتيجة المفرزات الثقافية والاجتماعية خاصة مواقع التواصل الاجتماعي والبرمجيات الحديثة في مجال الهندسة العمرانية، ومن جهة أخرى كونه قادرا على التكلفة المادية.

نلاحظ أن الساكن هو شخص يفكر في الاستقرار والزواج والسكن بعيدا عن العائلة الكبيرة، أي اختلاف في المرجعيات بين الأب والابن في هندسة المجال السكني، نظرا لحدوث تغير ثقافي واجتماعي سواء على مستوى العلاقات أو حجم الأسرة التي تمتلك المجال السكني، والانتقال من نمط –دار العائلة – إلى مصطلح – داري – حوشي– ،دلالة على قيمة التملك للمجال، فحتى النساء اللّواتي تسكنّ بعيدا عن دار أهل زوجها نجدها ترددها في عباراتها اليومية – حوشي – داري– داري وحدي–، جميعها عبارات لغوية، تحمل دلالات على تغيّر النمط التقليدي للعلاقات الاجتماعية بين العائلات، وكذا سعي المرأة للاستقرار بعيدا عن أهل العائلة الكبرى.

الصورة رقم (04-07): شكل وهندسة النوافذ* في المسكن التقليدي بمدينة قمار وشكله من الداخل والخارج.

الصورة رقم (04-08): تمثل أحد الأشكال المعاصرة للنوافذ وكيفية هندستها الخارجية

الصورة (04-09): تمثل أحد الأشكال المعاصرة للنوافذ المصنوعة من الألمنيوم

المصدر: من إعداد الطالبة: 17/02/2024

ثانيا: المسكن كفضاء مقدّس: الممارسات النسوية في المسكن بين قداسة المكان والاعتقاد

تأخذ بعض الأماكن في المدن طابع القادسة، ومشحونة بعدد من الطقوس والممارسات التي تحافظ على استمرارية وجودها في العالم الاجتماعي، والمسكن أحد الأماكن الخاصة بالفرد، وهو الذي سعى إلى تشكيله وهندسته ضمن مرجعيات وتصورات ثقافية، وهذا ما يعطي له خصوصية ثقافية ومعمارية، وهنا سنركز على المسكن كفضاء مقدّس، بمعنى رصد جملة من الممارسات ذات الطابع الطقسي، وجملة من الأفعال الاجتماعية اليومية خاصة المتعلقة بالنساء، والتي تحرص على ممارستها في مجالها السكني، حيث تنبع من خلفية دينية يقدّسها الفرد ضمن مجاله الخاص، المستمد من المعتقدات الشعبية المحلية المتوارثة أو ذات الخلفية الدينية.

تدلّ لفظة **مقدّس** على التبرك والتنزيه والطهارة، وعكسها كلّ ما هو مدنّس، وهذه الطقوس والممارسات تقوم بها النساء في مجتمع قمار، داخل السكن على اختلاف نمطه العمراني، وهذا ما يضفي عليه نوع من الحرمة، ذات التصور القدسي للنساء واعتبار المسكن هو مكان لإقامة العادات الاجتماعية والثقافية، التي تهتم وتحرص النساء على إعادة إنتاجها في كلّ مرة، وتحاول ترسيخها للحفاظ على استمراريتها من خلال التنشئة الاجتماعية لبناتها خاصة، فالنساء تحفظن حرمة السكن من الداخل.

المسكن مجال تتقاطع فيها الدّلالات العقائدية والأسطورية منها، والممارسات الطقوسية "فالمكان المقدّس يحتوي أفعالا ويكسبها طابعا طقوسيا "[1]، ولكي يكتسب الفضاء أو المجال صفة القداسة، يحتاج في أغلب الأحيان إلى تجلي إلهي، أو ظهور قدسي بالمعنى الدقيق للكلمة تكفي آية، ... أو علامة من أيّ نوع ،حتى تدلّ على قدسيته .."[2]، يشكل المقدّس جزء ونسق من النسق العام لقيم الحرمة، التي يراعيها الفرد بمجتمع مدينة قمار في مجال هندسة عمرانه السكني، حيث تحتل بعض الأماكن داخل المسكن قدسية خاصة، لارتباطها في المتخيل الشعبي بمعتقد أو أسطورة معينة، وتدلنا أبسط الممارسات اليومية عن خلفياتهم الثقافية ومجمل القضايا التي يؤمنون بها، ومن أبرز الأفعال الواردة في المسكن لمجتمع مدينة منها نذكر منها:

2-1 البسملة : عند دخول الفرد للمسكن يسمي الله، بقوله "**بسم الله الرحمن الرحيم**" ويرددها كذلك عند البدء بأي عمل يقوم به الأفراد داخل المسكن وخارجه، أو عند دخولهم لفضائهم الخاص بهم، والبسملة فعل لفظي يصدره الفرد سواء بالشكل العلني أو غير العلني ،وتُذكر عند عتبة المسكن، أي إعلانا بالدخول إلى مجال مقدس، ويُستمدّ هذا الفعل من الكتاب وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتكمن وظيفة البسملة في وظيفيتين أساسيتين: الأولى "استعطافية تَيَمُنِيّة"[3] ،بمعنى طلب العون من الله والإيمان بقدرتها وعظمتها، والوظيفة الثانية الاحتماء من كلّ الشرور والحماية من الجن والشيطان، كذلك تقال للبركة، ومفهوم البركة له دلالات ثقافية، ومن المفاهيم التي اشتغل عليها الأنثروبولوجيين في دراستهم للمجتمعات المغاربية .

في الثقافة الشفهية نسمعها كثيرا ،مثل قولهم: خَلِّي لْبَراكَه تَنْزَلْ – البركة إذا نزلت على الشيء حفظته وزادت فيه الخير، فعند بناء المسكن يعمل الساكن وليمة لبعض أقرباءه اعتقادا منه نزول البركة

---

[1] محمد سعيدي، "المقدس مفهومة وتجلياته"، في :**مجلة الآداب واللغات**، العدد 08، ديسمبر 2005، ص 18

[2] محمد سعيدي، المرجع نفسه، ص 18.

[3] عبد الغني منديب، "**الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب** "، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص 123.

وحفظ مسكنه ويعمّ الخير فيه، "فالبركة هي كما يسميها **كليفورد جيرتز** "بالكهرباء الروحية"[1]، فالبسملة تقال كفعل لفظي، –كما تمّ ذكره سابقا– سري أو علني ،ونجدها بشكل آخر في المسكن، حيث تكون مكتوبة بالخط العربي في لوحات تُعلّق في المسكن، سواء في الممر أو في الصالون بجانب سور قرآنية أخرى، كالمعوذات سورة الفلق والناس، والصمد، فكلها آيات من كتاب الله يضعها الساكن في مسكنه اعتقادا منه أنّها تحميه من العين، والتبرك بالقرآن والتحصين وحفظ الملائكة له ولأهله، في المسكن التقليدي موجودة أيضا لكن بشكلها البسيط ، فنجد مثلا قطعة قماش تكون باللّون الأسود مطرّز عليها الكعبة الشريفة، أو صورة من الحرم المكي ومكتوب عليها دعاء وأذكار تكون باللّون الأسود أو الأحمر أو الأخضر.

الدخول إلى المسكن –كما ذكرنا سابقا– أنّ الرجل إذا دخل مسكنه في هندسته التقليدية، فإنه يخفض الرأس ويرفع الرّجل ويذكر اسم الله على عتبة المسكن، مع فعل التسليم على أهل بيته في الداخل إعلانا بدخوله وقدومه من الخارج، فكلّ فرد من العائلة، خاصّة العائلات الكبيرة كلّ واحد له صوت يميزه أهل المسكن، ومشية تدرك من خلالها من القادم، فعند الدخول إمّا يرفع الرجل صوته أو ينحنح بصوت مرتفع ،دلالة على وصوله مكان تواجد النساء ،إن كنّ في فناء المسكن، ما يستدعي عليهنّ تغطية الرأس، إن كان من غير محارم المسكن، يذكر البسملة ثم يلقى التحية على أهل بيته بقوله ***وَشْحَالْكُمْ*** وهذه التحية تقال أيضا عند مجيئ أحد الزوار للمسكن، ويقولها ثلاث مرات إن لم يجاب عليه ينصرف لغياب أهل المسكن، وعليه فالبسملة ذكر لفظي أو دلالة مكتوبة، كلها تحمل تأويلات على ذكر اسم الله عند دخوله مجاله الخاص، أو نجد نقوشا مكتوب عليها آيات وأذكار أمام البيت بشكل مزخرف، مثل: عبارة – هذا من فضل ربي –، ونلاحظها في المسكن المعاصر الذي يحمل فخامة في الهندسة ومواد البناء الدالة على قدرة الساكن المادية والغناء الفاحش، وكأنه يرسل رسالة مشفرة للمارّ أنّ الله هو الذي رزقه وأعطاه الرزق والبيت، وأعانه على بناءه، ومن أجل أن تحلّ البركة على المكان.

2-2 –اتجاه باب المسكن: يرتبط اتجاه المسكن بالباب، والذي يحمل دلالات رمزية في ثقافة مجتمع مدينة قمار، فنلاحظ أنها كل البيوت تقريبا متجهة اتجاه القبلة، وهذا الاتجاه مقدّس في الثقافة الإسلامية لما له من دلالات في الدين، فجهة القبلة هي توجّه المؤمن لأداء فريضة الصلاة، وعليها يرتكز الدين وعماده، فجهة المسكن ليست اعتباطية، وإنما هي دلالة على تمسك الأفراد بقيم دينهم، وقدسية اتجاه

[1] عبد الغني منديب، المرجع السابق، ص 123.

القبلة، فالحمام مثلا: يعتبر من الفضاءات المدنسة في المسكن، لأنه في ثقافتهم مكان لتجمع الشياطين، فلا يمكن توجهه لجهة القبلة، ويكون مخالفا الجهة وهذا ما نجده في الهندسة العمرانية، سواء للمسكن التقليدي أو المعاصر لمجتمع مدينة قمار.

عنصر الباب له عدة رمزيات، نجدها ضمن الثقافة الشفوية، فإذا فُتح الباب لوحده وأنت جالس يقال: " دخلوا الصلاح وفتحوه فلا يجب غلقه مباشرة، وعند الفتح يذكر اسم الله، بقولهم " بسم الله الرحمن الرحيم – خير إن شاء الله –، فهو حامل للفأل الحسن، وكذلك في دعوتنا لأحد عزيز علينا نقول له – الله يفتح عليك أبواب الخير –، انتقل الباب من عنصر معماري هندسي، إلى دلالة ثقافية في المتخيّل الشعبي المحلي.

من خلال الملاحظات الميدانية، نجد كذلك جهة الباب للشرق دلالة على جهة شروق الشمس، ودخول أشعتها مباشرة إلى المنزل، فالاتجاهات هناك المقدس منها، وتعتبر من المحدّدات الثقافية التي يراعيها أفراد مجتمع قمار في هندسة مجالهم السكني، وعلى غرار الاتجاهات المقدسة نجد الاتجاهات التي توزع من خلالها باقي غرف المنزل، فدار الخزين مثلا يجب أن تكون في الجهة الباردة من المسكن، التي لا تمسها الشمس، وتُلفظ الغرفة باسم اتجاهها – الدار الظهراوية – ،وهذا الاتجاه يحقق وظيفة الحفاظ على برودة المواد المخزنة بالطريقة التقليدية في المسكن التقليدي، في وقت لم تكن فيه أجهزة التبريد الحديثة، فكل عنصر من المسكن التقليدي هو جزء من البنية الذهنية التي تُجسد على الواقع، وتترجمها عمارة المسكن لتوفير تلبية الاحتياجات الأساسية، مثل: الأكل والغذاء، فالاتجاهات لا توضع هكذا دون دلالات، وإنما هي شيفرات ضمن المجال العمراني، لتدل على ثقافة أهل المسكن وخلفياتهم الثقافية.

2-3 مكانية المقدس داخل المسكن: السكن كمجال يحضر فيه الزمن والمكان، ضمن النسق العمراني في المتخيل الرمزي، والمقصود به أن الأمكنة لها قدسية خاصة عند أفراد وأهل البيت، ونلاحظها خاصة داخل المجال التقليدي، فالمكان ذاكرة جماعية لها علاقة بنفسية الفرد وعالمه الشعوري الداخلي، فالحنين إلى تجربة عايشها من قبل، يكون فيها الأفراد يعيشون علاقات حميمية، كونت لهم ذاكرة ومشاعر تخص الأماكن والأشخاص.

وفي هذا السياق ذكرت لنا إحدى **المبحوثات:** والتي سكنت لأكثر من 20 سنة في مسكنها التقليدي، وانتقلت إلى مسكن معاصر، عند سؤالنا لها حول ماهية الفرق الذي عايشته، بين ما هو تقليدي ومعاصر في استقرارها الحالي؟، لتقول لنا: **"لا أحس بالراحة إلاّ وأنا في حوشي الخاص بي، الذي عشت**

فيه عمري كله، وتتكلم بكلّ حنين وحسرة على فراق بيتها القديم ،مكملة كلامها: لا أرتاح إلا أنا نرقد فوق السَدَةُ* أتاعي في الصيف ،ونقابل النجوم والليل الهادئ في بيتي دون إزعاج الآخرين لي وهذا ما أتمناه حاليا الراحة في بيتي"[1]، تعبيراتها وكلامها يحمل دلالات وأبعاد في الجانب الثقافي لنفسية الفرد، فالمكان له تأثيرات على نفسية الشخص وسلوكه، فهناك تفاعل بينهما وعلاقة تأثير وتأثر، فالمكان يخلق تجاذبات بين المجال والذاكرة لمجتمعات محلية، أنتجت عناصر مادية ثقافية تحاكي ثقافتها وتجربتها في وقت ما .

يحتل الزمان أيضا قداسة ضمن حياته اليومية داخل فضاءه السكني، فالزمن مرتبط بفكر الاعتقاد بحدوث أمر في ذلك الوقت دون غيره، فهناك شهور مقدسة دون غيرها، وأيام وليال هذه القدسية محملة بمجموعة من الطقوس والشعائر الممارسة، ومعظم هذه الطقوس تمارسها المرأة وتعيد إنتاجها في زمن نفسه، فقادسة الزمن أردنا الخوض فيها لغناء الثقافة الشفهية، ومن خلال إجراء دراستنا الميدانية ،خاصة عند إجراء المقابلات مع مجموعة من النسوة، وأثناء سردهن لتفاصيل من حياتهن اليومية ضمن مجالهنّ الخاص، تبيّن أنّ للزمن دلالة وقيمة رمزية عندهنّ، و وعامل ثقافي في ضبط سلوكهنّ وعاداتهنّ الاجتماعية داخل المسكن .

كما أنّ الليل من الأوقات المقدسة، فوجب فيه حبس الأطفال في البيت من بعد المغرب، ولا يستحب الخروج من بعدها، وهذا ما نجده في السنة النبوية، كذلك خروج المرأة ليلا، له دلالات في الثقافة الشعبية، فنجد ذلك مرتبط بشرفها وعفتها في المتخيل الثقافي الرمزي للرجل خاصة، فهنا الليل وقت محدد للكثير من الأمور الحياتية داخل المسكن، فملابس الطفل عندما تغُسل وتوضع على حبل الغسيل لا تترك من بعد العصر والمغرب، وهذا ما أكدته إحدى المبحوثات بقولها، **"قَشْ الطفل مِشْ مليح يُقعُدْ تَسْطَعْ فيه النجوم –**، فلا يتم إدخال الملابس ولبسها مباشرة ، حتى وإن لم تنشف تترك للغد وتأخذ في الصباح،

---

[1] مقابلة مع إحدى المبحوثات (ح . خ) 02/10/2023، 10:30ص، اللواتي سكن في بيت تقليدي لسنوات عديدة ومع زواج كل أولادها انتقلت للعيش معهم وكذلك لمشاكل أن المسكن هو ملك مشترك ورث عائلي فكل مرة تسكن مع أحد أبناءها الذين يعيشون في انوع مختلفة من المساكن جماعية وفردية .

***وشحالكم** : من الكلمات التي تستعمل في السؤال عن الحال بمجتمع مدينة قمار ونجدها في منطق أخرى.

***السدة** : هو تشبه الحصير لكن تصنع من أخشاب النخل وتكون طويلة جدا وهي من الوسائل التي ينام عليها الفرد السوفي عادة في فصل الصيف ويفترشها صيفا وُتحمل على أعمدة وتوضع وسط الفناء ويوضع فوقها بقطعة من البلاستيك وتوضع فوق البلاستيك التراب الصافي ويفترشها أفراد المسكن، وهي تقنية استخدمها الفرد السوفي لتحقيق نوم مريح في أوقات تكون درجة حرارة الجو عالية وعادة توجد في كل بيت من مجتمع قمار.

اعتقادا منهم أنها لامست الشياطين أو اختلطت بهم، فكلمة "**مش مليح**" لفظ شعبي، دال على عدم إيجاز الفعل وإن وقع الفعل له نتائج مضره على الشخص .

كذلك الليل لا يجب فيه رفع الصوت عند اجتماع العائلة في فناء المسكن التقليدي في ليالي الصيف، وكثر الحديث ومع وجود كل أفراد العائلة الكبيرة، فالصوت مرتفع غير محبب لديهم خاصة النساء، فتتكلم بصوت منخفض وهذا ما تترجمه الثقافة الشعبية بقول أهل منطقة قمار – الليل سماع– ، أي إنّ وقت الليل يزداد صدى الصوت، ويكون مرتفعا مع أقل حركة وصوت، كذلك رمي الحجارة واللعب بها ليلا غير مسموح، والشجار أيضا، و قد ارتبط الليل كثيرا بمعتقدات شعبية حول المرأة والطفل ،ومن أبرز تلك العادات الاجتماعية التي خصصت النساء داخل المسكن بصفتهن الاجتماعية كزوجات وأمهات في فضائهن الخاص داخلن غرفهن الزوجية.

كذلك المرأة ليلة الأربعاء لا تمشط شعرها، ومن مساء الثلاثاء إلى غاية يوم الأربعاء لا تمس المرأة شعرها ولا تسرحه، والمرأة التي تسرّح شعرها ليلة الأربعاء هي المرأة المطلقة، والتي تكون في وقت عدّتها، وممنوع خروجها من المسكن، ومن عادات مجتمع قمار أنه في ليلة الجمعة يشعلون البخور فيها ، الذي يكون من صنع النساء بالمسكن وبمكونات عطرية، ومعروف عن نساء مدينة سوف بالبخور ومواد الزينة المختلفة، أو ما يطلق في الثقافة الشفاهية قديما – الطُلوقْ – وإن كانت لدى المرأة طفل رضيع أو صغير من جنس الذكر لا تبخر الغرفة، بل يجب عليها أن تبخر بعيدة عن مكان وجود الطفل الذكر، على عكس الطفلة الرضيعة التي يعتبر إشعال البخور عندها أمرا عاديا، حيث يعتقد ارتباطه بالحياة الجنسية للرجل والمرأة.

لزمن الليل قدسية كبيرة في ثقافة أهل مدينة قمار، فبعض الممارسات لا يجوز عملها في الفضاء السكني لقداسة هذا الزمن عندهم، فخروج الليل من زمن عادي إلى زمن مقدس تُحرّم فيه عادات دون غيرها، والاعتقاد الثقافي حول ما يجري فيه من طقوس وممارسات يومية تضبط لهنّ حياتهنّ من خلال التحريم وإيجاز عمل دون غيره.

إذن هناك علاقة بين المجال السكني والمرأة، "فالمجال ليس هو البعد المادي الجغرافي والبيئة الطبيعية فقط، بقدر ما هي قيم ثقافية" [1]، فالسكن هو كما أشرنا سابقا هو فضاء نسوي، وتحدّد هندسته ضمن مرجعيات ثقافية من أبرزها تواجد النساء في مجالها الخاص، ووجود الرجل لوقت طويل في

[1] لحسن دحماني، "المرأة والمجال بالمغرب، أية علاقة؟ "، **في: مجلة سوسيولوجيون**، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية المجلد 03، العدد 01، 2022، ص، 103.

المسكن يقلل من رجولته ومكانته الاجتماعية، وهذا ضمن الثقافة الشعبية –قاعد في الدار كيما النساء –، إذن تقسيم المجال وفق محددات ثقافية جنسية في المتخيل الثقافي لمجتمع مدينة قمار.

ثالثا: المسكن والجسد الأنثوي

عمارة المسكن التقليدي، هي عبارة عن فضاءات مغلقة ،لأن وظيفتها حجب النسوة داخل المجال السكني، لأنّ التفكير في ستر النساء وحجبهنّ لجسدهنّ والكشف عليهنّ وهنّ داخل مجالهنّ الخاص، فهناك ارتباط كبير بين المسكن كفضاء عمراني مادي وجسد المرأة، كمتغير له تحولات أثّرت على النسق القيمي والثقافي لمجتمع مدينة قمار، فخروج المرأة إلى الفضاءات العامة ووجودها أثر على التفكير الاجتماعي والتصورات الرمزية للمرأة ، وانتقالها من كيان بيولوجي إلى مستوى اجتماعي لها الدور والتأثير المباشر على سيرورة المجتمع ، بما أنّ"حقيقة الجسد ظاهرة بيولوجية ثقافية انتجها المجتمع وقننها"[1]، وهذا ما أكّده الباحث **Davide le Breton** في كتابيه الأول بعنوان : **سوسيولوجيا الجسد، انثروبولوجيا الجسد والحداثة.**

الجسد نفهمه انطلاقا من التصورات الرمزية للرجل أو الجنس الآخر المقابل لها، "فالمعرفة المطبقة على الجسد هي على الفور معرفة ثقافية "[2]، من خلال التصورات الاجتماعية للرجل حول جسد المرأة ولقيمتها الرمزية له ،فهي تشكّل أحد الأعمدة الثلاث لشرفه وعرضه بعد الأرض والمسكن، فطبيعة العلاقة الثقافية بين عمارة المسكن التقليدي هو تأثير وتأثر، من خلال تلك الرمزيات والتصورات نفهم الهندسة المجالية للمسكن التقليدي، وتخصيص فضاء خاص للنساء ،وعمل كل ما يحتاجهن في الداخل دون الحاجة إلى الخروج إلى الفضاء العام، وحتى هذا التقسيم العام والخاص قبل أن يكون تقسيم مادي هو تقسيم في المتخيل الرمزي للرجل، ومحاولة إخفاءه وحجبه، والمسكن أحد الطرق الثقافية لإدراك وفهم ذلك الحجب والغلق على المرأة في العمارة التقليدية .

في مقال نشرته الباحثة **Catalina –lonela Rezeanu** تحت عنوان **the relationship between domestic space and gender identity :some signs of emergence of alternative domestic femininity and masculinity** ،والتي هدفت منها إلى فهم تلك

[1] حجلة مريم، بوخريسة بويكر: "التصورات الاجتماعية للعرض والشرف داخل الاسرة الجزائرية، أسر الشرق نموذجا "، في: **مجلة انثروبولوجيا**، :مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية ، مجلد 07، عدد 01، 2021، ص، 107.

[2] دافيد لوبروتون " **أنثروبولوجيا الجسد والحداثة** "، تر: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة 02، بيروت، 1997، ص 12.

العلاقة بين الفضاء السكني، وتكوين هوية جندرية والعلاقة بينها، وتوزع السكن الذي يقوم على ثنائية (أنوثة/ ذكورة) ،حيث أعطت مفاهيم حديثة ارتبطت بفكرة الجنسانية والفضاء المنزلي وكيفية تحوّل تلك العلاقة التقليدية بين الرجل والمرأة في السكن، فالاختلافات الجنسية في رأيها هي ليست فطرية ولا اعتباطية، بل" مبنية اجتماعيا "[1]، وهذه المواضيع التي تصبّ في مجال أنثروبولوجيا الفضاء [2]، تدرس التباين في تقسيم المجال السكني بين الجنسين، حيث قدّمت له الباحثة مفهوم "الفضاء الجنساني"[3].

التفاصيل العمرانية تقريبا كلها تترجم القيم الحديثة التي تحولت بالتدريج من مسكن مغلق، له مجالين عام وخاص وتمّ التقسيم وفق محددات بيئية ثقافية وفصل الجنسين، وكما ذكرت **الباحثة المغربية فاطمة المرنيسي في كتابها "ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية** " أن الحياة الجنسية في العالم الإسلامي مجالية **Territoriale**" [4]، والتقسيم المجالي للفضاء المنزلي مبني على تراتبية جنسية اجتماعية من الفضاء العام الذي يحمل رمزية القوة إلى الفضاء الخاص أي إلى العالم الجنسي، فالمكان عبارة عن دلالة ثقافية رمزية لبنية العلاقات الاجتماعية بين ثنائيين (ذكورة /أنوثة) في نمطه التقليدي، فحرمة المكان لها ارتباط كبير بالشق الحميمي والجنسي للنساء، وهذا ما تؤكده "**الباحثة جانيت أبو لغد** أن الفصل بين الجنسين له دور في تكوين هوية المدينة الاسلامية"[5]، فالحرمة من أهم القيم والقواعد في عُرف الثقافة الإسلامية وفي بناء وهندسة المجال السكني، وهذا ما يبرزه الخطاب العمراني في هيكلة مجاله لهندسة المسكن بمجتمع مدينة قمار.

في النمط الحديث للعمارة السكنية، هناك تغيّر في هندسة المجال حيث أصبح التقسيم ظاهرا بشكل آخر، وبقيم لحرمة متجددة الشكل، وحداثة الهندسة في عمران المسكن معبر عن قيم وعادات الثقافة، في الفضاءات العامة خرجت المرأة فأصبح وجودها لا يشكّل حاجزًا حتى يكوّن عالمين خاص وعام، وهناك تقاسم اجتماعي للفضاءات في مدينة قمار سواء من الناحية العمرانية أو الاجتماعية الثقافية.

---

[1] Catalina –lonela Rezeanu, **"the relationship between domestic space and gender identity :some signs of emergence of alternative domestic femininity and masculinity "**, journal of comparative research in anthropology and sociology, Vol 6, No 2, 2015، p12.

[2] Catalina –lonela Rezeanu, Ibid, p12.

[3] Catalina –lonela Rezeanu, Ibid, p12.

[4] فاطمة المرنيسي: "**ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية**"، تر: فاطمة الزهراء ازرويل، المركز الثقافي العربي، ط 02، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص 147.

[5] عبد الكريم شكريد، "**الانماط المعمارية وعلاقتها بالخصوصية الاجتماعية والثقافية لمدينة بسكرة –الدراسة الميدانية بمدينة بسكرة –**" أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع والانثروبولوجيا، جامعة مستغانم، 2018/2017، ص 91.

كلها قيم ضمنية تكشف عنها هندسة المجال التقليدي، والذهنية والتصورات الكامنة في المنتجات الثقافية منها، المسكن يعبر عن الهوية والخصوصية الثقافية لمجتمع ما، سادت فيه قيم ومعايير اجتماعية، فالمجال السكني هو مجال مادي من خلاله نستدلّ على الثقافة السائدة في مجتمعه، ومجتمع مدينة قمار من خلال هيكلة مجاله التقليدي، هو مرآة لقيم مرجعية له انعكاس حاضر في هندسة المجال السكني الشعبي.

الجسد الأنثوي عامل متحرك في الزمان والمكان يؤثر عليهما، حيث إنّ الجسد تغيّر وفق معطيات حداثية معاصرة، طغت على الفكر النسوي خاصة ،وأعادت إنتاج فكر وتصور ثقافي لحياة النساء داخل المسكن وخارجه، فنساء مجتمع مدينة قمار لهن التفكير المنفتح القائم على التركيز على نفسها وبرزوها كفاعلة في المجتمع، ولها الدور الفاعل في الاختيار، فالعديد من النسوة تشاركن الرجل في التفاصيل المعمارية الخاصة بمسكنهم وتشارك برأيها، أي أنّ هناك مساحة معطاة للنساء على غرار التفكير القديم ، إذا التحول السوسيو ثقافي له تداعياته على التصور الثقافي للمرأة وجسدها ،وأنها فرد فاعل ضمن بنية مجتمعية تعطي لها الحرية في التصرف والخروج .

ما لاحظناه من خلال بحثنا أنّ هناك مساكن – بيوت – ،تحمل اسم الشخص المسيطر فيها اجتماعيا، فهناك بيوت متحكمة فيها النساء بشكل كبير، عندما ترسل أحدهم إلى بيت فلان تقول له: اذهب إلى بيت عائلة كذا– وتسمى المسكن على لقب العائلة أو اسم جد تلك العائلة –، الآن تغير الوضع فهناك مساكن في مدينة قمار تسمّى على اسم زوجات لهنّ السلطة على الرجل ،بل البعض منها موجود في الأرياف –ترسل فلان وتقول اذهب إلى مسكن فلانة أو فلانة – فالمسكن أخذ مسمى الفرد أو المتحكم فيه، وقد اهتمت الانثروبولوجيا بموضوع الجنس كمتغير أساسي ،ومحدّد ثقافي عند المجتمعات، وتأثير التجارب الجنسية على النسق الثقافي للمجتمع.

فكتب أنثروبولوجيا الجنس للباحثين هاستنغز دونان وفيونا ماغوان ، تبحث في" [1]الطرائق المتنوعة التي يعتمدها البشر للحديث عن الأفعال والأنشطة والتجارب الحسية والجنسية، وتجسيدها في الثقافات المختلفة" ،من أبرز تلك الطرائق المتنوعة نجد أنّ المسكن قالب مادي يقوم بالتجسيد الثقافي والمجالي لعلاقة الجنس، حيث نفهم من خلال التحليل الثقافي ،أنّ هناك تغير حاصل وعامل مؤثر في

[1] هاستنغز دونان، فيونا ماغوان "**انثروبولوجيا الجنس**"، تر: هناء خليف غني، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2017، ص 31.

هيكلة المجال السكني في المدن الإسلامية عامة والصحراوية، التي تراعي وجودها ضمن المجال المديني في الشوارع والاحياء.

التواجد الثقافي للمرأة في المجال الصحراوي للمدينة كنوع من المؤشرات الثقافية الدالة على المرجعيات القيمية المعاصرة، التي تسهم في هيكلة المجال العمارة السكنية، وانتقالها من الشكل التقليدي إلى المعاصر، وللمرأة دور في احتلالها الفضاءات العامة ومساهمتها في المجتمع، كذات فاعلة وتغير كذلك في نمط معاشها اليومي ،وفرض مكانتها ضمن المجتمع الاقتصادي، وتقاسمها الأعمال مع الرجل ضمن مجال كثيرة، كانت لا تليق لها في المتخيل الرمزي للرجل في وقت مضى.

فالجسد للمرأة له قدسية نابعة من الأعراف الاجتماعية للمجتمع الصحراوي، والقوانين الاجتماعية التي تحمل رواسب ثقافية حول النساء، وجسمها الذي يولد العديد من الفتن والرغبة الجنسية لدى خروجها، وصوتها وحركاتها وكلامها كله يخضع للرقابة الاجتماعية في الثقافة العربية، فالجسد الأنثوي الذي يحمل في تصور الرجل أنه يولّد لديه الرغبة، ومصدر اللّذة البشرية "محاصر بقوانين وأعراف جعلت منه عورة يجب إخفاؤها باللباس، وحجبه عن الأنظار في ثوب أو وراء الأسوار"[1].

فالمسكن بمجتمع مدينة قمار بنمطه التقليدي، له وظيفة الحجب وستر النساء في المسكن من خلال وجود عناصر معمارية توفرها من فناء الداخلي أو الغرف، حيث تتكون الغرفة في المسكن التقليدي من جزئيين :جزء يظهر لك وجود الفناء، وجزء غير ظاهر خاص، الأول يسمّى – وجه الدّار–، للدلالة على التماثل العضوي بين أعضاء الجزء والخطاب المعماري للبيت ،وهو الصورة الواضحة للدار، والبارزة عند وجود الأفراد داخل الفناء، ويخصص هذا الجزء كغرفة جلوس إن حضر الضيف أو للسهر ليلا لأفراد الأسرة عندما تجتمع فيها، وهذه الغرفة تكون عادة للزوجين، وتكون أحيانا أرضيتها رمل أو مسطحة بالإسمنت على حسب قدرة الأفراد للمسكن، الجزء الثاني يسمى – مقصورة–، يكون على شكل قبة واحدة تكون داخلية خاصة ،ينام فيها الزوجين وتحتوي على خزانة ،بها نافذة صغيرة تفتح من الداخل، إذن الهيكلة الهندسية للمجال داخل الغرف، يحمل فضاء أكثر حميمية وخصوصية واحترام لعلاقة الزوجين مع بعض، من خلال تقسيم الغرفة إلى مجالين، فضاء حميمي جنسي وفضاء عام.

[1] رحال بوبريك، "**بركة النساء الدين بصيغة المؤنث** "، افريقيا الشرق، المغرب، 2010، ص 52.

العنصر الثالث؛ الذي يكون متصلا معهما ما يطلق عليه في الثقافة المحلية – الوضاية*[1] ،تتكون من قبة ويكون حجمها صغيرا، يكفي لوقوف شخص واحد فيها وضيقة، يكون هذا العنصر المعماري موجودا فقط في غرفة الزوجين، له باب صغير ويخرج الماء إلى الخارج، فالغرفة الواحدة تحتوي على ثلاث عناصر مع بعض، تشبه مسكن صغير يلبي وظيفة الراحة، والحرمة الخاصة بحياة الزوجين داخل غرفتهم الخاصة، هذه الفكرة المعمارية نجدها في المساكن المعاصرة، فغرفة النوم تحتوي على حمام خاص بهم لمنع الحرج للمرأة أثناء دخولها وخروجها إلى المسكن، خاصة إن كانت تسكن مع عائلة الزوج، وهذا النمط نجده في المسكن ذا الطابقين، حيث تكون عائلة الأب والأم، الذين يسكنون في الطابق السفلي ،وما إن يتزوج الأبناء يبنون مساكنهم فوق مساكن الأهل، وهذا النمط نجده بصورة كبيرة في مدينة قمار ،خاصة العائلة التي يكون فيها ولد واحد ،لا ينفصل عن العائلة بل يبقى معهم ضمن مجال واحد، وإن لم يسكن معهم هناك اتصال مجالي بينهم ،والمحافظة على العلاقات التي يصنعها السكن فيما بينهم كأسرة واحدة.

التصور الثقافي للحرمة ضمن المجال السكني، له عدة اعتبارات هندسية، تأخذ بعين اعتبار الساكن في النمط التقليدي الذي بناه بنفسه، ضمن هندسته المحلية، وفق متطلباته البسيطة واستغلال الموارد الطبيعية، وهندسة مجال وفق تصور ثقافي نابع من المرجعيات القيمية، ليبرز لنا المعاني الكامنة التي من خلالها نفهم الخطاب القيمي ضمن الهندسة السكنية، وانتقال تلك القيم إلى المسكن المعاصر لإبراز الثوابت الثقافية المجالية لمجتمع مدينة قمار والأعراف الاجتماعية.

الحرمة كقيمة اجتماعية ثقافية ،تُعدّ أهم الأعراف التي تشكلت ضمن المجال السكني، فهندسة عمران المدينة والتغير الحاصل في المجال المادي، سواء في مواد البناء أو عمليات التصميم للمسكن الذي يهندسه ويصممه فرد غير الذي يسكنه، وفق خطط ودراسات معمقة ذات خلفيات غير شعبية، والكثير منها لا يتماشى مع المعطيات الثقافية، لكن يحاول السكن الحفاظ على الثوابت، فحداثة الشكل مثلا من المتطلبات العصرية الحديثة، ودلالة رمزية لقيم اقتصادية واجتماعية لساكن بمجتمع يعايش الحداثة، في جوانب كثيرة من حياته اليومية ومعاشه اليومي في فضاء حضري للمدينة في بيئة صحراوية.

* **الوضاية:** من الكلمات المحلية الشعبية، تعود في أصلها إلى كلمة الوضوء، وهي عنصر معماري في المسكن التقليدي تكون في غرف الزوجين ،وهو مكان للاستحمام والوضوء كجزء خاص بهما دون غيرهم من أفراد العائلة الكبيرة.

لقيم الحرمة تجذّر عميق في ثقافة مجتمع مدينة قمار، ولها ترسبات حضارية ضمن المجال السكني، فإعادة إنتاجها بطريقة معاصرة توضح لنا مدى التمسك الثقافي لقيم تعد من رواسب المجتمع التقليدي المحلي، القائم على فقه هندسي ثقافي اجتماعي محدد له مجاله العام والخاص ضمن الهيكلة العامة للمدينة، فالتشكيلات المعمارية ماهي إلاّ ترجمة حضارية حول كيفية تصور الفرد لكل ما يدور من حوله، ومحاولة بناء سكن يحقق له وظيفة الحياة المستقرة ضمن فضاء عمراني.

للقيمة دور مهم في تحديد الملامح المعمارية للمسكن، ومع مرور الوقت يولد ذاكرة وتجارب أفراد في زمن معين، وفي أحوال خاصة بزمانهم ومكانهم، والتحول من المسكن كونه مجالا معماريا إلى منتج ثقافي حضاري يحاكي التجارب الخاصة للأفراد في ثقافة معينة، إلى رمز يدل على الهوية والخصوصية الثقافية، ومختلف تصوراته الثقافية على حرمته، وهندسته كفضاء نسوي، وفي هذا الشأن يعرف **كلود ليفي ستراوس** المسكن على أنه "تراث مادي وروحي يشمل الكرامة والأصول والقرابة والأسماء والرموز... والسلطة والثروة"[1].

إذا للمسكن عدة دلالات سوسيو ثقافية، فكلّ مجتمع له دلالاته الاجتماعية والنفسية في هندسة مجاله السكني، ليتشكل لدينا مجال وحيز سكني حامل لقيم وثقافة المجتمع ،الذي صمم وتمت هندسته فيه، انطلاقا من معطيات بيئة إنتاج العنصر الثقافي، يحاكي فيها جوانبه الثقافية من حرمة وعادات وتقاليد وممارسات ثقافية، في مجتمع مدينة قمار نلاحظ تحولات على مستوى قيم الحرمة في المجال السكني، لاعتبارات مختلفة من أبرزها التمثلات الخاصة بالمرأة، وما يخص جسدها وحرمتها، انتقال المسكن من المغلق في الداخل إلى المتفتح في الداخل وإلى الخارج، التغير موجود وحاصل ،لكن الثابت هو رمزية القيمة التي نلاحظها في المعالجات ،التي يضيفها الساكن في مجاله السكني الحديث، للتعبير عن الثقافة الصحراوية لمدينة قمار، إذا الحرمة هي قيمة ثابتة ومتغيرة في الوقت نفسه، التغير في الشكل الهندسي الذي يبرزها، والثابت كقيمة رمزية في التصور الثقافي لمجتمع مدينة قمار.

خامسا: التغير الثقافي لقيمة الحرمة للمسكن في مجتمع قمار

من خلال الانطلاق من الشكل التقليدي للمسكن بمدينة قمار، وقيمه المرجعية في هندسة مجاله العمراني، نجد أنه تجسدت به عدة محددات سوسيو ثقافية ،مترجمة التصور الثقافي للفرد الساكن به، فحرمته كقيمة ثقافية نجد لها أبعادا وعناصرا عمرانية، تؤكد على الوظيفة الثقافية المتمثلة في الستر

[1]Elie Hadad**, Qu'est-ce qu'une "maison"? De Lévi-Strauss aux recherches anthropologiques et historiques récentes**, Éditions de l'EHESS, L'Homme, 2014/4-n212, p 110.

والحجب للمرأة ،خاصة وأنها تعتبر الفيصل في هيكلة المجال، وهذا ما أكده **الباحث شاكر لعيبي في كتابه "العمارة الذكورية"** إشكالية العمارة التقليدية هي حجب المرأة، و اعتبر أن العمارة في شكلها التقليدي والمحلي هي عمارة ذكورية من خلال تجنب وحجب الوجود النسوي.

فقيم الحرمة من أبرز القيم ذات المرجعية الثقافية، والتي ندركها من خلال الأبنية المعمارية لهندسة المجال السكني في شكله التقليدي، في مجتمع مدينة قمار السكن التقليدي زاخر بالرمزيات التي تحمل دلالات ثقافية ورمزية لقيم الحرمة، التي تنقل لنا التصور الثقافي للمرأة داخل المجال السكني، فالعمران السكني هنا عبارة عن خطاب ثقافي يكشف لنا عن البعد القيمي لمجتمع مدينة قمار في هندسة مجاله السكني بنمطه التقليدي.

يحمل المسكن عدة معانٍ ثقافية من خلال أن العمارة قبل أن تكون منتج مادي، هي في الأصل إنتاج لجملة من الظروف والخبرات التي تشكلت عبر الزمن، من خلال الوصف المكثف لبنية المسكن التقليدي في مجتمع قمار، وكيفية توزع العناصر المعمارية من بداية المسكن وشكل الباب وطريقة فتحه من الداخل فقط دون الخارج، والجزء المنكسر الذي له وظائف ثقافية ورمزية، تبرز لنا أن الساكن يراعي عدة قيم في هندسة مجاله، ويعمل على حجب وستر ما يدور داخل مسكنه.

قدسية المجال الخاص جزء مهم وجب عدم الكشف عليه، وجب عليك الانتقال من المجال العام، أي عند دخول المسكن إلى غاية وصولك إلى الفناء، وهو الفضاء الوحيد المفتوح في هذه المسافة بين الباب والفناء، هي عبارة عن **مسافة ثقافية** نفهم من خلالها أن المرور للفضاء الخاص ليس بالأمر الهين على الغريب، وإنما وجود هذه التفاصيل الثقافية قبل أن تكون تفاصيل عمرانية، توحي **بالثقافة العمرانية**، من خلال هندسته لمجاله الخاص انطلاقا من ثقافته المحلية، فهناك إذن علاقة تجاذب بين العمارة والثقافة كعاملين أساسين محددين في الهوية الثقافية لعمارة المدينة الصحراوية التقليدية، ومدينة قمار نموذج ثقافي لهذه العلاقة بين العمارة والثقافة.

كما أشرنا سابقا اسمها – الحويطة – تكون على شكل مربع، ففي المسافة التي بينها وبين المسكن الداخلي، يتشكل لدينا فراغ يشبه الفناء، يستخدم للنوم صيفا، فبعض الأفراد ما يزالون يفضلون النوم خارج غرفهم خاصة في فصل الصيف، ولم شمل العائلة وتناول العشاء، إذا لديه دور الفناء، فمعظم الساكنين الذي يفضلون الجلوس فيه أو الحرص على وجوده كعنصر معماري.

الشكل الهندسي والعمراني المعاصر لمدينة قمار، يبرز مدى تأثير العصرنة على هيكلة المجال الهندسي، وجملة المرجعيات القيمية في هندستها، فالتصميم المجالي للعمارة السكنية الحديثة لها العديد

من المحددات السوسيو ثقافية، ما هو إلا نتيجة ومفرزات المعاصرة في العمارة، فالانتقال من المواد الطبيعة إلى مواد مصنعة ومركبة، وحرص الساكن على الجماليات للمسكن والألوان والأشكال ذات البعد والرمزية للقيم الحديثة، وقيم الحرمة في هندسة عمران المسكن المعاصر نجدها مختلفة على النمط التقليدي، إذا هي موجودة وثابتة ثقافيا ،لكن بشكل وهندسة تتماشى مع معاصرة التصميم والمجال السكني.

نلاحظها عند مدخل الباب والقوس الذي يبرزه المدخل، فعند مرور الغريب عن المسكن أمام البيت لا ينكشف على حرمة البيت كما ذكرنا سابقا، فالانتقال من الخط المنكسر في داخل المسكن التقليدي، إلى زاوية تقارب 90 درجة تكون إلى الخارج، فالتحوّل من المجال الداخلي إلى الخارجي هو تغيّر في الشكل وهندسة المكان للمجال من الداخل إلى الخارج، حيث يحمل معه القيم الجمالية التي تبرز جمالية الشكل من مواد البناء والزخرفة على المدخل، لتضفي جمالا بصريا من خلال الرؤية الخارجية للمسكن.

فالتغير الحاصل في قيم الحرمة، هو نتاج لتغير في البنية الاجتماعية والثقافية لمجتمع مدينة قمار، وهذا التغير الثقافي الذي أصاب المدينة، جعل من القيمة في حدّ ذاتها لها أشكالا مختلفة في المجال العمراني الحديث، أي أن المعاصرة قبل أن تكون قالبا معماريا هي مجموعة من التصورات الذهنية والفكرية، لها منطلقات حداثية شملت الجزء المادي من الثقافة.

فالعمارة أوصلت لنا الخطاب الثقافي الحداثي، والكيفية المادية التي عليها القيم ،التي تعتبر من أهم القواعد والمعايير الموجهة لسلوك الأفراد في المدينة الصحراوية، فأفراد مجتمع قمار من خلال العمل الميداني والملاحظة المادية للمساكن المعاصرة في أحياء عدة من المدينة ،نجد المعاصرة في العمارة ، وهو ما توضحه المواد والتقنيات الحديثة في مجال البناء، لكن المعماريّ ينتمي إلى المجتمع الذي يصمم له الهيكلة العامة للمسكن ،ومدرك تماما الخلفية الثقافية للمجتمع، فنجد التفاصيل العمرانية الخاصة بمجتمعه في المسكن، يضعها المهندس أو المعماري في حسبانه.

المجتمعات الصحراوية لها البنية الثقافية الخاصة ونظرتها لقيم الحرمة في المدينة الصحراوية، انطلاقا من حالة الخيمة كنوع من السكن الذي عرفته المجتمعات الصحراوية، إلى فضاء المسكن والمدينة الصحراوية المعاصرة في شكلها الحالي ،والذي ما يزال يعرف حداثة ومعاصرة في المجالات العمرانية السكنية، فمن خلال المقارنة التحليلية للمسكن في الشكل التقليدي ذا الطبيعة المحلية لمجتمع مدينة قمار، نجد أن هناك اختلاف بينه وبين المعاصر في شكل مواد البناء المستخدمة ،لكن هناك تأصيل للقيم التقليدية في هندسة عمران المسكن المعاصر.

وبمثابة مرجعية قيمية يحافظ عليها الساكن، كشكل من الأشكال الثقافية الثابتة لكن بشكل وفي مجال مختلف، كانت في الداخل خرجت إلى الفضاء الخارجي للمسكن، فنلاحظ جليا أن هناك ربط بين الماضي و الحاضر في المجال السكني، من خلال إعادة إنتاج لبعض قيم الحرمة، من بينها الحجب والستر وعدم الكشف، وأن المسكن له وظيفة الستر وغيرها من الثوابت الثقافية في شخصية الفرد الصحراوي ،وهذا ما أكده "**فيرث**" ،الذي يرى "كل مدينة تنتج نمطها الخاص من الشخصية"[1]، فقيم الحرمة لها تأثير على الجانب النفسي، وكذلك المادي الثقافي والذي هو مرآة عاكسة لمجمل المعتقدات والرؤى التي يجسدها رمزيا في المجال الخاص الداخلي للسكن .

التحول القيمي للحرمة بين النمطين التقليدي والمعاصر في العمارة السكنية، إنما هو ترجمة للتحول السوسيو ثقافي الحاصل في مجتمع مدينة قمار، فكلّ عنصر ثقافي مادي هو استجابة جماعية لمجموعة من المتغيرات، والتي لها تأثير مباشر على النسق القيمي لبنية المجتمع، وهذا ما يترجمه السكن وقيمه المرجعية في هندسته، وانتقاله من الحالة التقليدية إلى الحالة المعاصرة، وهذا المسار المعماري المادي إنما هو عبارة عن كرونولوجيا ثقافية قيمية يحافظ فيها المجتمع على مجموعة من الثوابت القيمية في مجتمع قمار.

والحرمة كقيمة متغيرة في هندسة عمران المجال السكني المعاصر وفق التصميم الحداثي المتغير عن الشكل التقليدي، دلالة عن الثابت الثقافي القيمي، ومحافظة الساكن والتمسك بها، كقيمة لها الجزء الثابت في التصور الثقافي والتغير في مجاله من الداخل إلى الخارج، إذا الشكل متغير والمضمون الثقافي له الثبات المجالي في الهندسة العمرانية للسكن، وانتقال قيمة الحرمة في الزمن الثقافي للمجتمع.

الشكل المعاصر للمسكن في مجتمع مدينة قمار حامل لقيم المجتمع، ومن عصرنة الشكل إلى تقليدية المضمون، فجزء من المسكن حافظ على تلك البنية الثقافية المتجذرة، والمحملة بالمخزون الثقافي للمجتمع الصحراوي الذي له الخصوصية المجالية في فضاءه الداخلي، فالشكل له علاقة وطيدة ومرآة تعكس تلك القيم المتحركة في المدينة الصحراوية في نمطها الحالي من السكن الحديث.

فالعديد من المؤشرات الاجتماعية والثقافية تجعل من السكن واقعة أنثروبولوجية محملة بالعديد من التغيرات، التي تعبّر عن التغير الثقافي والاجتماعي لمجتمع قمار، والحرمة تغيرت عبر تشكلات معمارية

[1] شكريد عبد الكريم، سيكوك قويدر: "المدينة والمجتمع علاقة تأثر وتأثير: دراسة ميدانية لأنماط معمارية متباينة " مدينة بسكرة نموذجا"، في : **مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات**، جامعة تلمسان ،مجلد 07، عدد 02، سبتمبر 2018، ص 144.

جعلتها متحركة في الشكل، ومتجذرة ثقافيا بالمسكن المعاصر في مدينة قمار، معبّرة عن الشخصية المحلية للمجتمع الذي يعيش زمن المعاصرة.

من خلال العمل الميداني، لاحظنا تجددا في الهيكلة الهندسية للمسكن في مدينة قمار، وعلى اختلاف أشكاله المعاصرة، ما زال هناك نوع من الاحتفاظ الثقافي لقيمة الحرمة، وهو ما نجده في بعض العناصر العمرانية ذات التصميم الحداثي ،والتي لها رمزية الحرمة والستر وغض البصر عن المارين أمام المسكن ،حيث أن الساكن احتفظ ببعض التفاصيل الثقافية التي تحفظ له حرمته.

فهنالك اتفاق ثقافي بين الساكن والمهندس المعماري، الذي هو من نفس البيئة الثقافية للساكن، واحتراما للمعايير الاجتماعية للمجتمع، وقيمه المرجعية في هندسة العمران السكني في مجتمع قمار.

خلاصة الفصل:

قيمة الحرمة من أهمّ المحددات التي تمت وفقها هندسة المجال التقليدي، وهذا ما ترجمته الهندسة المجالية الداخلية للمسكن المحلي ،من خلال انكسار المدخل ووجود النوافذ في الداخل واعتبارات هندسية عديدة تنمّ عن تصور ثقافي عن ما يتصوره الفرد ما في خارج نطاق مسكنه، مع التغير الثقافي والاجتماعي، وانتقال قيمة الحرمة في الشكل المعاصر نحو الخارج بشكل حديث في المواد والشكل، وهذا نتيجة نصل من خلالها أنّ الحرمة قيمة متأصلة ثقافيا في بنية مجتمع قمار، كذلك من خلال أنها قيمة ذات مرجعية دينية تخللها العديد من الضوابط الشرعية ،أو ما يسمى بفقه العمران في هيكلة المجال السكني الداخلي.

فالحركية والانتقال من المجال الداخلي إلى الخارجي ،دلالة على التغير الاجتماعي في تصوراته ونظمه الاجتماعية ،خاصة تلك المتعلقة بالمرأة ،والتغيرات التي طالتها في المجال الاجتماعي والثقافي، كلّها مؤشرات دالة على التحول في الصورة العامة لمجتمع قمار ،فالساكن على الرغم من هذا حافظ على حرمته داخل مسكنه المعاصر الحديث، إذا قيمة الحرمة ثابتة التصور الثقافي ،ومتغيرة الشكل الذي يتماشى مع التحديث في المجال العمراني في مجتمع قمار، توصلنا من خلال هذا الإسهام والطرح في ما يخص الحرمة كقيمة مرجعية في هندسة عمران المسكن بين النمط التقليدي والمعاصر بمجتمع مدينة قمار ،إلى جملة من النتائج هي كالآتي :

– ترتبط الحرمة في مجتمع مدينة قمار بقيمتيْ العرض والشرف، والتصور الذي يحمله الرجل للمرأة في المجال السكني.

– التصور الثقافي لقيمة الحرمة في الثقافة التقليدية، نجد لها البعد المادي في هندسة المسكن الشعبي من خلال عدة عناصر تحمل مؤشرات الحرمة، وترجمتها على المستوى الهندسي للمسكن بمجتمع مدينة قمار.

– تتعلق قيمة الحرمة بالمرأة وحياتها في الفضاء السكني، حيث يسعى الساكن إلى حماية حرمته ومجاله السكني على اختلاف أنماطه السكنية.

–المسكن كفضاء مقدس تتجسد فيه جملة من الممارسات والمعتقدات الممارسة من طرف النسوة داخل المجال السكني، فالمسكن لدى المرأة يختلف تصوره عند الرجل، فهي تمارس جلّ الممارسات خاصة المتعلقة بالحيز الداخلي للسكن في الثقافة المحلية.

– المجال السكني له قدسية خاصة في التصور الثقافي للرجل بمجتمع مدينة قمار، وهذا راجع للوجود النسوي في المجال السكني.

–في الفضاء الخارجي للمسكن، يمارس الرجل معتقداته والبعض من الممارسات التي تسبق عملية البناء، من خلال بعض الممارسات من أضحية وذبح، والنساء تتكفل بتلك الطقوس والممارسات، التي تكون داخل المجال الداخلي لها في أزمنة ثقافية معينة، فالنسوة لديهنّ أيضا دورا في ترسيخ تلك المعتقدات من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

– يتعلق السكن التقليدي بمجتمع مدينة قمار بالمرأة على أنّه فضاء نسوي، وهذه الفكرة موجودة على مستوى ذهنية الفرد وتصوره، فالمرأة لها الدّور الأساسي والمهم في تشكل الفضاءات الداخلية للمسكن بمجتمع مدينة قمار وتنظيمها.

–كل عنصر من عناصر المسكن التقليدي بمجتمع مدينة قمار، يحمل تصورا يدل على أنّ المسكن كفضاء نسوي، يعمد الساكن إلى حماية حرمة مجاله من بداية المسكن الى نهايته.

– ثنائية (الخاص/العام) هي تجسيد لرؤية ثقافية لمجتمع قمار ترسم حدودها للحضور النسوي، وتقسيم المجال السكني على أساس قيمة الحرمة وعرض النساء وشرفها.

– بين السكن وجسد المرأة علاقة وطيدة من خلال أنّ الهندسة العمرانية للمسكن التقليدي تحرص على تغطية النسوة وجسدها، الذي هو في التصور الثقافي عرض وشرف الرجل، عليه حمايته من الآخرين والغلق عليه، وهذا ما تبرزه هيكلة المجال السكني بمجتمع مدينة قمار.

–مجتمع مدينة قمار من المجتمعات التي كتب عنها بعض الباحثين، أنّه من المجتمعات التي تسمح بوجود النسوة خارج الفضاء السكني على عكس مجتمعات قريبة لها في الحيز المدني، فهذا التصور للمرأة له جذوره الثقافية في تصور الرجل بمجتمع قمار.

– التغير في هندسة المجال السكني راجع بدوره إلى تغير في مكانة المرأة داخل المجتمع، وخروجها من الفضاء الخاص إلى العام، الذي انعكس على شكل قيمة الحرمة وكيفية تجسيدها وبناءها في الثقافة المعاصرة وهندسة عمران المسكن المعاصر بمجتمع مدينة قمار.

– التحوّل من فكرة الفضاء المغلق والفضاء التقليدي المغلق، في تصور الفرد من الفضاء المفتوح إلى الخارج وإقامة الفواصل بين العام والخاص، تلك هي مؤشرات للتحول القيمي للحرمة، والذي يقع بين تقليدية التصور وعصرنة الشكل، دلالة على التغير في الشكل، لا في جوهر القيمة.

– وجود قيمة الحرمة في المسكن المعاصر وخروجها من الفضاء الخاص بالمسكن التقليدي إلى وجودها في الفضاء الخارجي للسكن، تغير نفهم من خلاله أنّ القيمة تعدت الحيز الداخلي، مثلما تعدت وخرجت المرأة من مجالها التقليدي المنغلق إلى الفضاء العام الخارجي، فالتتابع بين المرأة كقيمة وتغيرها في التصور الثقافي للفرد، وهذا بموازاة مع التغير الحاصل لدور المرأة وموقعها الاجتماعي في العالم المعاصر.

– المرأة في المجتمعات الصحراوية لها مكانتها الخاصة، ولها المسكن الحامل لتصور الرجل لجسد المرأة الخاص بها، ووفقا لعملها ووجود كيانها في المجتمع والثقافة المعاصرة، فالمسكن المعاصر يعاصر كذلك التحولات الحاصلة في المجتمع، وتغير في المواقع الاجتماعية ودورها الفاعل في مجتمع.

الفصل الخامس: الخصوصية كقيمة ثقافية في هندسة عمران المسكن بمدينة قمار.

- تمهيد
- أولا: الخصوصية كمفهوم ثقافي في مجتمع مدينة قمار.
- ثانيا: مغذيات الخصوصية في المجال السكني بمجتمع مدينة قمار قديما وحديثا.
- ثالثا: أنماط الخصوصية في المجال السكني في مجتمع مدينة قمار.
- رابعا: مستويات الخصوصية في هندسة المسكن بمجتمع مدينة قمار.
- خامسا: الخصوصية بين عمارة المسكن التقليدي والمعاصر بمجتمع مدينة قمار.
- خلاصة الفصل

تمهيد

نتناول في هذا الفصل الخصوصية كقيمة ثقافية في هندسة عمران المسكن بمجتمع قمار ،وكيفية ترجمتها معماريا في النمط التقليدي بكيفية محلية شعبية، وكيفية تموضعها وحضورها في الثقافة العمرانية لمجتمع قمار، ودراسة تحولها ووجودها في النمط المعاصر لرصد التغير القيمي لها من خلال هندسة المجال السكني الحديث، ومن خلال المساحات الداخلية للمسكن أو من خلال مواد البناء لخلق بيئة ثقافية تحقق وظيفة الراحة والأمان داخل المسكن، فالخصوصية من المتطلبات الإنسانية التي يسعى الساكن إلى تحقيها ورسمها ضمن الحدود المكانية الخاصة بالمسكن والأسرة بمجتمع مدينة قمار.

أولا: الخصوصية كمفهوم ثقافي في مجتمع مدينة قمار

المقصود بالخصوصية "حماية المسكن وأهله من التعرض للانتهاك من خلال الملاحظة البصرية غير المرغوب فيها، من قبل الآخرين" وتُعرف أيضا من خاصة الشيء، أي شيء خاص بي لا أشاركه مع الآخرين، وأوفر له الحماية وعدم التكشف للآخرين، عند بناء المسكن تراعى الخصوصية كأهم المحددات الثقافية في هندسة المجال الداخلي خاصة من خلال عناصر معمارية تلبي للساكن وظيفة الحماية البصرية من الغريب، أو عدم التكشف عن مجاله الخاص الداخلي.

العديد من القيم التي تترجمها عمارة المسكن من خلال الهندسة المجالية باعتبارها فضاء مادي رمزي، له الخصوصية الثقافية والهوية المكانية، التي تعبر عن شخصية أهل المدينة والمسكن، نجد لقيمة الخصوصية لها التأثير البالغ من ناحية توزع الفراغات الداخلية، ومن خلال حضورها في التصور الثقافي للفرد بمجتمع قمار، حاول ترجمتها كقيمة مادية عمرانية، تعبر عن جملة من الأفكار والتصورات للمجتمع، وتتمثل الخصوصية "في عزل المبنى عن البيئة المحيطة به، وذلك باستخدام وسائل العزل والفصل المختلفة"[1].

من أبرز تلك المواد الزجاج، ووضع الستائر وغيرها، إذن الانتقال من القيمة كتصور ثقافي، إلى التعبير عنها في الجانب المادي العمراني دلالة ثقافية، ومن أبرز العناصر التي تعكس الخصوصية كقيمة في هندسة عمران المسكن على اختلاف نمطه نجدها متمثلة في:

1-1 مدخل الباب: في مسكن مدينة قمار، نجد الأبواب تفتح من الداخل فقط، ولها نمط معين في الهندسة من خلال أنه يحيط بكل المدخل، ونجد له شكلا معينا في المسكن التقليدي والمعاصر، حيث من خلال الملاحظة الميدانية لبعض من الأحياء في مدينة قمار، خاصة ما يعرف "**البويبة**" وهي كلمة مشتقة، وتصغير لكلمة باب، يحتوي الحي على نمطين من الهندسة، البناء التقليدي والمعاصر، وهي تعتبر من أقدم الأحياء في مدينة قمار.

الأبواب لها وظيفة حفظ المسكن من الداخل والحفاظ على خصوصيته، يحتوي الباب قديما بمساكن قمار ومن خلال كلام أحد الإخباريين الذي شرح لنا مكونات الباب الثلاثة، ووظيفة كل واحدة منها والغرض من توزعها، والتغير في نغمة طرق الباب بكلامه: **الباب الكبير القديم كان على -ثلاث أنواع**

[1] روند حمد الله ابو زعرور، **"أثر التصميم الداخلي في انجاح محتوى الفضاءات المعمارية الداخلية والخارجية " المباني السكنية المنفصلة (الفلل) في نابلس نموذجا"**، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية، نابلس، فلسطين، 2013، ص 45.

من "النح"، وهذه التسمية تع بكري وْتَوْ معادتش يسموه التسمية والشكل هذا من الباب، كانت أبواب مدينة قمار تقليدية، وقت كانت حرمة الدار والنساء داخله، وْبَاهْ تعرف من الجاي للحوش وإذا يفتح الراجل أو المرأة الباب "[1]، وواصل الإخباري شرحه ووظيفة كل جزء مكون للباب يختلف كل واحد عن الآخر من حيث الحجم والشكل والصوت، "[2] وكل واحد لديه النغمة والصوت الخاص به ،

فمن خلاله تدرك المرأة من القادم من الخارج، فالأول دال على عابر سبيل يحتاج سقي الماء أو الأكل، والثاني في خط يوازيه دال على قدوم رجل البيت من العمل أو الخارج، أمّا الآخر يكون من الأسفل قليلا دالا على مجيء النسوة إلى البيت" إذا من خلال الصوت يُدرك أهل البيت نوع الضيف أو الشخص القادم، وعليه الباب هنا هو عنصر معماري ثقافي يحفظ خصوصية أهل البيت من الداخل ".

الصورة رقم (05-01): تمثل شكل الأبواب التقليدية بمدينة قمار من الداخل والخارج، وهو نوعين من الأبواب الأول (الأزرق) حيث ساد هذا النوع بالقرى الفلاحية، والثاني بالمناطق الحضرية للمدينة، به مدخلين ويفتح من الداخل الأول صغير خاص بأهل الدار والثاني للغرباء .

[1] مقابلة مع (م. م)، 2024/05/16 .10:30ص-11:00 ص. متحف دار الثقافة بمدينة قمار .

[2] مقابلة (م. م)، 2024/05/16. 10:30 ص -11:00ص . بمتحف دار الثقافة بمدينة قمار

الصورة رقم (05-01): تمثل أشكال الأبواب للمساكن التقليدية بمجتمع مدينة قمار.

الصورة (05-02): تمثل الباب التقليدي بقمار أو بما يعرف النح الجزء العلوي له ووظيفته.

الصورة (05-02): تمثل الجزء الاول من الباب الكبير للمسكن ككل ومكون من ثلاث قطع الاول: يُطرق عند مجيء الغريب أو مرور عابر السبيل ويكون صوت الدق مستوى عالي قليلا من خلال الصوت يُعرف أن هذا عابر سبيل فلا تفتح نسوة البيت أو يبقين خلف الباب والجزء الثاني يُطرق عند قدوم رجل البيت ويكون صوته عالي جدا تسمعه كل النسوة في البيت وإن كانت مشغولة أولا تسمع الصوت جيدا والقفل له ثقل كبير على الباب

الصورة رقم (05-03): الجزء الثالث من الباب بالمسكن التقليدي بمدينة مجتمع قمار.

الصورة (05-03): يشمل الجزء الثالث من الباب ويُطرق اعلانا بمجيء نسوة إلى البيت أو ضيوف، عند الطرف صوته يكون ليس بعالي كما في الجزء الخاص بالرجال

المصدر: من اعداد الطالبة : 18/03/2024.

في المسكن المعاصر نجد تجسد قيمة الخصوصية عبارة عن جدران سميكة جدا، عند المرور بمدخل البيت لا يظهر لك من بالداخل، وأثناء مرورك بالشارع لا تلاحظ لا الباب ولا مدخل البيت ،إلا عند الاقتراب منه، فتلك الجدران حفظت خصوصية أهل البيت من أنظار المارين بالحي، أو عند قدوم أحدهم إلى البيت يقف عند المدخل، فلا يلاحظه العابر في أول الشارع، خاصة عندما تكون الزائرة من النسوة في وضعية الوقوف في المدخل، تلك الملاحظات الدقيقة لهيكلة الباب وكيفية تموضعه في شكله التقليدي والمعاصر ،ندرك من خلالها الانتقال من نمط إلى آخر حديث في المواد والتصميم، نجد القيم نفسها على اختلاف تموضعها، فالفرد حامل لقيمه في هندسة مجاله ،ونقلها معه كنوع من المحافظة عليها واستمراريتها في الهندسة الحديثة للمدينة ككل.

في بعض المساكن المقابلة للشارع نجد بعض الساكنين عند فتح باب المسكن يضعون ساتر على مدخل الباب، عند الفتح تحجب الستائر الفضاء الداخلي السكني، فهي لها دور الستر والحفاظ على الخصوصية الداخلية للمسكن، وعدم التكشف عليه، هذا الشكل نجده في المساكن المعاصرة الفردية ذات المساحة الضيقة، في فصل الصيف نجد الستائر تُستعمل كثيرا لحرارة الجو، فيُفتح الباب ويحل محله الساتر على الباب، وكذا دخول وخروج الهواء وتهوية المسكن من الداخل، إذن له وظيفتان وظيفة الحفاظ على خصوصية المسكن من الداخل، وتلطيف حرارة المسكن.

نجده أيضا يُغلق في مدخل المسكن الثانوي الداخلي وليس بمدخل المسكن الأساسي، وظيفته يحافظ على درجة حرارة المسكن والكسر من حدتها، نجد الستائر أيضا على النوافذ حيث تفتح من الداخل

وتكون مطلة على الفضاء الخارجي، فلها دور حفظ خصوصية الأسرة خاصة داخل الغرف، فهي من العناصر الحديثة التي يستخدمها الفرد، ولها دور أساسي في حفظ مسكنه من الغرباء.

فالعديد من الدراسات التي تطرقت إلى الخصوصية ،كإشكالية في المجال العمراني وكيفية تأثيرها على التخطيط والتصميم للمجال السكني خاصة المعاصرة منها، لتبيان أن الخصوصية هي من القيم المتجذرة في الساكن ،بحيث يقوم بتعديلات في مسكنه لتحقيقها، وأنها من "العوامل المحفزة في التعديل التخطيطي للمكان"[1]، وهذا ما أثبتته دراسة قام بها معماريين في الأردن حملت عنوان **privacy as a motivating factor for spatial layout transformation in Jordanian public housing**، وكذلك عدة دراسات بحثت في أهمية الخصوصية في تشكل أو هندسة المجال السكني الإسلامي، كلها تصب في قالب معرفي منهجي حول الخصوصية كقيمة ثقافية عمرانية ،ودورها في تصميم وهندسة المجال السكني سواء التقليدي أو المعاصر .

1-1 النافذة كعنصر معماري ثقافي: بين التقليد والمعاصرة

تتواجد النوافذ ضمن الفضاء السكني الداخلي، وتختلف أشكالها وأحجامها وفق شكل ونمط المسكن، تتواجد النوافذ في المسكن التقليدي بشكل معين وفي غرف دون أخرى وأماكن دون غيرها، فالساكن في الهندسة المحلية، النوافذ هي عنصر معماري مادي، وجزء ثقافي رمزي، فنجدها بحجم صغير مربع تفتح من داخل الغرف، ولا تطل على الفضاء الخارجي كنوع من الحرمة والخصوصية، من خلال عملية النظر إلى خصوصيات الأفراد في غرفها الخاصة بها.

فالأسرة في المسكن التقليدي بينهم علاقات القرابة وقيم اجتماعية مختلفة، لكن الغرف الداخلية، ووجود النافذة في ذاك الموضع، وكيفية الفتح دلالة ثقافية على تحقيق نوع من الخصوصية في غرفته الخاصة، وعدم مشاركة الآخرين وحمايتها من النظر الخارجي، "فالنافذة تعتبر عنصرا معماريا له تأثير ثقافي قوي"[2]، خاصة في المجتمعات المحلية، ولها عدة وظائف منها البيئية، تتواجد ضمن المجال الداخلي للسكن مطلة على الفناء الداخلي للمسكن التقليدي.

ووظيفة ثقافية للحافظ على النسق الاجتماعي والعائلي في الأسرة الممتدة، فكل غرفة تحتوي على نافذة أو نافذتين، إلاّ غرفة الخزين قديما، لا توجد بها نافذة، وذلك للحفاظ على سلامة المخزون، فنافذة

[1] Boushra obeidat and Others, **privacy as a motivating factor for spatial layout transformation in Jordanian public housing** , City, Territory and Architecture, Vol 09, No 14, 2020, p 2

[2] Mathilde Maire- Sebille, **le regarde à travers la fenêtre: de l'intime à l'ostensible**, Architecture, aménagement de l'espace, 2020, p 12.

الحمام مثلا تكون على علوّ كبير في المسكن ،حفاظا على خصوصية من بالداخل، كذلك النافذة لا توجد في المطبخ، لوجود النساء فيه والحفاظ على حرمتهم داخله، طريقة فتحها وغلقها مرت بتغيرات من الشكل التقليدي، فلا نجد النوافذ ضمن المجال الخارجي للسكن، وهذا شكل من أشكال الحفاظ على خصوصية الأفراد داخل مسكنهم، الجزء المعماري الوحيد المفتوح في الهندسة المحلية للمسكن القماري هو **السباط**، وفيه تقوم النسوة بأشغال البيت، وكفضاء مشترك له عدة وظائف على اختلاف الفصول وحاجيات الأسرة المحلية.

النوافذ في هندسة المجال السكني المعاصر، تأخذ عدة أشكال وأنواع من حيث المواد المستخدمة في صنعها وتشكليها، وفي أماكن تواجدها وكيفية تصميمها، فبعض المخططات التي تصمم تأخذ في عين الاعتبار عدة أمور في تموضع النوافذ، وهذا ما أكده أحد الإخباريين بقوله: "**النوافذ عند تصميمها ضمن المخطط العام للمسكن، نأخذ بعين الاعتبار الجهات الأربعة وتوفير الإضاءة اللازمة للمسكن للتهوية، ولا توجّه النوافذ في الاتجاه المقابل للجار في المسكن أو المقابل للمسكن**". إذا أماكن تموضعها في السكن الحديث، وفق اعتبارات ثقافية بيئية من وظائف مناخية، وكذا وفق قيم ثقافية من احترام الجار وعدم التكشف عليه وحفظ خصوصيته.

الاختلاف في الحجم والشكل للنافذة له دلالات رمزية معينة حول الساكن أولا، وثانيا حول المسكن ومدى عصرنته، **فمن خلال ملاحظة** المساكن المعاصرة بمدينة قمار، هناك نوافذ تكون طوليا وذات حجم صغير، هذا النوع من النوافذ نجده في المساكن، التي تكون على علو كبير، "فالشباك الصغير يوحي بالخصوصية، بينما يجذب ذو المساحة الكبيرة جدا النظر"[1].

ويستخدم فيها الزجاج كمادة عاكسة للضوء، وإن كانت في خارج المسكن، نجد الستائر كعنصر مكمل لها في الوظيفة وتحقيق الخصوصية للمسكن وأهله، ومنهم من يحاول الحفاظ على نوع من الجمالية والتراثية في هندسة النافذة، فتكون على شكل قوس ومن الأعلى على شكل مربع. ويصل طولها 1 متر على 1 متر، أو متر ونصف على حسب الفضاء الذي تشغله.

---

[1] نمير قاسم خلف، "**ألف باء التصميم الداخلي**"، جامعة ديالي، بغداد، 1426هـ/2005، ص101.

***الحويطة:** هي مفردة من اللسان الشعبي بمدينة قمار، تستخدم في السياق المحلي للدلالة على عملية الإحاطة بالمسكن، وبصورة أدق: هي المجال الفاصل بين مدخل المسكن الداخلي ومدخل المسكن الخارجي تحفظ خصوصية أهل المسكن من الداخل. ونجدها أكثر استعمالا في المسكن المعاصر، لأنها تحمل نفس دور الفناء الداخلي للمسكن المحلي، لكن في المعاصر نجدها خارج الفضاء الداخلي بل في الخارج.

انتقلت النافذة كعنصر معماري ثقافي من الفضاء، والمجال الداخلي في المسكن التقليدي، إلى الفضاء الخارجي للمسكن المعاصر بمدينة قمار، ومنه هناك نوع من الحفاظ على قيمة الخصوصية، حيث نجدها في المسكن التقليدي في هندسته بشكل، والمعاصر بشكل مغاير، مع ثباتها كتصور ثقافي في المتخيل الاجتماعي للأفراد.

فالهندسة المجالية، ماهي إلاّ ترجمة للقيم الثقافية التي جسدتها العمارة كخطاب لها، لتبيان الواقع الحضاري والاجتماعي للمجتمع، ومجتمع قمار في حفاظه على القيم الخصوصية كقيمة مجالية في هندسة مجاله التقليدي والمعاصر، وإعادة إنتاجها وفق قالب حداثي معاصر، هذا يقودنا إلى مدى مقدرة حفاظ الفرد على الثوابت الثقافية في هندسة عمرانه لمجاله، سواء كان هذا المجال محلي ذو هندسة شعبية نأخذها كمرجعية مجالية لتبيان التحوّل الحاصل في هيكلة المجال السكني المعاصر.

3-1 السور المحيط بالمسكن – الحويطة-*:

يكون هذا الجزء جزءا خارج المسكن المعاصر، ومن العناصر التي يحرص الساكن على هندستها خاصة في المسكن الفردي، وله وظيفتين على حسب كلام أحد المشرفين على تصميم وهندسة المساكن في مدينة قمار بقوله: " **الحويطة بمعنى السور الحامي للمسكن، الهدف من هندسته من طرف الساكن، حصر أرضه – يحكم حده من ترابه –، بمعنى أن الساكن يعمل سور للمسكن من أجل الإعلان حول ملكه لأرضه وبيته، والوظيفة الثانية أن يحمي أهل البيت ويوفر لهم خصوصية في المجال المعاصر من المسكن**"[1].

كذا السور يُبنى بعد الانتهاء من بناء المسكن، أو يمكن أن يضيفه الساكن بعد مرور وقت من الزمن، كذا يوفر تلك المساحة التي كان يلبيها الفناء – وسط الحوش – في المسكن التقليدي، كنشر الغسيل لأهل البيت، كذا النوم في مساحته خاصة في فصل الصيف، فهناك مسافة بين جدران البيت والسور، وبعض البيوت يُغرس فيها بعض النباتات للزينة، وإضافة جمالية طبيعية للبيت، إذا السور يحفظ خصوصية أهل البيت ويوفر لهم الراحة والاستقرار بعيدا، عن أنظار العابرين في الطرقات.

عند هندسة وبناء السور، تختلف بعض الهندسة المجالية للمسكن في الداخل، فمن خلال الملاحظة للفضاء الداخلي لأحد المساكن، السور يغير من مورفولوجية المسكن فيصبح يتوفر على أربعة أبواب لمدخل الدار، مدخلين ثانويين للمسكن في الداخل، وسبب وجودهما هو نوع من المعالجة المناخية

[1] مقابلة (ب، ح) 26/03/2024 الساعة 10 ص- 10:20ص بمكتب الدراسات المعمارية بمدينة قمار .

للمسكن في الداخل، من دخول وخروج الهواء للمسكن من جهتين، فالمساكن في مدينة قمار تتوفر تقريبا كلها على مدخلين خاصة الفردية، ونجد أن السور قد أضاف كذلك أبواب أخرى، باب في جهة الشرق وجهة القبلة جهات مقدسة في الثقافة الإسلامية.

ويربط مدخل المسكن برواق طويل، ليصل إلى باب المدخل الثانوي، فالهندسة الداخلية تصبح كبنية مترابطة فيما بينها وظيفيا، كل عنصر مترابط مع الآخر يحقق وظيفة على مستوى الهندسة الكلية للمسكن المعاصر، ونجد هذا أيضا في المسكن التقليدي في مدينة قمار، فكل عنصر مترابط مع الآخر لكن بشكل مختلف، وعناصر مختلفة نوعا ما عن المعاصر، تلك التحولات التي مسته في هيكلة مجاله الداخلي تجعل من المسكن "واقعة أنثروبولوجية"[1] بالدرجة الأولى، لأن التغير الذي يمس المسكن كمجال عمراني إنما هو تغير في أسلوب الحياة اليومية للأسرة.

من خلال عملية الوصف المكثف لمجال المسكن في مدينة قمار، نجد هناك مسافة بين المسكن الداخلي والمدخل الرئيسي للمسكن، تلك المسافة التي ينتجها الساكن بمسكنه هي مسافة تضمن له الخصوصية، وكذا ملاحظة نجدها في هيكلة المجال السكني بين التقليدي والمعاصر، فالذي يميز هندسة المجال التقليدي هو وجود الفناء كعنصر مميز وخاص به.

المسكن المعاصر لا يحتوي على الفناء ،لكن السور وفر نوع من الفناء، أو كما يسمونه أهل قمار **– وسط الحوش –**، لكن بشكل مغاير على التقليدي، إلاّ أنّ له نفس الوظيفة في قالب حديث عن ما عرفه، إذا الفناء كعنصر كان في الفضاء الداخلي، أصبح من العناصر العمرانية الخارجية للمسكن، وليس داخلي يربط بين مجموع الغرف، فالفرد الصحراوي تَعَوّد على وجود الفناء كمتنفس له في مواسم مختلفة، فيشعر بنوع من الضيق والكتمة في مسكن مغلق من الداخل بالكامل، إذا عمد على نقل عنصر الفناء ليوفر نوع من المساحة الواسعة، فنجد من يغرس نخلة في تلك المساحة ،أو يخصصها للنوم في فصل الصيف .

السور من تلك العناصر المعاصرة التي نلاحظها في هندسة مجال المسكن بمدينة قمار، نتيجة لتغيرات عدة حصلت على المورفولوجية العامة للسكن، وبروز عناصر مغايرة لما هو تقليدي محلي، لكن تلك الحالة من المعاصرة في هندسة المجال السكني، لم تمنع الساكن من ملائمة الساكن وفق خلفياته الثقافية، ووضعه في إطار مرجعي ثقافي يدل على مرجعيات ثابتة التصور.

[1] رجاء مكي طبارة، مرجع سابق، ص 89.

فالجوانب الثقافية من أبرز المحددات التي يراعيها الساكن في هندسة المجال الداخلي، وإن كان لا يتوافق معه في بيئته الطبيعية من مواد بناء أو غيرها، فالخصوصية كقيمة في المجال السكني نجدها حاضرة وبشكل مكثف في الهندسة الشعبية التقليدية المحلية ،سواء من خلال الأبواب والنوافذ أو الخط المنكسر الحاجب للرؤية البصرية الداخلية، فالخصوصية كقيمة مرجعية يحافظ عليها الساكن، وكقيمة ثابتة التصور الثقافي متغيرة في القالب الهندسي ،لها سلطة وقوة في هيكلة المجال من حيث محدداتها التي تأخذ وتستمد منها حيوتها واستمراريتها الثقافية والحضرية ،في الهندسة المعاصرة الحاضرة في هندسة مدينة قمار.

ثانيا: مغذيات الخصوصية في المجال السكني بمجتمع مدينة قمار قديما وحديثا

تستمد قيمة الخصوصية من العناصر الثقافية والاجتماعية تتغذى منها، وتكون مرجعها المستمد من دلالاتها ومن تلك العناصر:

2-1 الدين الإسلامي:

نجد للدين دورا أساسيا ومهم في الهندسة العمرانية للمدن، فهو يعبر عن مجموعة من المعتقدات الدينية الراسخة في ثقافة مجتمع ما، حيث تعبر تلك التفاصيل العمرانية ويظهر فيها البعد الديني، فكل ديانة لها معابدها ومساكنها وشوارعها ذات الهندسة والتخطيط القائم على عنصر الدين، كنسق مقدس متعلق بجوانب حياتية عديدة، فالثقافة الإسلامية تتشابه في الأشكال والعمارة الحاملة لخصوصية الشريعة الإسلامية في عمارة الشوارع والمدينة والمساكن، فالدين الإسلامي يظهر في المساكن بمجتمع قمار من خلال قيمة الخصوصية ،التي يراعي فيه الفرد حرمته وخصوصيته في فضاءه السكني الداخلي .

فالتصميم الإسلامي والعمارة للمسكن بمجتمع مدينة قمار، الهدف منه "تحقيق عملية توزان بين خصوصية الأسرة والتماسك الاجتماعي من خلال عملية تنظيمية بين الفضاء العام والخاص"[1]، فالمساكن المعاصرة حافظت على شقها من الهوية الإسلامية في قيمة الخصوصية، فالدين من الانساق الرئيسية التي تحدد توجه الفكر والاعتقاد عند الفرد، فالمسكن مكان مقدس تتجلى فيه جملة من المعتقدات والطقوس، وكذا في هندسته وتدرجه من العام إلى الخاص إلى الأكثر خصوصية، وهذا لحفظ حرمته من الآخرين للعبور إليه، فالمسكن في مجتمع قمار تتجسد فيه قيم الحرمة والخصوصية في هندسته التقليدية

[1]ALI SAEED BOKH ARI and Others, **Impact of Islamic values and concepts in architecture: A case study of Islamic communities**, WIT transaction in Ecology and the Environment, Vol 241, 2020, P 383.

والمعاصرة، والدين من العناصر الثقافية التي أنتج من خلاله الفرد تلك المعتقدات في عمارته لمجاله الخاص.

2-2 وضع المرأة في المجتمع:

هنالك علاقة وطيدة بين عمارة المسكن بمجتمع مدينة قمار، والوضع الاجتماعي للمرأة في المجتمع، فالمجتمعات التي فضاءاتها السكنية مغلقة من الداخل ،تحمل خلفيات عن التصور الثقافي له من طرف الرجل، فمعظم المجتمعات المحلية التقليدية ،نجد للمرأة مكانة خاصة يحافظ عليها الرجل ،فهي عرضه وشرفه، فالمسكن ككل هو المرأة وهي ما تتداوله في الثقافة الشعبية، تبين العلاقة والدلالة الرمزية –الدار هي المرأة، فالمرأة وجسدها وكل ما يخصها من الناحية الثقافية يجسدها الساكن في هندسة مجاله الداخلي خاصة السكني، ودلالة التحول في الهندسة من المجال المحلي المغلق إلى المجال المنفتح على المجال العام لهندسة عمران المسكن بمجتمع مدينة قمار ،يدل على تغير وضعية المرأة في المجتمع.

ثالثا: أنماط الخصوصية في المجال السكني في مجتمع مدينة قمار

للخصوصية أنماط مختلفة في تشكل المجال السكني، ولها تدرج انطلاقا من توزع الفضاءات والفراغات داخل المسكن إلى مواد البناء التي تسهم في تشكل أحد الأنماط الأساسية للمسكن، سواء التقليدي أو المعاصر، لكن هناك اختلاف بينهما من حيث الهندسة، فالخصوصية في النمط التقليدي لها العناصر العمرانية الدالة عليها، ومواد البناء التي تميزه على الشكل الحديث والمعاصر، كل هذه المؤشرات نجدها في هندسة عمران السكن في مدينة قمار.

هناك شكل من الخصوصية في هيكلة المجال المعاصر، سواء في المسكن الفردي أو الجماعي، الذي هو يعتبر من المنتجات العمرانية ،التي أنتجتها الحداثة العمرانية في وقت ما، كما أشرنا سابقا أن هذا النمط في السكن يشكل جزء مهم من الخريطة العمرانية لمدينة قمار، كان في السابق هذا النمط يلقى نوع من الرفض الاجتماعي من طرف الساكنين، لأنه مغاير عن الهندسة المحلية، ولا يمكن للفرد الصحراوي المتعود في معاشه اليومي على السكن الواسع والفناء، أن يسكن سكن عبارة عن عمارات في مساكن ضيقة، وإن سكنها يقوم بتعديلات على مستوى سكنه، ومن أبرز تلك التعديلات التي نلاحظها في كل العمارات على اختلاف المناطق تغطية أو بناء الشرفة – البلكون–.

هناك اختلاف بين ثقافة الساكن والسكن الجماعي العمودي، فالخصوصية "هي بناء اجتماعي له تأثير على المتغيرات الثقافية والدينية ونمط الحياة "[1]، ومن أبرز وأهم أنماط الخصوصية في هندسة المجال السكني بمدينة قمار على شكله التقليدي والمعاصر، الخصوصية البصرية والسمعية، **هذين النمطين سوف نركز عليهما في دراستنا هذه من خلال الملاحظة المباشرة، والمعاينة لبعض السكنات بأحياء مدينة قمار** في هندسة وتصميمها الداخلي للمسكن بالمدينة في الحالة التقليدية والمعاصرة، وكيف تمّ تجسيد قيم الخصوصية في البعد الهندسي للمسكن بمجتمع مدينة قمار.

3-1 الخصوصية البصرية:

من أبرز أنواع الخصوصية التي يركز عليها الساكن لأنه المتحكم فيها، والذي يحرص على هندستها أو حتى إجراء بعض التعديلات في تصميم المسكن من طرف المعماري، وهي تلك الخصوصية المتعلقة بالجانب البصري عند الإنسان والتكشف على مسكنه وأهله في مجاله الداخلي، فيمنع ذلك ويحمي حرمته ومسكنه من خلال عناصر معمارية تحقق له الدور والوظيفة في حماية مسكنه من عيون المارة أو الغرباء، بحيث يصبح المسكن معزولا عن الفضاء العام ويحقق للفرد الراحة النفسية.

فالخصوصية هي تصور ثقافي وخلفية قيمية، يملكها الفرد نتيجة تلك القيم والأعراف الاجتماعية السائدة في المجتمع، والتي تكون حاملة لهوية وثقافة متجسدة في عمران الساكن، لتعطي له الخصوصية المعمارية والعمرانية، وكأحد العناصر الثقافية المادية التي يمكن أن تكون لغة وخطاب، يتم فهم تأويلاتها الثقافية من خلال عمارة وهندسة المسكن.

السكن في مدينة قمار التقليدي يراعي في هندسته الخصوصية البصرية، وهذا من خلال بعض العناصر التي تحمي السكن، انطلاقا من واجهة المسكن إلى المدخل، وكيفية هندسته وصولا إلى الفناء والغرف وباقي المسكن، وهنا نلاحظ نوع من التدرج في المجال، وانتقاله من الخاص إلى العام، فهذا التدرج الهرمي في الهندسة المجالية والتراتبية في السكن، يقودنا إلى فهم ثقافة الفرد الصحراوي بمدينة قمار، التي راعى فيها جانب الخصوصية في هندسة مجاله السكني.

من خلال المدخل المنكسر ،الذي له خلفيات ثقافية في تصميمه بهذا الشكل، بحيث يمنع وصول العين إلى وسط الدار مباشرة، عند القدوم أحدهم الى المسكن، والحفاظ على حرمة النسوة في الداخل، فالفرد المحلي الذي قام بعزل فضاءه الحميمي وإبعاد الأنظار حوله ،من خلال تلك الجدران في تصميم

[1] Ariani Mohammad Dini and Others**:" Principle of privacy in Islamic Architectural Design Context : A Systematic Literature Review،"** International Journal of Academic Research in Business and Social Sciences، Vol 13, P 808.

المدخل، هو بذلك قد قام بتعزيز قيمة الخصوصية انطلاقا من مدخل مسكنه وفق هندسة شعبية محلية، على عكس المسكن المعاصر لا نجد تلك المسافة بين مدخل الباب وداخل المسكن، فالعديد من المساكن في مدينة قمار ما إن تفتح باب المدخل تتكشف على المسكن وما بداخله مباشرة، هذا إن لم يقم الساكن بتلك التعديلات التي تحقق له الخصوصية البصرية كما ذكرنا سابقا ،سواء السور حول المسكن أو الانحناء الذي تغير مكانه كان بالداخل أصبح إلى الخارج .

الغرض منه حماية المسكن من الناضرين، فالخصوصية انتقلت من الداخل إلى الخارج وتماشت مع متطلبات المعاصرة في المجال الهندسي للمسكن بمدينة قمار، تختلف درجة الخصوصية التي يرغب الساكن في تحقيقها في هندسة مجاله على اختلاف "السياق الثقافي الذي يعيش فيه وشخصيته"[1]. فالخصوصية البصرية متعلقة بمدى التكشف الخارجي على المجال الداخلي، عن حرمته فالساكن يسعى إلى عزله ذلك المجال الخاص به ومتعلقة كذلك بالتصور الثقافي للفرد الساكن اتجاه سكنه كفضاء خاص له قدسية وحميمية وجب عزله عن جميع التفاعلات الاجتماعية في الخارج، والفضاء العام بممارساته اليومية.

المسكن الصحراوي له الخصوصية الثقافية والمجالية عن باقي المساكن الأخرى، ويتميز كذلك بتلك القيم التي تتجلى في هيكلة مجاله الخاص والعام، والمستمدة من فقه عمراني على قواعد ونظام ديني، يضبط هندسة المدينة الصحراوية بأكملها، ومن أبرز ما ينص عليه فقه العمران في المجال الهندسي للمدينة والعمارة السكنية، احترام خصوصية الآخرين وعدم التكشف عليهم وهم في مساكنهم.

هذا ما نجده في هندسة عمران المدن الصحراوية ،أن المباني السكنية لا تعلو على بعضها، كما نجدها في مستوى واحد، والجار لا يفتح نافذته على جاره المقابل له، فتلك القيم الاجتماعية من احترام الجار والتعاون والتضامن، سواء في عملية البناء أو غيرها، كلها قيم تعمل على تماسك النسق القيمي والاجتماعي في المجتمع بأكمله، الخصوصية البصرية نجدها كذلك في تخطيط المدينة الصحراوية التقليدية من ضيق الأزقة والأحياء والشوارع، التي تبدأ بالاتساع إلى الضيق وهناك ممرات ضيقة جدا، وعرض الشارع، وهذا ما نجده في حي في قمار يسمى البويبة، مازالت تحافظ على أزقتها وأحياءها الشاهدة على تلك القيم الثقافية في هندسة مجال الأحياء الشعبية .

[1] Ayman Najeed Tomah, **Visual privacy recognition in residential areas through amendment of building regulations**, Urban Design and Planning, 2010/21/10 p2.

النمط التقليدي الذي نجده في مدينة قمار، التي تعرف تغيرات سريعة في نمطها الحضري الداخلي، خاصة في وسط المدينة، نتيجة لوجود السوق الذي يعتبر المحرك الحضري للمدينة، والذي يسبب لها حركية سكانية، وهذا السوق في أحد الأبواب الأربعة التي تعد الأعمدة الأساسية، حيث شكلت تاريخية المدينة – باب الغربي–، زيادة على ذلك وجود المساحات الخضراء في المدينة ساهم وبشكل كبير في إحداث تغير على المستوى الهندسي والمجال العمراني لمدينة قمار وكذا الجمالي.

فالتعايش الحاصل بين الهندسة التقليدية والمعاصرة للمساكن والأحياء والشوارع في المدينة، تعني أنّ هناك ثقافة أصلية متجذرة، التي تشكل المرجعية للأفراد، وهناك تغير حاصل ومتجدد في ظهور ثقافة مغايرة أو منتجات عمرانية معاصرة، حيث يبرز ذلك التغير الحاصل على مستوى البنية المجتمعية ككل، والذي نستدل عليه من خلال عمارة المساكن وتصميمها.

المعاصرة والتقليدية في هندسة عمران المسكن أي هناك مجالين مختلفين في التصميم والتخطيط وقيم ثابتة وتلك المتغيرة، أي هناك مجالين وثقافيتين حيث تشكل تلك التقليدية مرجعية اجتماعية للأفراد وثوابت تشكل الضابط الثقافي والاجتماعي ندركه من خلال نظام المحافظة على بعض العناصر العمرانية في هندسة النمطين للمساكن، اختلاف المساحات والأشكال العمرانية سواء في الشكل والحفاظ على مضمونها الثقافي أحد المؤشرات التي نقيس من خلالها تلك الفجوة بين المرجعيات القيمية وتلك القيم التي أنتجتها الحداثة وأفرزتها في الشأن العمراني .

التغير في الميدان العمراني إنما هو تغير ثقافي واجتماعي لبنية كلية لمجتمع يعرف تغيرات لها تأثيرات على النسق ككل محدثة فيه قيم متعددة وبمرجعيات مختلفة، فمجتمع قمار قد طرأت عليه تلك التغيرات والتحولات التي مست النسق القيمي في مجاله العمارة السكنية، فالخصوصية كقيمة مرجعية في السكن الصحراوي القماري له طابع مغاير للتقليدي فنجد المدخل تغير شكلا وحافظ على القيم المستمدة من الشريعة الإسلامية التي تنص على حماية خصوصية الغير وحفظ النفس من كل ما يضرها فالتصاميم المعمارية للبيوت الإسلامية أُسست على قيم الخصوصية البصرية من خلال تلك العناصر التي تكون جزء مهم من التركيبة العامة للمسكن "فالهندسة المعمارية هي في الاساس منتج ثقافي"[1] يعكس التصورات الثقافية والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع، والتغيرات التي تحصل على مستوى تلك الهندسة إنها هي تغيرات على الجانب الثقافي والفكري لها تأثير على النسق الاجتماعي ككل، وظهور ملامح ترمز لهوية ثقافية معمارية معاصرة .

[1] ALI SAEED BOKH ARI, Ibid, P 384.

من خلال الدراسة الميدانية والمعاينة المكانية لبعض من المساكن ذات الطابع المحلي التي لازال ساكنيها حاضرين فيها لا زالت البعض منها في حالة جيدة مع بعض التعديلات ودخول المعاصرة فيها خاصة تلك الأجهزة الإلكترونية الحديثة خاصة التي تظهر عند ملاحظة السكن من الداخل، لا زالت هناك بعض العناصر العمرانية الدالة على الهوية العمرانية الصحراوية مثل القباب والأدماس والزوايا البصرية المنكسرة التي تعكس الخصوصية البصرية في هندسة المجال السكني الداخلي خاصة، والتي تعكس تلك الخلفيات الثقافية التي انعكست على الصورة العامة للمسكن في تلك الأحياء القديمة التي كانت في وقت ما أحد الأبواب الرئيسة للمدينة القديمة. **الصورتين (05-04) (05-05):** أحد الأحياء الشعبية بمدينة قمار التي تُعرف –بالبويبة – وهي كلمة تصغير لباب وحجم مدخلها صغير وهي أحد الاحياء القديمة والمكونة لهندسة لمدينة قمار التقليدية، عند الدخول إليها كأنك في متاهة وأزقتها تكون على شكل واسعة ثم تضيق، ومع التحولات الحضرية التي مستها لازالت تحافظ على شكلها هندسي التقليدي وهناك مزواجة بين التقليدي والمعاصر في هندسة المسكن وتخطيط الطرق والأزقة الخارجية

الصورة (05-04): تمثل حي البويبة من الداخل الذي يعتبر من الاحياء التقليدية في مدينة قمار .

الصورة (05-05): يمثل مدخل التقليدي البويبة أحد الأبواب المكونة لهندسة مدينة قمار التقليدية

المصدر: من اعداد الطالبة: 01/04/2024

من أبرز تلك الأحياء القديمة والشوارع التي لازالت محافظة على الذاكرة الجماعية في جانبها المادي العمراني لمدينة قمار، نجد **– باب الشرقي**– وهو الأبواب الرئيسية المكونة لمدينة القديمة ولازالت فيها نوع من الخصوصية الثقافية في هندسة الشوارع خاصة التي تتواجد بالقرب من الزاوية التيجانية وهناك ما يسميها – الفج– لأنها هي معبر صغير بين عدة شوارع، كذلك **– باب الظهراوي**– هذا الباب نجد فيه الهندسة الشعبية لمدينة قمار عند المشي بشوارعه نجد تلك المساكن القديمة وهدمت البعض منها في إطار سياسة السكن الهش وتحسين صورة المدينة .

هناك كذلك – **زقاق البراطيل –** هذا الشارع له عمق ثقافي وتاريخي في الذاكرة المحلية وله العديد من الروايا الشفهية التي يتردد عليها سكان الحي، يحتوي على عدة من المساكن التقليدية، الخصوصية البصرية نجدها في هندسة الشوارع والأزقة الشعبية التي يعود تاريخ هندستها وتصميها إلى سنوات ماضية وهذه الشوارع كانت الرئيسة ومحورية لها وظيفة الحركية ودور مهم في الهوية العمرانية، هذه الهندسة لها خلفيات ثقافية تعبر عن القيم التي يتحلى بها مجتمع قمار، من خلال تلك فكرة الاتساع والضيق في الشارع وضعية مدخل المسكن وعدم التقابل المباشر لأبواب المساكن دلالة حضرية معمارية لقيم الحشمة والحرمة وقيم اجتماعية احترام الجار والآخر وعدم الملاحظة البصرية المباشرة لمسكنه .

للخصوصية ارتباط كبير بوجود النسوة في المجال الخاص بها خاصة في التقليدي الذي كانت فيه النساء هو الفضاء الذي تتحرك فيه بشكل مريح بعيداً عن أنظار الآخرين وتقوم بممارساتها اليومية ونشاطاتها المنزلية، سعى الرجل إلى حمايتها وعزلها بصريا من خلال تلك النوافذ التي تحتضن الفناء الداخلي ومنغلقة على العام الخارجي، لشعورها بالارتياح النفسي في مجالها الخاص بها والمرتبطة به ارتباطاً كبيراً، لأن حمايتها بصرياً هي حماية للأسرة ككل من الداخل.

حدوث تلك القطيعة بين ما هو خارجي وداخلي من خلال زوايا المنكسرة بصرياً وعمرانياً وعزل الأفراد عن الخارج، وخلق فضاء داخلي منغلق بصريا من الملاحظة الخارجية والكشف عن النساء وأفراد المسكن، إذن تلك العناصر المعمارية تحمل في معاني تخاطب فيها الآخر عند مدى درجة التحفظ الساكن على أهله ومسكنه وحرمته في الداخل من خلال كسر البصر والخصوصية التي يحققها مع الاستعانة بالعناصر الأخرى كالأبواب والنوافذ كعناصر مكملة وظيفيا في تحقيق خصوصية عالية.

3-2 الخصوصية السمعية

تتعلق هذا النوع من الخصوصية بحاسة السمع وجميع الأصوات التي تصدر من الساكنين سواء المنبعثة من الداخل والخارج والأحاديث التي تحدث على مستوى الفضاء الداخلي للسكن، والساكن يسعى إلى حفظ أهله من الخارج وإبقاء تلك الخصوصية له من خلال هندسته لمجاله السكني الداخلي، وتتعلق الخصوصية السمعية بعاملين أساسين من خلالهما تتحقق وظيفة العزلة بين ما هو داخلي وخارجي وهما:

3-2-1 مواد البناء والاساليب المستخدمة في بناء المسكن : تسهم مواد البناء وأساليب الإنشاء الصورة العامة للمحيط البيئي والثقافي لأهل المنطقة حيث تعطي لها هوية معمارية، أستعمل أهل منطقة قمار في عملية البناء مجموعة من المواد الطبيعة الخامة المستمدة من البيئة الطبيعة ويتم استخراجها بواسطة الحفر أو هدم الحجارة، هذه المواد تتميز بعنصر قليلة القيمة الاقتصادية وقليلة التكلفة في ظل

الظروف التي كانت سائدة في الزمن الماضي وكذا غياب المواد الحديثة، ولها أنها المواد الأكثر ملائمة له في سكنه من خلال تفاعله معها، تحقق له التكيف مع درجة الحرارة المختلفة.

في الفصل السابق عرجنا على المواد للبناء وكيفية استخراجها ومميزاتها الطبيعية، ومن أهم تلك المواد نجد الجبس، حجار اللوس، التراب، الحصى والطين، فالبيئة والعمران لهما علاقة تشارك فالبيئة "تشارك في خلق فضاءات معمارية موائمة للعيش"[1]، يستخدم البعض منها في عملية البناء حيث تُرص الحجارة فوق بعضها ويوضع فيما بينها الجبس والحجارة تتمتع بصلابة ولها قوة تحمل كبيرة للظروف الطبيعية.

الجبس من مواد البناء الموجودة في المساكن التقليدية بقمار في الداخل حيث قام الفرد القماري بعجن الجبس مع الماء وضعه على الجدران الداخلية للغرف نجدها باللون الرمادي أو الأبيض، اللون الرمادي دلالة على الجبس الخشن الذي حصلت له عملية الحرق مع خشب النخيل، لكي تغطى الحجارة ولا تظهر، وبالتالي هنا وجود طبقين طبقة من الحجارة والأخرى من الجبس فهذا يعمل على عزل الصوت وجعله يصدر بدرجة أقل، فنلاحظ القبة بالجبس اللين ومع التراب والحجارة من اللوس، هذا من الداخل ومن الخارج يُخلط الجبس مع الطين والرمل والخشن فيعطي اللون المختلط بين الأبيض والأحمر، تلك الطبقات مع مواد البناء التي تغطي الغرفة عزلة صوتية وتضمن له خصوصية داخل عرفته الخاصة.

المواد المحلية لها مميزات وسمات لها تأثير مباشر على هيكلة المسكن وهندسته الداخلية والخارجية، فالغرف الخاصة للزوجين في المسكن التقليدي للأسرة الممتدة الكبيرة كل زوجين لهما غرفة خاصة مكونه من ثلاث أجزاء كل جزء منهما لدية وظيفة خاصة ضمن الغرفة الكلية هي غرفة ذات فضاء حميمي يحرص الفرد على حمايته وعزله عن باقي الغرف الأخرى، فلذلك تقسم إلى ثلاث أجزاء له البعد الثقافي والوظيفي، وتوفير الخصوصية في مجاله الخاص والحميمي خاصة وأنه يقيم مع زوجته فهذه الغرفة هي بمثابة المسكن لديهم وجزء من المسكن الكبير للعائلة كل وتقسيمها على ثلاث أجزاء لتحقيق العزلة عن باقي الأفراد الآخرين والراحة والأمان في مجاله الحميمي الداخلي، وباستخدامه لمواد تساعده على خصوصيته الداخلية في فضاءه الحميمي الجنسي الداخلي .

[1] حيدر عبد الرزاق كمونة، عبد الواحد اورانس: "توظيف موارد البيئة المحلية في إنشاء الوحدات المكونة للنسيج الحضري ضمن إطار الحفاظ على التراث العمراني (تجربة حسن فتحي نموذجا)"، **مجلة المخطط والتنمية**، المجلد 22، العدد 15، 2010، ص 19.

المقارنة بين المواد المحلية الشعبية ذات التكلفة البسيطة في بناء مسكنه التقليدي والتي كانت متوفرة في بيئته الطبيعية وتخلق له التكيف المناسب وهناك تلاءم بين الفرد ومسكنه فالفرد قام بالتفاعل مع بيئته وخلق منتج ثقافي وهو المسكن التقليدي بما يحمله من رمزية ثقافية وهوية معمارية تميزه في إطاره الثقافي والأيكولوجي، مع المواد المكلفة والتي يستهلكها الفرد ومختلفة عن البيئة الطبيعة لمدينة قمار، حيث أثرت عليه من جوانب عديدة خاصة الصحية أو الاقتصادية مثل التكلفة الكبيرة لها أو أزمة وجودها أو ندرتها في بعض الأحيان، مع هذا لازالت بعض العناصر موجوده في العصر الحالي مع اختلاف جودتها مثل الجبس المستعمل في النقش والزينة وإضافة لمسة جمالية للمسكن بعد أن كان العنصر الأساسي الذي يبنى به المسكن التقليدي .

تمثل الصورة **(05-06)**:: إختلاف النمط الهندسي والعمراني للمسكن في مدينة قمار من النمط التقليدي الذي تبرزه المواد المحلية وهي حجارة من اللوس التي تكون حادة تحقق تماسك للمسكن وتوضع خاصة في الأدماس مع وجود الحديد عنصر تماسك المسكن التقليدي، بالجانب منه جزء من المسكن أُعيد ترميمه بمواد الحديثة كالإسمنت والآجر والإحتفاظ بالجزء التقليدي من المسكن جزء من الهوية المعمارية الحاضرة ومدى تمسك أهل مدينة قمار بكل ما هو حامل للذاكرة والأصالة لمدينتهم.

الصورتين الأخيرتين **(05-07)** المقابلين لمسكن عصري الهندسة والتصميم قام صاحبه بهندسته عن طريق مكتب دراسات معتمد بقمار، استغرق المدة بين الهندسة والتشييد مدة سنة أو أكثر، يبرز شكله المواد المستخدمة في بناءه وشكل النوافذ الصغيرة تلك دالة أن العنصر المعماري هو الحمام، مدخل المسكن باتجاه الشرق والمسكن له مدخلين لتهوية على حسب المبحوث تكلف مسكنه الكثير من المال حتى يكون فقط على شكله هذا ومزال تكلفة تكملته تفوق التكلفة الاولى.

الصورة الأخير**(05-08)**: تمثل الشكل النهائي لأحد المساكن المعاصر بمدينة قمار وهذا القالب المعماري هو الغالب على هندسة المساكن يتكون من طابقين كل طابق يشكل مسكن، بالإضافة الى عناصر مكملة مثل مستودع فتحول من امتلاك الحيوانات كوسيلة للعيش والاستفادة منها الى وجود مستودع والسيارة كجزء مهم وملكية للساكن لسيارته والسياج الحديدي حجب البصر عن الآخرين.

الصورة (05-06): تمثل أحد المساكن التقليدية

تم ترميمه بمواد حديثة

الصورة (05-07): تمثل مسكن معاصر حديث الانشاء

وغير مكتمل

الصورة رقم (05-08): تمثل الشكل المعاصر

لأحد مساكن مدينة قمار

المصدر : من إعداد الطالبة 2024/04/25

مواد البناء المحلية وهندسة المسكن التي تضفي عليها تكاملها وظيفيا في خصوصية مسكنه الداخلي وعزل الصوت الداخلي ومواد البناء الحديثة والهندسة والتصميم الحديث أضفى تفاعل موجود بين الداخل والخارج بشكل عمل على كسر حاجز الخصوصية في المساكن الحديثة، مع محاولة وحرص

الساكن على المحافظة على نوع من العزل مع الفضاء الخارجي، فالتحول المادي للمسكن المتمثل في مواد البناء مع الهندسة أضفى نوع آخر من الخصوصية الصوتية والتي قَلت مع المسكن الحديث، فتواجد داخل المسكن ومع الأصوات الصادرة من الأفراد مع بعضهم البعض في مجال واحد بعد أن كانوا كل منهم في مجال خاص به في غرفته الخاصة به، فتلك الفراغات والمواد تنتج أصوات وصدى داخل المسكن فالأصوات تصدر وتُسمع بين الجيران مثلا والعائلة الواحدة فتغيب الخصوصية الصوتية ويسمع الصوت ويفقد الفرد راحته والأمان الخاص به سواء النمط السكني الحديث الفردي أو الجماعي.

يحرص الفرد في مسكنه في تحقيق نوعية عالية من الخصوصية ضمن ما تحقق له الآليات المتوفرة لديه سواء من مواد بناء وأساليب البناء التي له سيطرة عليها في اطاره سكنه الخاص به، تتغير مواد البناء والتقنيات الخاصة بالبناء مع التغيرات الصناعية والتضخم الصناعي في مجاله البناء والتشييد فالمساكن بمدينة قمار مختلفة البناء والتشييد في شكلها المعاصر الحديث، تختلف في مواد البناء ولونها وجودتها، فالخصوصية السمعية من خلال المتغير مواد البناء ومقارنة بالمواد الشعبية المحلية ومع التغير الحاصل عليها لها تأثير كبير حول هندسة المسكن.

3-2-2 سمك الجدران ونوعية الفتحات: مواد البناء من المتغيرات المتحكمة في درجة الخصوصية السمعية ولكن هذا لا يجعلها الوحيدة التي لها دور المحرك الأساسي في ذلك، فمواد البناء مع سمك الجدران والفتحات ونوعية الأرضيات الداخلية للمسكن والغرف هما المتحكمان في درجة الخصوصية السمعية ومن خلالهما نقيس مدى توفرها وحجمها ضمن هندسة السكن، فسمك الجدران والفتحات لها دور في عزل الصوت وانكساره وتقليل خروجه الى الداخل، فالمساكن التقليدية لها هندستها الخاصة في الجدران ومدى سمكها في جانب دون اخر من الغرفة ومتى تكون ذات سمك كبير أو متوسط أو صغير، كل هذه الاعتبارات يأخذها الفرد في هندسة مجاله السكني التقليدي .

التشارك العضوي بين مواد البناء وأساليب الإنشاء للمسكن وطريقة بناء وتواجد الجدران بصورة وبطريقة دون غيرها يعطينا نمط معين وفق مرجعية محددة تنقل لنا الجانب والبعد الثقافي لساكنه مدينة قمار، ومع المقارنة بين الشكل المعاصر والتقليدي في كيفية البناء وطريقة تموضع الجدران وتوزعها وفق بعد قيمي ديني ثقافي من خلال تتبعه في النمط التقليدي والمعاصر، نجد عدة اختلافات في الشكل يتبعه تغير وظيفي على النمط المعاصر، فالغرفة في المسكن التقليدي مقسمة على ثلاث أجزاء بحيث يُكسر الصوت ولا يُسمع بطريقة كبيرة، على غرار المسكن المعاصر نجد الغرفة عبارة عن مربع فارغة عند الحديث يصدر الصوت وبشكل فيه الصدى الذي يكسر خصوصية الفرد في غرفته الخاصة به، مع مواد

البناء التي تعمل على رفع حدة الصوت، إضافة على أن السكن المعاصر مغلق ومُسقف يزيد من كسر الخصوصية السمعية.

المساكن المعاصرة في مدينة قمار نجد بعض من العناصر المعمارية التي يتحكم فيها الساكن داخل مسكنه في سبيل تحقيق خصوصية السمعية منها استخدام الأبواب والنوافذ من الألمنيوم فهي تعزل الصوت من الداخل وتقلل صدوره من الداخل إلى الخارج، نجد تلك الأبواب مثل في الحمام الداخلي والخارجي، رغم أن الألمنيوم مكلف، وتُكلف الساكن قيمة مالية كبيره لما له مزايا عن الخشب والزجاج كذلك الأبواب الخشب ذات النوعية الجيدة وتكون سميكة غير عادية تضيف جمالية للسكن وتحقيق وظيفة عزل الصوت، وتخفيف منه لعدم إحراج الفرد داخل مجاله الخاص.

في المساكن الجماعية بمدينة قمار تقل تلك الخصوصية السمعية فالأفراد يسكنون في سكنات فوق بعضهم فالذي يسكن فوق الآخر يزعج من هم تحته خاصة إن كان لديه أطفال وأفراد عائلة أكثر من خمس أفراد أو ستة، من خلال مقابلة مع أحد المبحوثين أبدت انزعاجها وعدم شعورها بخصوصيتها في مسكنها مع مقيمة في مسكن فردي:(" **مش قادرة نعيش في الحوش الي يكون فوق بعضه واتفقت مع زوجي أن نشروا أرض ونبنوا حوش آخر بعيد عن الإزعاج ونحس فيه بخصوصيتي مع أفراد الأسرة فصرفنا كل ما نملك تقريبا في تجهيز الحوش الجديد ونتحملوا العيشة الصعبة المهم نكون مرتاحة في داري** ")[1] .

التحول والتنقل من نمط سكن إلى آخر مغاير عليه في الهندسة والمحيط الاجتماعي غير قادرة على التأقلم مع نمط الجماعي لعدم إحساسها بالراحة داخله والهدوء والاستقرار، فالمكان له تأثير على نفسية الساكن ونمطه حياته، وتعود على أسلوب حياتي معين وانتقل إلى شكل سكن مغاير في الهندسة والمجال الحضري والاجتماعي، فالسكن يعمل على فرض أسلوب يومي معين وفق تلك الهندسة أو التصميم.

المقارنة في قيمة الخصوصية البصرية والسمعية بين الشكل والهندسة المعمارية للمسكن التقليدي والمعاصر في مدينة قمار، نجدهما بشكل غير محدود في التقليدي وبصورة كبيرة وللساكن دور في بناءها وهو الذي أسهم في بناء مسكنه بتلك التفصيلات المعمارية التي هي دلالة ورمزية لمعطيات ثقافية اجتماعية، نجدها في كل عنصر مادي معماري داخل المسكن له الوظيفة في تحقيق الخصوصية على

[1] مقابلة مع مبحوثة (إ. د) 2025/02/15 – 5:30م –5:50م

أشكالها المختلفة، وبارزة وحاضرة كمفهوم في ذاكرة الأفراد حيث ترجمتها الهندسة الشعبية للمسكن التقليدي من خلال عملية التصميم المجالي الداخلي والخارجي أو من مواد بناء وأساليب في العمارة السكنية التي تميز مجتمع قمار في هندسته المعمارية للمساكن أو هندسته الثقافية والاجتماعية .

رابعا: مستويات الخصوصية في هندسة المسكن بمجتمع مدينة قمار

تختلف مستويات الخصوصية على مستوى المجال الذي تشكله فعند الحديث عن المدينة الصحراوية نجد لها خصوصية في الهندسة عمرانها على اختلاف عمرانها سواء السكنية أو الدينية أو الاقتصادية والتي تكون لها كميزة معمارية في التخطيط والهندسة وشكل المدينة ككل، وتنقسم مستويات الخصوصية في المدينة الاسلامية على اعتبار ان الدين له الدور الأساسي.

من المحددات الثقافية المهمة في عملية التخطيط وإبراز العنصر الديني والثقافة الاسلامية التي لها تخطيط مغاير عن مدن أخرى، ومدينة قمار تعتبر من أهم تلك المدن التي نجد فيها المخطط الإسلامي سواء من ناحية توزع الساحات أو شكل الأحياء من الشكل الواسع الى الضيق أو العكس بعض التفاصيل العمرانية مثل القبة كرمزية لها تعطي لها الخصوصية الإسلامية والصحراوية وعليه تنقسم الخصوصية في هندسة عمران مدينة قمار إلى ثلاث مستويات[1]:

4-1 المستوى العام: المتعلق بتصميم المدينة ككل

هذا المستوى من الخصوصية متعلق بالتصميم العام للمدينة ككل، ومدينة قمار من أبرز المدن المكونة وجزء من الهوية العمرانية لولاية الوادي ككل المعروفة بهندستها النابعة من الثقافة الإسلامية سواء في هيكلة الاحياء أو الأزقة القديمة، والتصميم العام وتوزع الشوارع ومدينة قمار في الهندسة القديمة لها تتكون من أربعة أبواب رئيسية حيث كل باب له البعد التاريخي والثقافي له، ولازالت شاهدة على وجودها لحد الآن تلك الأبواب رغم التحول الحاصل على مستوى الإداري وتسميات الأحياء لازال تلك الذاكرة محتفظة بتسميات القديمة لأبواب المدينة القديمة لقمار فالمستوى التصميمي العام لمدينة قمار التي كانت في وضع اجتماعي واقتصادي يعكس ذلك التصميم الحضري لها في وقت ما مثل تمركز الاسواق في وسط المدينة ووجود العمارة الدينية من مساجد، فالسكان كانوا قديما إن سكنوا وتوطنوا مكانا ما وكونوا جماعة بنوا لهم مسجد، فمدينة قمار لها العديد من المساجد التاريخية التي لها البعد الثقافي ودور أساسي في التاريخ الثقافي للمدينة .

[1] Ariani Mohammad Dini and Others, Ibid, P 810.

على المستوى العام لهيكلة لمدينة قمار يغلب عليها الطابع الديني المستمد من فقه لعمران الإسلامي وكذا هيكلة تتجاوب مع الجانب الإيكولوجي للمناخ الصحراوي ولازال هناك بعض الشوارع المسقوفة والأحياء الضيقة ومواد البناء وأساليبها المحلية الدالة على البيئة الثقافية لمدينة قمار، كل هذه المعطيات الحضرية التي تؤكد على الخصوصية على المستوى الهندسة المجالية للمدينة ككل وكل مكوناتها الحضرية، في الوقت الحالي تعرف المدينة توسع سريع حضري خاصة على الأطراف لاعتبارات ديمغرافية وزيادة السكانية وكذا زيادة في وتيرة البناء وإنشاء المساكن على الأطراف والأراضي الفلاحية.

فمن خلال الدراسة التي قام بها **الباحث حسونة عبد العزيز** حول مدينة قمار دراسة أثرية عمرانية تطرق فيها إلى جانب التخطيطي لمدينة قمار وأقسامها ومعالمها أوضح فيها أن الشكل التخطيطي لمدينة قمار قد تطور وكان على "شكل مستطيل باتجاه طولي من الشرق إلى الغرب وأنه ذو شكل منتظم"[1]، وكانت على مخطط المغلق بها منفذ واحد، تميزت هندسة المنازل بها على شكل متجاور من بعضه مفتوحة على الأزقة الداخلية التي تتفرع عن شارعين أساسين للمدينة القديمة والذين يؤديان إلى مركز المدينة، وتكون جدران المنازل على شكل سور دفاعي، فالغريب عن المدينة سوف يعرفه أهلها، وكانت عدة أسر تسكن البلدة القديمة على اختلاف تسميتها التاريخية وأصلها الجغرافي القادمين به، ومع مرور الوقت حدث نوع من القرابة من خلال الزواج والمصاهرة فيما بينهما، وبالتالي هناك لحمة بينهم وتعاون على وظيفة حماية البلدة من الخارجين والتهديد الداخلي.

من الناحية التاريخية العديد من المصادر التاريخية من أبرزها المرجع التالي لمدينة قمار الشيخ محمد الطاهر التليلي أن مدينة قمار" تأسست على انقاض مدينة قديمة قد تلاشت واندثرت من أبرزها جلهمة والقدائم الدبدابة والزراديب" [2] ويعود شكل إنشائها إلى ربوة وهذا النمط أعطاها نوع من الدافعية الطبيعية، فالبلدة القديمة تتميز بنمط إسلامي معبر عن الخصوصية الإسلامية والهوية الصحراوية فمن خلال التاريخ العمراني لمدينة قمار نجد أن التصميم العام لها يخضع لاعتبارات تاريخية فيرجع وجودها إلى تراكم عمراني حضري لمجموعة من البلدات القديمة وكذا شكلها التخطيطي، أيضا أن فكرة تأسيسها كمدينة وتطورها العمراني يعود إلى بعد اسطوري في ذلك من روايات وتعدد في الروايات حول البداية الأولية في رسم حدود المدينة ككل، في الوقت الحالي نجد أن شكل البلدة القديمة في وسط وداخل المدينة

[1] حسونة عبد العزيز، مرجع سابق، ص 53.

[2] التجاني العقون، مرجع سابق، ص 15 .

توضح الملامح للمدينة القديمة وكيفية تخطيطها وهندستها العامة سواء الشكل العام لها أو على مستوى الشوارع الرئيسية أو الفرعية .

كما ذكرنا سابقا أن مدينة قمار تتكون من اربعة أبواب رئيسة وهي الأبواب الكبيرة في المدينة في اتجاهات مختلفة كل جهة لها الباب المميز لها، نجد أن قصة الأبواب هذه قد تم تدوينها في جانب ثقافي آخر فمن خلال الاطلاع الميداني في الجانب التخطيطي والهندسي والبحث في التاريخ العمراني لمدينة قمار الذي يساعدنا في فهم الماضي المعماري واتبع التحولات التي طرأت على الهندسة العامة للمدينة، وجدنا أن الأبواب الأربعة له رمز خاص في الثقافة الشعبية المادية لأهل قمار وهذا رمز اشار إليه أهل الثقافة للمدينة لرسم حدودها والاتجاهات الأربعة، وجدنا دلالته في زربية قد يعود تاريخ نسيجها إلى 1913 م وقد قام رجال من أهل المدينة بنسجها من ذلك الوقت وهي موجودة في وقت الحالي. **الصورة رقم (05-09):** يمثل زربية موجودة حاليا في متحف مدينة قمار نُسجت عام 1913م وأنتقل الرمز من الزربية وجُسد في زخرفة المسكن المعاصر كعلامة ثقافية على مدينة قمار تدل في معناها على الأبواب الأربعة التي تأسست عليها بلدة قمار القديمة، أو الحراس الأربعة لأسطورة الحجر الرصد يبرز تراثها وثقافتها المعمارية، ونجد هذه الزخرفة قد نُقشت على مستوى المساكن المعاصرة في مدينة قمار.

الصورة رقم (05-09): الزربية

المصدر: من اعداد الطالبة : 16/03/2024

في ميدان الدراسة لاحظنا أن الرمز يستعمل في كثير من الجوانب الثقافية العمرانية كدلالة لها المعنى الثقافي والرمزي، وهذا الرمز نجده في هندسة بعض المساكن المعاصرة منقوش على جدران المنازل الحديثة في المدينة، فمن خلال بعض الأخبارين في الميدان فهمنا أن الرمز هو يرمز إلى الأبواب الاربعة للمدينة وفي عملية النسيج التي يقوم بها الرجال دون النساء خاصة هذه الزربية العتيقة والتي يُحتفظ بها في المتحف الثقافي لمدينة قمار، فالرجال لديهم نوع من الزرابي دون النساء في العمل عليها فالاحتفاظ بالرمز الذي تعود إلى رمزية الأبواب الأربعة المكونة للمدينة لا يزال يُحافظ عليه من قبل أهل مدينة قمار كقيمة جمالية في عمارة المسكن المعاصر.

4-2 المستوى الشبه العام: تصميم الأحياء السكنية والشوارع

تراعي في تصميم الأحياء والشوارع في المدينة الصحراوية محددات رئيسة من أبرزها:

4-2-1 المحددات الأيكولوجية

مدينة قمار من المدن الصحراوية التي تتميز بمناخ شديد الحرارة في فصل الصيف، فالعمارة التقليدية حاولت دائما على اختلاف المناخ ليست فقط لوظيفة مناخية بل تتعادها "لخدمة الوظائف الجمالية والحسية الاجتماعية"[1]، فنجد أن الهندسة الخاصة بالأزقة والشوارع لها طابع خاص يعمل على تخفيف درجة الحرارة، فنجد الشوارع مدينة قمار مسقوفة ومن أبرز الشوارع في البلدة وهو ما يسمى زقاق –البراطيل– بالقباب التي تكسر من حرارة العالية وهو بمثابة جزء عمراني فاصل بين الجهة التي تعود ملكيته إلى الزاوية التيجانية وباقي المناطق الأخرى المجاورة .

هندسة الأزقة والشوارع مرتفعة الجدران التي توفر الظل للعابرين في الأحياء، وهناك انكسارات في جوانب الأحياء خاصة القريبة من الأحياء السكنية لكسر التيار الهوائي خاصة رياح الحارة – الشهيلي– وتخفيف من دخول الأتربة الى السكنات القريبة من الشوارع العامة، تتميز الشوارع بمدينة قمار بالهندسة الضيقة ويتراوح "عرضها ما بين 2 إلى 2.5 متر"[2]، وتكون واسعة ثم تضيق وتتمز بالحدة ولنهاية مغلقة، توفر هذه الهندسة للشوارع نوع من الخصوصية تبرز القيم التي تميز مدينة قمار، تختلف مساحات الشوارع من شارع إلى آخر والأحياء تتباين في الطول .

4-2-2 المحددات السوسيوثقافية:

من أبرز ما يراعي الفرد الصحراوي في هندسة مجاله العام أو الخاص العوامل الثقافية والإجتماعية التي تُعد بمثابة القواعد العامة التي تحكم المجتمع ككل من أهم تلك المحددات، **نجد الدين والقيم والأعراف الاجتماعية والعادات والتقاليد** التي له السلطة على الأفراد والموجهة لسلوكه العام وأسلوب حياة اليومية في مجاله المديني، وهذا ما تترجمه هندسة المجال الشبه العام الخاص بالأحياء في الهندسة القديمة نجدها أكثر وضوح فنجد الشوارع بمدينة قمار الضيقة ولها انكسارات وحادة بزاوية تراعي قيم الحرمة عند العبور النساء.

تكون الشوارع واسعة لعدم الاختلاط بين الجنسين والتضيق على النسوة، تلك الانكسارات تكون أمام المساكن بحيث تكون النساء لا تتكشف على المسكن المجاور لها، وفي كل طريق منكسر وحاد من المدينة نجد هناك رحبة التي بها السوق اليومية أو مجالس للرجال وممارسة الألعاب الشعبية للأطفال

[1] حسني فتحي، مرجع سابق، ص 19.

[2] حسونة عبد العزيز، مرجع سابق، ص 55.

فهي الجزء المتسع وفي التصميم العامة للمدينة نجد الرحبة جزء مهم من التخطيط العام للمدينة من أهم رحبات في قمار نجد، رحبة السوق، رحبة بنت الشريعة، رحبة البويبة، رحبة اليهود....، الهندسة العمرانية للشوارع في مدينة قمار تراعي في تشكلها الخصوصية البصرية من خلال تلك الانكسارات للشارع والتعرجات خاصة في الاحياء القديمة، فالخصوصية بشكل عام نجدها في هندسة عمران المدينة التقليدية لمدينة قمار خاصة التقليدية.

4-3 الخصوصية على المستوى الخاص: مساحة المسكن

تتسم الخصوصية في المجال الخاص للساكن بدرجات متفاوتة من الخصوصية وهذا التفاوت نتيجة للتراتبية المجالية للمسكن، وتعدد أنواع ومستويات الخصوصية في المجال السكني وهذا على حسب مواقع وامكنة وتوزيع الغرف، واختلف الهندسة المجالية للمجال السكني من التقليدي الذي يكون توزع الغرف بشكل مختلف عن المعاصر، فنجد المسكن التقليدي يقوم على الفناء كعنصر أساسي ومهم في تشكل الفراغات فلا يمكن أن تكون الغرف مقابلة بعضها البعض.

شكل المسكن ككل يكون مربع أو مستطيل، كل الغرف متوجهة على اتجاه القبلة أو الجهة الشرقية لما تحمله من قدسية وكذا لاعتبارات مناخية كدخول أشعة الشمس إلى الغرف لتهوية فالمسكن له مستويين من الخصوصية خاضع لقيم معينة وتتفاوت درجة كل مستوى على حسب قدسية المجال ونفس الدرجة نجدها تتفاوت كذلك من النمط التقليدي الى المعاصر نظرا لتحولات التي مست الجانب الاجتماعي والثقافي ترجمت ورمزت إليها هندسة عمران المسكن على شكله التقليدي والمعاصر وهذين المستويين هما:

4-3-1 مستوى عالي الخصوصية

يتجلى هذا المستوى من الخصوصية في المجال الحميمي للفرد والمتمثلة في غرف النوم للزوجين وللأطفال والحمام، وما يجعلها لها مستوى عالي هي التصور الثقافي للفرد وما يحمله من تصورات سواء من قيم اجتماعية وثقافية تجعله يجعل هذا المجال أكثر عزلة عن باقي الأمكنة في المسكن الخاص به، فمثلا في المسكن التقليدي في مدينة قمار نجد لغرفة الزوجين لها حرمة وتلك الحرمة جعلت من تلك الغرفة مقسمة الى ثلاث اجزاء مكونة لغرفة واحدة الحجرة الخاصة بالنوم والعلاقة الحميمية لا يدخلها شخص غريب من المسكن ولا تكون فحرمتها النابعة من كونها مجال حميمي جنسي فلها مكان معين وتشغل فراغ في جهة دون غيرها .

في الهندسة المعاصرة للمسكن المعاصر نجدها أن تلك في الغرف البعيدة عن المدخل وآخر غرفة في المسكن وتكون دائما مغلقة وتحرص المرأة على عدم دخول كل الأفراد إليها خاصة إن كانت تسكن مع زوجها ليس مع أهل الزوج، من المعتقدات في مجتمع قمار أن غرفة الزوجين في مراسم الزفاف عند تجهيزها يقوم بالاهتمام بنظافتها وترتيبها فقط شخص واحد من أهل الزوج والبيت لا يدخله أي أحد قبل سكن الزوجين أثناء مراسيم الزواج خوف من السحر أو الحسد وغيره فغرف النوم يحرص الساكن على عزلتها وحجبها عن البصر عند دخول الأفراد الى مسكنه.

المستوى العالي من الخصوصية يجسد مجموع القيم الثقافية السائدة بمجتمع قمار من خلال التقسيم المجالي لعناصر مسكنه الداخلي خاصة في الهندسة التقليدية حيث يشرف عليها ويقوم بعملية بناءها وهندستها الفرد الساكن لمسكنه الخاص به فتموضع تلك الغرف في مكان دون آخر إنما هي ترجمة لتلك القيم التي تعد مرجعية في هندسة عمرانه ودلالة على سيادة الأعراف والقيم الثقافية على النسق المجتمعي ككل، في الهندسة المعاصرة هناك اختلاف، فالذي يقوم بالهندسة ووضع التصميم غير الذي يبني غير الذي يسكن أي هناك فاعلين كثر في عملية بناء وهندسة السكن لكن كلهم منتمون إلى نفس الخلفية الثقافية، فنجد في هذا النوع من المستوى من الخصوصية ثبات الفكر الهندسي للمجال الداخلي السكني.

في الشريعة الإسلامية هناك بعض الضوابط التي وجب على الفرد التحلي بها في مجاله السكني خاصة تلك المتعلقة بالآداب العامة مثل عند بلغ الاولاد وجب وعليهم الاستئذان على والديهم خاصة في أوقات معينة، مثل قبل صلاة الفجر ووقت الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء في هذه الأوقات وكذا العكس الوالدين وجب عليهما الاستئذان عند دخول غرف بناته أو اولاده عند دخولهم لغرفتهم، وإذا بلغ الذكور أو الإناث وجب الفصل بينهم في الغرف هذه السلوكيات مستمدة يتبعها الفرد في مجاله الحميمي الخاص دون المستوى العالي من الخصوصية حيث يحرض الفرد إلى الشعور بالراحة ونوع من الاستقلالية داخل مجاله الخاص، فالدين له السلطة الاولية التي تحكم وتيسر تصرفات الأفراد داخل مسكنهم واحترام خصوصيتهم.

القيم الدينية لها أهمية كبيرة في تحديد السلوكيات الانسانية داخل المسكن، وهذه القيم يتعلمها الفرد من خلال تشربها عن طريق التنشئة الاجتماعية، فالدين من بين المحددات الثقافية التي تحدد شكل السكن وأيضا أسلوب حياة الأفراد من داخله، فالعديد من الدراسات في مجال العمارة وعلاقتها بالثقافة ترى أن الدين له تأثير على الهندسة المعمارية سواء للمدينة ككل أو العمارة السكنية سواء التقليدية أو المعاصرة فالدين من الثوابت الثقافية التي تضبط ومحدد للقواعد العامة للمجتمع ككل، في مقال بعنوان

cultural context Architecture للمعماري **Seurat Koirala** شرح فيه العلاقة المترابطة بين العمارة والثقافة، ومن أهم العناصر الثقافية التي تتحكم في هندسة المسكن القيم الدينية التي شاركت فيها الثقافات والشعوب المختلفة من أبرزها المصرية والصينية والإسلامية من خلال الخصوصية والممارسات الثقافية مثل طقوس البناء، وأرجع تفسير لإشكالية مهمة هل التغير الحاصل في الثقافة الذي يأثر على الهندسة المعمارية أو العكس، "وفسر ذلك ان لو كانت الثقافة في وضع مستقر لاستقرت العمارة معها"[1].

4-3-2 مستوى منخفض من الخصوصية

يمثل هذا المستوى من الخصوصية باقي العناصر الأخرى في المسكن، المطبخ، غرفة الاستقبال، باقي الغرف الأخرى، بعض العناصر هذه تختلف من النمط التقليدي إلى المعاصر في مدينة قمار يرجع هذا إلى المفارقة بين الهندسة في كل نمط، فالتقليدي لا وجود لغرفة الاستقبال – الصالة – بل كان السباط هو المكان لاستقبال النسوة خاصة سواء للزيارات أو ممارسة الأنشطة اليومية كغزل الصوف عمل النسيج وطحن الحبوب، يعود وجود الصالة إلى الهندسة المعاصرة ومن مخلفات الهندسة الكولونيالية في الجزائر ككل.

كذا الصالة فضاء له دور في وحرمته في مكان توجده ضمن التصميم العامة للمسكن، فشكل الفراغ الأول من المسكن عند المدخل ويكون بها مدخلين الأول في الداخل والثاني في الخارج، فكان الرجال في المسكن التقليدي لا يدخلون للمسكن عندما يأتون ضيوف أو يُستقبل في غرفة كبير العائلة – الجد– مع التغير الحاصل تغير معها النظر إلى الحرمة بين الرجل والمرأة، فوجود غرفة الضيوف قرب المدخل لاعتبارات خاصة منها أن الضيف يدخل مباشرة إليها دون التكشف وإعطاء خصوصية أكبر لمن هم بالداخل.

نلاحظ أن المستويات للخصوصية في هندسة المسكن بشكل تراتبي في التقسيم والتصميم الداخلي للسكن من ناحية توزع الفراغات وتموضع غرفة في مكان دون غيره، فالأمكنة في المسكن لها مرجعتها وتصورتها الثقافية للساكن وهذا التقسيم يقوم على قيم الخصوصية على اختلاف أنماطها ومستوياتها في هندسة المسكن اختلفت بين النمط التقليدي والمعاصر في الشكل وطريقة البناء لكن الاختلافات تخضع تلك التحولات التي يعرفها مجتمع قمار، وجودها كقيمة مرجعية في هندسة عمران المسكن التقليدي دلالة

[1] Seurat Koirala, **cultural context Architecture**, Bachelor's Degree in Architecture under IOE Thapathali Campus, Tribhuvan University, Nepal, March 2016, P 03.

واضحة على نوع من الثبات في جوهرها كقيمة محددة في الهندسة الداخلية للمجال السكني بمدينة قمار التقليدية والمعاصرة .

خامسا: الخصوصية بين عمارة المسكن التقليدي والمعاصر بمجتمع مدينة قمار

التغير الحاصل لقيمة الخصوصية كقيمة ثقافية متحركة في المجال السكني من الداخل إلى الخارج، من شكل التقليدي إلى معاصر وفق متطلبات عصرنة الهندسة والتصميم، فهي موجوده وحاضرة لكن بشكل مغاير عن ما ألفناه في التقليدي لأن التغيرات الحاصلة في الجانب العمراني لها تأثيرات على الهندسة العمرانية للمدينة ككل وليس السكن فقط، فالمواد البناء مثلا كانت وفق تكيف بيئي محلي وكذا مواد لها بساطة في الشكل ولها قيمة اقتصادية غير مكلفة على الساكن، الآن تغير مواد البناء مكلفة ومتغيره في القيمة الاقتصادية على حسب الموسم أو الازمات المالية.

الخصوصية عنصر متغير في الشكل وقيمة ثابتة في تصميم السكن المعاصر بمدينة قمار فنجد الساكن للمسكن المعاصر يحافظ على تلك الخصوصية البصرية الداخلية لمسكنه من خلال حماية النوافذ الخارج بسياج أو بستائر أو وضع نوافذ تشبع المشربيات بحيث يخفف الملاحظات البصرية الداخلية لمكسنه الداخلي وهذا ما لاحظناه في الميدان أن هذا الشكل من النوافذ بدأ في الانتشار لتحقيقها خصوصية بصرية ذات مستوى عالي خاصة للنساء في داخل المسكن.

وكذا من ناحية الجمالية التي تضيفها لهندسة المسكن من الخارج، كمستوى بصري وسمعي للخصوصية في هندسة عمران المسكن التقليدي والمعاصر بمدينة قمار على اعتبارها من القيم المرجعية التي يحصر الساكن المعاصر على وجودها وتصميمها في مسكنه، أو من خلال التعديلات التي نراها من خارج لسكن بغرض ستر المسكن وعزله عن الفضاء العام والاحتفاظ به كمجال له قيمتي الخصوصية وعزله عن الملاحظات البصرية الخارجية خاصة إن كان المسكن على مقربة من الشارع.

الاهتمام بالتحولات القيمية في مجال السكني تبرز لنا مدى المحافظة أو التغير الحاصل في المجتمع ككل، فالسكن في قمار وتغيره من نمط إلى نمط آخر دلالة على التغير في الهندسة العمرانية للمدينة ككل من نواحي كثيرة، والاحتفاظ بالجانب القيمي في مجال عصري حديث نفهم من خلاله التمسك والحفاظ على ثوابت الثقافية لمجتمع قمار من خلال تجذر تلك القيم الحاملة لثقافة مجتمع تبرز هويته الثقافية وخصوصية مجتمع.

فتلك التعديلات الخارجية التي كانت في نمط التقليدي في داخل تُعد بمثابة أعراف اجتماعية في التصور الثقافي للفرد المنتمي لمجتمع قمار، فالمسكن عبارة عن حيز رمزي يُمَكن الباحث الانثروبولوجي

من فك تلك الشيفرات الثقافية لنصل إلى فهم معمق لثقافة الأسرة الساكنة، والعلاقة بينها وبين السكن الذي تقيم به، والتحولات التي تُأثر عليه وتعطيه شكل وهندسة معاصرة تقضي نوع ما على هويته الثقافية، فيصبح المسكن الصحراوي مثله مثل السكن بالشمال أو السكن الذي نجده في ثقافات أخرى مغايره لنا في البيئة الطبيعية والثقافية.

الجزء الذي تهتم به الانثروبولوجيا ذلك التحول في الهندسة من خلال ترجمتها وأنها انعكاس لتحول في بنية المجتمع ككل وفهم الاختلافات بين النمطين التقليدي والمعاصر، والجانب القيمي المهم الذي يُشكل البناء الاجتماعي ويتجسد في الشق المادي من أبرزه العمارة والسكن، فالخصوصية في مجتمع قمار من القيم التي أسسها الفرد في مسكنه المحلي الشعبي من خلال طرح تصوراته الثقافية في مجاله الخاص معبرا عن خصوصيته كقيمة في هندسته لمسكنه، فنجد المسكن التقليدي بمدينة قمار له الخصوصية الثقافية عن المجتمعات الاخرى من خلال تلك الهندسة والتصميم المحلي، والانتقال من ذلك النمط إلى نمط مغاير في الشكل ومواد وأساليب البناء والمعمار ذات الطابع المعاصر .

السكن في مجتمع ومدينة قمار يشهد تحولات لقيمة الخصوصية على تعدد أشكالها واختلاف مستوياتها في الجانب الشكل فنجد اختلاف بين السكن التقليدي وعناصر خصوصيته وكذلك تشابه بينه وبين النمط الحديث في بعض العناصر التي تحقق الخصوصية البصرية منها النوافذ التي انتقلت من المجال الداخلي إلى الخارج مع وجود السياج من الحديد والستائر من القماش لبقاء على حرمة أهل الدار وحضورها على مستوى المضمون والتصور الثقافي وأنها من بين القيم التي يراعيها الساكن المعاصر في مسكنه دلالة على ثباتها على المستوى التصور الثقافي وأنها ليست لها بعد عمراني بل ثقافي قيمي بالدرجة الأولى ومن الثوابت المجالية في الفكر الهندسي التقليدي والمعاصر سواء على مستوى العام للمدينة ككل أو الخاص في العمارة السكنية.

خلاصة الفصل

من خلال هذا الفصل الذي تطرقنا فيه الى قيمة الخصوصية كقيمة مرجعية في هندسة عمران السكن التقليدي والمعاصر من خلال عمليتي الوصف والمقارنة لكلا النمطين من السكن المكونان لهندسة المدينة قمار كمدينة الصحراوية التي لها نمطها المميز والتي تشهد تحولات حضرية على مستوى هيكلها المديني ككل، فالخصوصية نجدها مختلفة من نمط إلى آخر منتقلة في الزمن من التقليدي إلى المعاصر بشكل مختلف في الملامح المعمارية نتيجة لتغيرات حاصلة على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، لكن نجدها كمفهوم وكقيمة معمارية مسجدة في قالب معاصرة وفق ما تقتضيه الحياة الحديثة، فالخصوصية في مسكن مدينة قمار حاضره في التصور الثقافي مختلفة الشكل أي متغيره وثابتة في نفس الوقت، فالخصوصية واقعة بين ثنائيتين (التقليدي / المعاصرة) كجزء من الحفاظ على الثوابت القيمية المستمدة من النسق الديني كمحدد للسلوك الإنساني، والمعاصرة تعبير عن الوقت الحالي ومواكبة المجتمع لمتغيرات الحديثة في مجال العمارة والبناء. ومن خلال هذا الفصل توصلنا إلى جملة من النتائج المتعلقة بالخصوصية كقيمة ثقافية في هندسة عمران المسكن بمجتمع مدينة قمار من أبرزها:

-الخصوصية كقيمة هي بالدرجة الأولى تصور ثقافي متجذرة في التصور الثقافي للفرد بمجتمع مدينة قمار وتعكسها الهندسة العمرانية للمسكن بمجتمع مدينة قمار.

- الترجمة الهندسية لقيمة الخصوصية في الثقافة الشعبية من خلال عناصر مختلفة اختلفت بين الهندسة المحلية والمعاصرة، حافظت على دورها واختلفت في شكلها ومواد البناء المستخدمة في إنشاءها وهذا الاحتفاظ دلالة على ثبات قيمة الخصوصية والتغير فقط في الشكل وفق للتغير الحديث في مجال العمارة للمساكن بمجتمع مدينة قمار.

-للدين الإسلامي دور مهم في تجسيد الخصوصية كقيمة مرجعية في هندسة عمران المدينة التقليدية والمعاصرة، والدين من المقومات الاجتماعية والثقافية التي لها دور أساسي في توجيه سلوك الأفراد وجميع مناحي حياته.

- الخصوصية قيمة يجسدها الساكن في مجاله السكني الداخلي نظرا لوجود المرأة داخل المسكن وأن اختلفت الطريقة من الشكل المعاصر والتقليدي، لكن دورها مهم في تجسيد الخصوصية في هندسة عمران المسكن بمدينة قمار.

-حماية المسكن من الداخل من الغرباء والآخر الذي يعبر الشارع وحجب الرؤية لديه وكسرها من خلال جملة من العناصر العمرانية التي تحمل دلالات ومدلولات ثقافية في معناها الكامن والتي تحقق الخصوصية له وتحقق له الراحة والأمان داخل مسكنه.

-في النمط المعاصر للسكن خاصة ذات النمط الجماعي الجاهز وأن لم يكن للساكن دور في بناءها وتصميمه لكن هناك بعض التعديلات تحدث على مستواه للسكن تدل على ذلك التصور الثقافي للساكن حول الفضاء العام والخاص له، فتغطية البالكون والنوافذ المطلة كلها مؤشرات تدل على قيم الخصوصية في المجال السكني المعاصر.

-التغير في مواد البناء وحداثتها أثرت على مستوى الخصوصية السمعية، فالشكل التقليدي لمواد البناء وسمك الجدران لها وظيفة ستر الصوت وحفظه وحماية خصوصية الساكن خاصة في المجال الداخلي.

-الهندسة العامة للمسكن وتموضع الغرف بوضع خاص دون غيره له دور في حماية خصوصية الفرد فالتدرج من العام الى الخاص هو انعكاس لثقافة الفرد من اجل حماية حرمة مجال السكني الداخلي.

- الهندسة العمرانية للمدينة الصحراوية لها الخصوصية الهندسية على مستوى احياءها وشوارعها خاصة التقليدية التي تحفظ خصوصية الفرد أثناء عبوره الشارع، وكذا المساكن لا ترتفع على بعضها كدلالة هندسية ثقافية من اجل الحفاظ على حرمة الجار واحترامه وهذه القيمة مستمدة من الشريعة الإسلامية.

-تختلف مستويات الخصوصية من الشكل العام إلى الخاص سواء في الهندسة العامة للمدينة أو العمارة للسكن بمدينة قمار، وهذا التدرج في المجال من العام إلى الخاص الى الأكثر الخصوصية وهو ترجمة ثقافية لمجتمع مدينة قمار وتصوره لفضائه السكني.

-المسكن التقليدي لع العناصر العمرانية التي ترجمت ودلت على الخصوصية البصرية، بداية من مدخل المسكن إلى غاية وصول الفناء الداخلي، وكذا على المستوى الخاص للغرف وهندستها بصورة تحفظ ولها وظيفة حفز حرمة أهل المسكن.

-الخصوصية البصرية في المسكن المعاصر لها عناصرها العمرانية المتماشية مع ثقافة المعاصرة لمجتمع مدينة قمار، مع الحفاظ على جوهر القيمة من خلال بقاءها في تصور الفرد ومجتمع مدينة قمار وعبورها من القيم التقليدية في المسكن التقليدي إلى الثقافة المعاصر في هندسة عمران المسكن.

- الحفاظ على قيمة الخصوصية ضمن المجال السكني سواء في الزمن التقليدي أو المعاصر دلالة على أن مجتمع قمار حافظ وتمسك بقيمية الخصوصية كقيمة مرجعية وهذا لوجودها في القيم التقليدية للمسكن التقليدي ووجودها في قيم المسكن المعاصر بمجتمع قمار.

-الخصوصية كقيمة مرجعية في الهندسة العمرانية للمسكن التقليدي والحفاظ عليها ضمن النمط المعاصر السكني على النمطين الفردي أو الجماعي والذي يقون الساكن بتعديلات تمس الشكل العام له لكن هذا التعديل يتوافق مع القيم التي تتماشى مع الأعراف الاجتماعية لمجتمع مدينة قمار ودلالة على تمسك بقيمه وعاداته الاجتماعية التي تعبر عنه.

- المسكن الصحراوي حيز ثقافي بامتياز ينقل تلك التعابير والاتجاهات والرؤى والتصور للفرد من خلال تموضع نلك العناصر العمرانية وطريقة بناءه وتفاصليه الداخلية، فعند قراءاته قراءة انثروبولوجية نفهم تلك القيم الثقافية والاجتماعية التي تبرز النسق الثقافي لمجتمع دور غيره.

-التحولات الحاصلة على مستوى المسكن بمجتمع مدينة قمار، مس التحول على المستوى المادي للسكن وثبات على مستوى الشق للامادي من قيم وعادات وتصورات ثقافية التي ترجمتها العمارة المعاصرة.

الفصل السادس: التنظيم الوظيفي كقيمة مرجعية في هندسة عمران المسكن بمدينة قمار .

تمهيد

أولا: ثقافة التنظيم الوظيفي بمجتمع مدينة قمار.

ثانيا: التنظيم الداخلي للحيز السكني بمدينة قمار.

ثالثا: المساحة والمسافة في ثقافة مجتمع قمار.

رابعا: الشكل العمراني للمسكن بمدينة قمار: الوظيفة والجمالية.

خامسا: التنظيم الوظيفي للمسكن بمدينة قمار بين القيم التقليدية والمستحدثة.

خلاصة الفصل

تمهيد:

يعدّ التنظيم المجالي من أبرز القيم التي لها دورا مهما في هندسة عمران المدينة التقليدية والمعاصرة بمدينة قمار، وهذا نلاحظه من خلال تنظيم الفضاءات على اختلاف وظائفها الاقتصادية والاجتماعية، وعلى هندسة المسكن بمجتمع قمار نلاحظها جليا من خلال التوزع الداخلي للغرف ومختلف العناصر العمرانية له، فنجد له العديد المؤشرات في هندسة المسكن من خلال المسافات بين الغرف ومساحتها التي تختلف على حسب الشكل والوظيفة التي تلبيها، ويختلف أيضا في الثقافة التقليدية لمجتمع قمار وتصورات الفرد لتوزع مجاله الخاص التي تتحكم فيها جملة من العوامل البيئية منها السوسيوثقافية، وفي الثقافة المعاصرة نجد القيمة لها شكل مغاير وظهورها كقيمة مستحدثة في عصرنة المجال السكني الذي يراعي عدة عوامل ومحددات تتحكم في هندسته، ومن خلال التطرق الى ثقافتين التقليدية والمعاصرة في هندسة المسكن بمجتمع مدينة قمار نفهم التغير الحاصل في مجتمع قمار ومعرفة الجزء الثابت والمتغير للنسق القيمي.

أولا: ثقافة التنظيم الوظيفي بمجتمع مدينة قمار:

تتميز المجتمعات المحلية بتنظيم وظيفي يُعد قيمة مرجعية ترتكز عليها في تقسيم مجالها الداخلي والخارجي والمسافات بين مختلف العناصر المعمارية المكونة للمسكن التقليدي وتظهر بقوة في النمط التقليدي المحلي وتختلف اشكالها في النمط الحديث المعاصر.

1-1 التنظيم الوظيفي في الثقافة المحلية:

تُبرز العمارة الشعبية طبيعة العرف الثقافي السائد وتدل عليه من خلال تموضع الفراغات وتوزع المساحات للفضاءات المختلفة داخل العمارة السكنية للمجال السكني التقليدي، فمن خلال الملاحظة للمساحة المبنية للمسكن من بداية شكل الباب والمدخل المنكسر إلى غاية الوصول إلى الفناء الداخلي، فالتنظيم الداخلي ليس عملية هندسية بحتة بل هي ترجمة "لجملة النماذج الثقافية"[1]، من القيم والعادات والأعراف الاجتماعية لمجتمع له الخصوصية المجالية التي هي استجابة لعديد من الحتميات سواء المناخية أو الثقافية والاجتماعية وحتى الاقتصادية الدالة على المعاش اليومي والحياة اليومية والثقافة الهندسية ضمن الثقافة الشعبية ككل .

الهندسة الداخلية للمجال السكني المحلي بمجتمع مدينة قمار وجدناها من خلال المعايشة والملاحظة المادية للتصميم الداخلي للمسكن نجد العديد من الأشكال التي توضح أن هناك انسجام بين وجود العناصر المعمارية وطريقة هندستها والفكرة الدالة عليها والرمزية الثقافية وراء تموضعها، فشكل المدخل الأساسي للمسكن ووجود العتبة بشكلها المرتفع عند دخول الساكن لمسكنه، الخط والشكل المنكسر الفاصل بين المدخل والفناء المسكن، فكل عنصر له الوظيفة سواء الثقافية أو له البعد الرمزي الثقافي في مجتمع قمار أو الوظيفة المناخية لتسهيل الحياة داخل المجال السكني.

في العديد من المساكن ذات الطابع الهندسي المحلي بمجتمع قمار نجد أن هناك عناصر ثابتة وموجودة وحاضرة في كل مسكن على اختلاف المناطق بمدينة قمار سواء الريفية أو الموجودة في وسط المدينة أو على أطرافها، هذه العناصر الثابتة هي عناصر متعددة الوظائف وهذا التعدد الوظيفي تفرضه البيئة المناخية أو الوضع الاقتصادي للأسرة الساكنة أو عدد أفراد العائلة التي كانت تتسم بالعائلات الكبيرة وعدد افرادها الذي يصل إلى 12 فرد، من الأب والأم والاولاد وحتى الأحفاد، وكل منهم يسكن ويستقر مع العائلة في مسكن العائلة المشترك.

---

[1] نورية سوالمية، "توظيف الفضاءات السكنية الجاهزة بين التصورات والممارسات حالة مدينة وهران"، **في : مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ**، العدد 09، ديسمبر 2014، ص 112.

من أهم تلك العناصر المعمارية في المسكن المحلي الشعبي التي لها **التعدد الوظيفي**، والتي يستغلها الأفراد على حسب الاحتياجات الخاصة لتحقيق نوع من الراحة والاستقرار ضمن المجال الخاص بهم، وهذا التعدد الوظيفي لجملة من العناصر المعمارية في المسكن التقليدي تتحكم فيه جملة من المحددات التي تفرض على الساكن وتحدد له الشكل وتوزع الفضاءات الداخلية للمسكن، وكذا الشكل العام للهندسة العمرانية التقليدية لمدينة قمار وتتمثل هذه المحددات تتمثل في:

1-1 محدد بيئي: تتحكم البيئة الطبيعية في الهندسة العامة للمدينة التقليدية فهي تعتبر "الشق الثابت من البيئة العامة التي تنمو فيها المدينة"[1] لمجتمع قمار سواء من ناحية هندسة الشوارع والأزقة التي تكون ذات الشوارع المسقوفة التي تخفف الحرارة الشديدة وتعمل على توفير الظل، فمن خلال الملاحظة نجد الشوارع لا زالت تحافظ على النمط من المعالجة البيئة التي مكنت الانسان المحلي من التخفيف ومقاومة المناخ الحار، مدينة قمار في الوقت الحالي محافظة على الهندسة التي تراعي البيئة الطبيعية وسط المدينة نلاحظ وبصورة جلية الشوارع المسقوفة .

فالسقيفة من العناصر والمعالجات التي أدخلها الفرد لتقليل من الحرارة في الشوارع والازقة وتعتبر "ظاهرة من ظواهر المدينة الإسلامية "[2]، وتختلف أشكالها وأنوعها نجدها على شكل بناء مقوس يحمل زخرفات والوان، متعددة أو تُصنع بطريقة يدوية لها الوظيفة الاجتماعية من توفير الظل في أماكن الجلوس الخاصة بالشيوخ، وكذا "وظيفة تجارية باحتوائها على حوانيت ودكاكين"[3] وهذا ما نلاحظه في مدينة قمار أن السقيفة* تغطي محلات التجارية والدكانين الموجودة في باب الغربي باعتباره مركز المدينة التجاري، **الصورتان (06-01) و(06-02):** تمثل شارع في مدينة قمار في حي باب الغربي وهو من أقدم الأبواب التي تكونت منها المدينة التقليدية، وهذا الحي يعرف بالشوارع المسقوفة سواء في شكلها

---

[1] عبد الباقي إبراهيم، **"تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة"**، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر، ص20.

[2] مكي حياة، "دور السقيفة الاقتصادي والمناخي في أحياء المدن الداخلية"، **في : مجلة الدراسات الأثرية**، المجلد 20، العدد 01، 2022، ص 170.

[3] مكي حياة، المرجع السابق، ص 174.

*تختلف مسميات السقيفة بمجتمع الوادي فالسقيفة هي مكان الضيافة والاستقبال، في مجتمع قمار السقيفة هو كلمة يرجع أصلها إلى السقف، أي تغطية الجزء العلوي، تكون تغطيتها من عناصر النخلة والحلفاء وغيرها، السقيفة كذلك كلمة معناها مكان لتربية الحيوانات مثل الحمام وغيره اذن تختلف المعاني ووظيفتها ودلالاتها وكذا وظيفتها، نجدها كذلك قريبة من كلمة بورطال الذي له نفس استخدامات السقيفة ونجدها أكثر استعمالا في المناطق الفلاحية.

البسيط مثل الصورة المكونة من جريد نخل أو حصيرة من الحلفاء وتستعمل في فصل الصيف لحماية المارة من أشعة الشمس وتوفير الظل وتبريد حركة الهواء في الشارع، فوظيفة السقيفة في المدينة توفير الظل وتبريد حركية الهواء الداخلية للشوارع، وكذلك الوظيفة الاقتصادية من خلال حماية الدكاكين والحوانيت من توفير الظل فيها، وكذا الوظيفة المناخية من خلال كسر أشعة الشمس الحارة، وكذا الوظيفة الاجتماعية من تبريد أماكن الجلوس لكن تستعمل السباطات أكثر من السقيفة لأن السباط وظيفي في فصل الصيف والشتاء وأكثر صلابة، السقيفة تستعمل في فصل الصيف في موقع الاسواق والمحالات التجارية أو ركن السيارات عند غلق الحوانيت .

الصورة رقم (06-01): أحد الشوارع المسقوفة الموجودة في باب الغربي

الصورة (06-02): أحد الشوارع المسقوفة التي تغطي الدكانين في حي باب الغربي

المصدر: من إعداد الطالبة 2024/06/25

الصورة رقم (06-03): تمثل الشكل أحد أنواع السقيفة*[1] التي تصنع من مواد البناء والزخارف الموجودة مدينة قمار

المصدر: من إعداد الطالبة 25/06/2024

العامل البيئي له الدور الأساسي في التنظيم المجالي العام للمدينة من حيث توزع الشوارع وشكلها الداخلي، فنفس الأمر نجده في العمارة السكنية للمساكن ذات الطابع المحلي بمدينة قمار، والتي يراعي فيها الساكن الظل وحركة الشمس من خلال استخدام مواد بناء تتناسب مع المناخ والبيئة ذات الحرارة الشديدة، فوجود الفناء مثلا يعمل على تجديد حركية الهواء داخل المسكن ككل، وترتيب الغرفة ليس

[1] **الصورة رقم (06-03):** من أشكال السباطات الموجودة في مدينة قمار ترتكز على أعمدة متينة وتسمى في ثقافة قمار "**قوسة باب الغربي**" شكلها مثل نصف القوس للقبة وهذا الشكل الهندسي له الوظيفة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية للسقيفة، وهذا الشكل من السقيفة يستخدم فيه مواد البناء والزخارف وهذه الزخارف والألوان والشكل نفسها الموجودة في الزاوية التيجانية بمدينة قمار، بالمقابل وجود صف من السباطات وهو الشكل المميز لشوارع باب الغربي وتلك السباطات تحتوي على فضاءات تجارية وغير الموجودة ضمن السباطات تسقف في الشوارع.

اعتباطيا فكل غرفة بُنيت بشكل يتناسب مع الوظيفة التي تحققها للساكن، فغرفة الخزين مثلا تكون في الجهة الباردة التي لا تمر بها الشمس للحافظ على مخزون الطعام.

السباط كذلك يكون جوار دار الخزين ووجب أن تتوفر به البرودة فتُعلق فيه بعض الخضروات لتجفيفها، وتمارس فيه النسوة عملهن في النسيج وطحن الحبوب، المطبخ يكون في آخر ركن المسكن وتمر عليها الشمس لتهويته، الحمام الذي يكون معرضا كليا للشمس، الغرف الأساسية للمسكن يكون موقعها وتنظيمها يتناسب مع أشعة الشمس بحيث كل غرفة تتعرض للشمس وتدخلها لفترة محددة ويسبقها الظل، فتحقق نوع من التناسب الحراري تكون دافئة في بدايتها ونصفها الثاني منعزل على الشمس بارد وهو جزء –المقصورة– الذي يكون على شكل قبة عالية وجدرانها سميكة بحيث أشعة الشمس لا تخترقها بشكل كبير ومع محلية مواد البناء مثل الطين وغيره فهي تبق باردة لفترة طويلة .

للمحددات البيئة تأثير كبير على التوزع وتنظيم الوظيفي في العمارة المحلية لمجتمع مدينة قمار فمن خلال الدراسة الميدانية لعديد من المساكن المحلية ذات الهندسة التقليدية، أفضى بعض من ساكنيها أن الأساس الأول لبناء المسكن وتوزع غرفه هو تخفيف الحرارة في فصل الصيف ودفء الغرف في فضاء الشتاء، وهذا بقول أحد الإخبارين: **"البناء القديم للحوش العربي اتبنى باه ينقصنا شوي الحمو في الصيف والشتاء علجال الدفء والراحة في الحوش، في أول عملية البناء نبدوا بالجهة الشرقية يلفتوا الديار جهة الغربية وهي الكانون، بيت ماء* علجال جهة الشمس تكون مركزة عليها ومن بعد نبنوا السباط وجهة الظهراوية وكل حد يتبنى وحدة حتى يولي عندنا وسط حوش"** [1] في عملية البناء يبني الفرد بمجتمع قمار العناصر الاولية للعيش والمتمثلة في المطبخ، الحمام، وغرفة أو غرفتين تكون في جهة الشرق " تبركا بالشمس، فالشمس ترمز إلى الخير والتجدد "[2].

الاتجاهات الأربعة لها اعتبار في المخيال الاجتماعي والرمزي للساكن في العمارة المحلية، وهذه الاتجاهات الكونية لها الدور الأساسي في توجهيه حركية السكن وتنظيم المجالي السكني للعمارة السكنية

***بيت الماء :** التسمية المحلية للحمام، وتم تسمية المحلية لأنه المكان المخصص لاستحمام ويكون مكون من جزئيين الأول لقضاء الحاجة والثاني لاستحمام يكون عبارة عن قبة صغيرة تكون أقصر طولا من جدار ولا تظهر للشخص الواقف في فناء المسكن لحفظ خصوصية، ومن أول ما يبنى في المسكن ومعه المطبخ ولا يكون اتجاهه جهة القبلة.

[1] مقابلة مع احد المخبرين (ع. ح) 12/05/2024. 10:00ص

[2] هدى قاسمي، شريف درويش، "القيم الثقافية في مسكن العمارة الإسلامية"، في **: مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية**، العدد 01، 2021، ص 221.

الشعبية، فتوزيع الأمكنة داخل السكن يكون منطلق من تصور شعبي محلي قادر على الفهم المعمق لعالمه المحيط به والحيز الرمزي الخاص به، وهذا ما أسماه **الباحث الانثروبوجي Marc Augé** " بعبارة "**المكان الأنثروبولوجي**[1]" للدلالة على هذا البناء المادي الرمزي للحيز "ويُعرف المكان الأنثروبولوجي أيضا أنه المكان الذي يحمل "مبدأ دلالي بالنسبة الى ساكنيه"[2]، فكل حيز ومكان ضمن المجال السكني هو بمثابة رمز ومكانه له دلالة ضمن الهندسة والهيكلة العامة للمسكن.

تهتم الدراسات الحضرية بالجانب البيئي للمدينة ومدى التفاعل بينها وبين الهندسة العامة للمدينة خاصة تلك التي تعرف تغيرا على مستوى القيم الحضارية سواء في بعده الاجتماعي أو الثقافي على اعتبار أن المحدد البيئي من الثوابت التي شغلت دوما الباحثين حول مختلف عمليات التكيف التي يسعى الفرد إلى تحقيقها وما يفرز منها خاصة المتعلقة بالجوانب المادية الثقافية، التي تبرز على مستوى النسيج العام لتخطيط المدينة خاصة الصحراوية منها، فهي تعتبر "مدخلا من مداخل تحليل الحياة الاجتماعية" أو على المستوى الجانب الثقافي وجملة من الممارسات الثقافية للمجتمع الصحراوي .

من الدراسات الانثروبولوجية التي اختصت بالسكن باعتباره أحد أهم العناصر الثقافية المادية التي تكشف عن الهوية الثقافية والحضارية للمجتمعات سواء الأولية أو المعاصرة، والتي أولت للعناصر البيئة والمناخية دور في تنظيم المجالي للمسكن وكيف يكون له تأثير كبير في الثقافة المحلية، "**دراسة مارسال موس لشعب الاسكيمو حول التغيرات الفصلية عام 1906**"[3]، وكيف أن للظروف المناخية دور في شكل ونوعية المسكن، في الثقافة المحلية للأسكيمو تختلف نوع وشكل المسكن على حسب الفصول ففي فصل الصيف تقيم الأفراد في الخيام تكون بشكل متفرق، وفي فصل الشتاء تقيم الأسر في سكنات جماعية وهذا التغير في نوعية السكن له دور على المستوى النسق الاجتماعي والثقافي فالفصول السنوية هي تعتبر في ثقافة الاسكيمو أزمنة لها البعد الثقافي أكثر ماهي أزمنة زمنية، فهي لها تأثير على المستوى الثقافي والاجتماعي.

للبيئة دور هام في الهندسة العمرانية سواء في المجال العام لمدينة قمار من خلال عملية التصميم المحلي للشوارع والأزقة المسقوفة، أو على المستوى العمراني للسكن الشعبي المحلي، فالساكن هو الذي

---

[1] مارك أوجيه، "**اللاأمكنة مدخل الى انثروبولوجيا الحداثة المفرطة**"، تر: ميساء السيوفي، ط1، مكتبة هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين، المنامة، 2018، ص 55.

[2] مارك أوجيه، مرجع سابق، ص 55.

[3] فتيحة ابراهيم، مرجع سابق، ص 135.

يمارس حرفة البناء بطريقة شعبية من خلال مواد البناء المحلية التي هي جزء من البيئة الطبيعة والثقافية لمجتمع مدينة قمار، فالمحدد البيئي له دور في التوزع الوظيفي المجالي للمسكن في الثقافة المحلية فكل جزء من المسكن له مكانه الخاص والحيز الذي هو مراعاة للبيئة والمناخ السائد في مدينة قمار كمدينة صحراوية لها خصوصية عمرانية شعبية تتوافق مع البيئة الصحراوية .

2-1 المحدد السوسيوثقافي

لكل مجتمع خصوصيته الثقافية والإجتماعية التي تبرز في جملة من المنتجات المادية من أبرزها العمارة خاصة المحلية التي تعد بمثابة خبرات وتجارب دونتها الثقافة الشعبية لتبرز هويتها وطريقها عيشها والحدود الثقافية والاجتماعية التي تولدت فيها تلك العمارة، مجتمع مدينة قمار له الخصوصية الثقافية من ناحية العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، فالمسكن المحلي الشعبي هو بمثابة ذاكرة جماعية ووعاء حافظ للهوية التراثية والإرث العمراني، يُعبر عن الخاصية العمرانية للمدينة الصحراوية التقليدية ولمدينة قمار بالأخص، التي انعكست فيها ثقافة مجتمع قمار التي تحمل جملة من القيم المرجعية التقليدية والتي تعرف تغيرات على مستوى النسق الاجتماعي والثقافي والتي تبرزها الهندسة المجالية للعمارة السكنية.

للعوامل الثقافية أهمية ودور في التقسيم الوظيفي للحيز السكني الداخلي والذي تترجمه الهندسة الشعبية، من خلال الملاحظة لشكل المسكن من الداخل نجد جملة من القيم التي ساهمت في توزع مجالاته ضمن توزع وتنظيم وظيفي بحيث لكل عنصر أو جزء من المسكن المحلي يشكل هوية متكاملة من التراث القيمي لمدينة قمار التقليدية، ومن أبرز المحددات التي السوسيوثقافية التي نجدها بشكل بارز وواضحة الهندسة العمرانية للمسكن التقليدي سواء في منطقة **-النزلة- أو البويبة أو الهود-** هذه المناطق تختلف من مناطق ريفية إلى مناطق وسط المدينة تتشابه في الهندسة المجالية الداخلية وتختلف على حسب عوامل أخرى ولكن تشترك في نفس العناصر المعمارية التي تدل وتحمل رمزية لقيم ثقافية مشتركة على اختلاف المناطق ببلدية قمار ومن أهم تلك **المؤشرات السوسيوثقافية** التي لها دور في هيكلة المجال الداخلي للمسكن المحلي وبروز التنظيم المجالي كقيمة في الثقافة المحلية لمجتمع قمار:

- **حرمة المكان والاسرة:** في الهندسة الداخلية للمسكن التقليدي بمدينة قمار ومن خلال ممارسة الملاحظة بالمشاركة وكجزء من المجتمع المحلي لمدينة قمار، نلاحظ أن التنظيم المجالي الداخلي من بداية المسكن أي المدخل الى غاية الفناء، فشكل المسكن عند وقوفنا في الفناء نشعر ونلاحظ أننا وسط حصن ومربع لا نلاحظ فيه الشارع ولا العابر منه، وحتى العابر لا يتكشف عن خصوصية الداخلية، فالغرف محاطة

بالفناء والعناصر المعمارية الأخرى التي تتكامل وظيفيا في خلال توزع الوظائف المختلفة لكن عنصر في المسكن، فالغرف في الجهة الغربية تكون عالية قليلا عن الغرف وقبابها مرتفعة، فالفرد المحلي "استعمل نوع من التقسيم الوظيفي"[1] للتعبير عن حرمة مسكنه والاسرة ككل.

•**نمط الاسرة التقليدية –النووية** –: الأسرة في المسكن التقليدي بقيمها وعاداتها المحلية التي تسكن بنمط معين وفقها معاشها اليومي وحرفتها ونشاطها الاقتصادي، والمتمثل في ممارسة نشاط الفلاحة "كوحدة انتاجية اقتصادية "[2]، فشكل الأسرة التي تسكن المسكن الشعبي تتكون من أفراد أصل عددهم 10 إلى أفراد أو أكثر، وهذا لخاصية العائلة بمجتمع قمار، فالمرأة وثقافة الإنجاب كانت لديهم مختلفة، التي تنجب بكثرة وخاصة من تلد الذكور يكون لها قيمة في الاسرة ككل، وحتى النساء كانت تتزوجن في سن صغير وفي الماضي الوقت كان سن الزواج يبدا من بلوغ الفتاة في سن 13 أو 14 سنة، وكذلك الرجل في بعض المدن تتكون الأسرة الممتدة من الجد والجدة والأبناء والأحفاد، فكل غرفة يسكن فيه ولد من الذكور ويصبح اسم الغرفة على صاحب تلك الغرفة مثل – غرفة علي أو عمار – أي الغرفة تحمل اسم مالكها.

تتكون الغرفة من قبتين كبيرتين مرتفعين، والجدران سميكة جدا تكون وهذا النمط من الغرف يُبنى للأفراد المتزوجين من العائلة الذي يشاركون المسكن مع باقي العائلة، فالتقسيم الغرف للمسكن يتحكم فيه عدد الأفراد داخل الأسرة، فنجد المساكن بعض التقليدية بالمناطق لمدينة قمار واسعة جدا وفيها العديد من الغرف يصل حتى خمس غرف ومطبخ وحمام وسباط، كذلك يعود هذا الى النشاط الاقتصادي فالأسر تقريبا كلها تمارس نشاط الفلاحة وتتشارك اقتصاديا كلها في الجانب المالي، والمتحكم الوحيد في الدخل وتوزيع المال وغيره من الانتاج هو الجد، والمتحكم في أمور السكن من مؤنة وتخزين الطعام وهي الجدة، فالجدة قديما ما نجدها تملك مفتاح غرفة الخزين وهي المتحكمة في شؤون البيت، فقيم الاحترام والعودة الى الكبير العائلة والمشاورة له في كل ما بخص العائلة من القيم الاجتماعية التي تميز الأسرة ذات القيم التقليدية في المساكن المحلية لمجتمع قمار.

التنظيم الوظيفي في الثقافة المحلية يتناسب مع نمط الاسرة التقليدية وقيمها وعاداتها الي يبرزها الشكل الداخلي من علو الغرف في الجهات الشرقية او الغربية، أو على المستوى الخاص لحفظ

---

[1] مروى عصام صلاح، "**التاريخ والثقافة المعمارية**"، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الاردن، 2014، ص 23.

[2] كريمة عطوب، يوسف حنطابلي: "أثر التحولات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري على بنية الأسرة الجزائرية وتجلياتها الأغترابية"، في **مجلة: حوليات جامعة الجزائر**، العدد 33 الجزء الثاني، جوان 2019، ص 564.

خصوصية وحرمة الأسرة وأفرادها، بالنسبة للمساحة الداخلية للسكن التقليدي تأخذ في عين الاعتبار العدد الإجمالي لشكل الأسرة التقليدية لمجتمع قمار، بعض المناطق لازالت محافظة على أسلوب حياتهم ومتمسكة بنمط وذهنية العائلة تكون مجتمعة في وسط مشترك يعبر عنها.

فالعائلة لا تنفصل وتبقى تشترك مع بعضها البعض ليس في الحيز السكني المادي بل تتعدى إلى فكرة الشعور الجمعي للأفراد بحميمية العلاقة التي تربطهم مع أن الأبناء المتزوجين كل فرد في مسكنه الخاص لكن العائلة تقرر عدم الفصل في عملية الأكل والطبخ، فالمبطخ ليس فضاء للطبخ بل ينتقل للتعبير عن التنظيم وقوة العلاقة بين الافراد، فكل واحدة من زوجات الابناء تطبخ للعائلة للكل دلالة على انتماء إلى مسكن العائلة.

2-1 عصرنة التنظيم الوظيفي: بين الثابت والمتحول

تختلف الهندسة المعاصرة لمدينة قمار عن الهندسة المحلية نتيجة لتحولات شهدها المجتمع وأثرت على بنيته المجتمعية ككل وعناصره الثقافية خاصة المادية منها، والعناصر للامادية من قيم وعادات وتقاليد هناك منها بقي ثابت نابع من التصورات والاعراف، والهندسة العمرانية لمدينة قمار مرت بمراحل واشكال تعبر كل مرحلة عن السياق الاجتماعي والثقافي للمجتمع وصولا الى الحالة الحديثة من المساكن والتي هي كذلك في حالة تجدد ومعاصرة نتيجة للتحولات الحاصلة على المستوى التكنولوجي والمعاش اليومي للفرد الصحراوي

فالتنظيم الوظيفي في النمط المعاصر عبرت عنه **عدة مؤشرات للعمارة المعاصرة** تعبر عن تلك الحركية في الزمن للمسكن، وهذا ما شهدناه من **خلال الملاحظة الميدانية** فمثال: **حي البويبة** من خلال العبور في أزقتها التقليدية القديمة هناك نمطين من السكنات التقليدي والمعاصر في نفس الحي ومشكلين للهندسة العامة لمنطقة كانت كلها في السابق تُعد من أقدم الأحياء وأكثرها عراقة في مدينة قمار، من خلال الشكل العام لها نلاحظ المدخل الرئيسي مدخل معاصر نوعا ما بشكل زخرفي يحتوي على أقواس والمدخل القديم التقليدي على شكل سباطات متقاربة لها رمزية تعبر عن هوية عمرانية لمدينة قمار وهندستها التقليدية.

حضور الزمن التقليدي والمعاصر في هندسة حي البويبة كمثال عن الحركية الزمنية فالمسكن التقليدي يقابله تماما مسكن به تحديثات محافظ على بعض العناصر المعمارية التقليدية ومسكن آخر معاصر يعبر عن ثقافة غربية عن الثقافة المحلية للحي العريق، نلاحظ جوانب ثابتة في الهندسة المعاصرة ويشكل كجزء من الهوية الحاضرة في المخيال الجمعي للأفراد والتي هي ترجمة لمجموعة من

العادات والقيم الاجتماعية والأعراف الثقافية تعبر عن نقل الفرد لعاداته وتراثه إلى الزمن المعاصر، وجوانب متغيرة والتي تخص الجوانب الحياتية التي تعرف تحولات على المستوى الاجتماعي التركيبة الاجتماعية لمجتمع قمار والجانب الاقتصادي، الذي أخذ الشق الاكثر تأثير على الهندسة العمرانية للمسكن بمجتمع مدينة قمار.

قيمة التنظيم الوظيفي متغيرة في الزمن الثقافي التقليدي والمعاصر، لكن هناك بعض الجوانب التي تعد ثوابت لم يمسها التغيير لتعقلها بالجانب القيمي والعادات الاجتماعية للفرد أو المتعلق بخصوصية المنطقة التي لازال يحافظ عليها الفرد في تنظيمه مجاله السكني، وجوانب متغيرة والتي تعد في حالة تحول دائم لها علاقة مباشرة بالحياة اليومية للفرد وكذا علاقة مباشرة بالتحول الهندسي المجالي والوظيفي للمسكن والتي تكون وفق متطلبات العصر الحالية.

تختلف المحددات التي يتم وفقها عملية التنظيم الوظيفي التي تكون على مستوى العمارة السكنية والسكن المعاصر سواء في نمطه الفردي أو الجماعي، والتي تتحكم في مساحته وشكله الداخلي والخارجي، فالتقسيم الحيز الداخلي يتم توزيعه ورسمه وتخطيط له من طرف المهندس المعماري ويكون تخطيط والهندسة خاضعة لشروط وقوانين مؤسساتية بقوانين البناء والتعمير فالهندسة المعاصرة للبناء تختلف عن تلك التقليدي في الفكر الهندسي التي يُبني عليها المسكن، المسكن المعاصر له خصوصيته الخاصة وخلفياته الهندسية النابعة من التصورات والمرجعيات التي يحملها الساكن حول مسكنه وشكله وطريقة العيش فيه، هذه الخلفيات هي السمات التي تميز الإنسان المعاصر ونظرته للحياة وطريقة عيشه وكيفية استقراره.

وهذه من أبرز التغيرات التي طرأت القيم وأثرت على أسلوب الحياة اليومية للفرد، وهذا أكده لنا أحد **الاخبارين** عند سؤالنا حول أهم المحددات التي يراعيها الساكن في تنظيم مجاله السكني: "**التقسيم الداخلي للمسكن يكون باتفاق مع الساكن والمعماري، الساكن يدير وش يحب يدير الداخل ونحن فقط ننصحوه ولا نقولوه وش الاسهل ليه وهو يوافق او لا، والتقسيم يتحكم فيه حركة الهواء والتهوية والقدرة اتاعه المادية من ناحية المساحة والبنا أو تصميم بسيط، وعدد العائلة، والمهندس يقسم ليه ويعاونه في الهندسة العامة للمسكن**"[1]، كل هذه المحددات له تأثير مباشر على قيمة التنظيم المجالي للمسكن

[1] مقابلة مع (ح، ب)، 2024/05/29. الساعة 11ص .

المعاصر ومن أبرز المحددات الحديثة التي علاقة مباشرة بالتنظيم الوظيفي في الهندسة العمرانية للمسكن بمجتمع مدينة قمار.

1-2-1 المحدد البيئي: يراعي الساكن في هندسة مجاله الداخلي الجانب البيئي من عمليات التهوية وحركة الهواء واشعة الشمس، فالسكن المعاصر له مواد البناء التي تُبني به وهذه المواد لا تتوافق عمليا مع المناخ الحار في الصيف والبارد في الشتاء، ومع دخول التكنولوجي سوف تعوض هذا الخلل في الغرف وباقي العناصر العمرانية، وغياب عنصر مهم الساهم في حركية الهواء البارد والساخن هو الفناء فالمسكن المعاصر مغلق ولا يحتوي على منفذ إلا المدخل، مما استدعى الى تصميم ووجود النوافذ إلى الخارج لتسهيل تهوية الغرف، فالمحدد البيئي درجة التحكم فيه في المسكن المعاصر غير موفقة بشكل كبير نتيجة لتغيرات في مرفولوجية المسكن ومواد البناء وغياب عناصر التهوية على المسكن التقليدي .

فالعوامل الطبيعية التي تخص المدينة الصحراوية في الهندسة المعاصر نجد لعامل البيئة ثابت ومتغير، الجزء الثابت هو مراعاته في الهندسة من خلال تصميم الهندسي لدي المعماري مثل جهة مدخل المسكن يكون قبلة، واتجاهات اخرى وفق يكون وفق شروق الشمس، المتغير والمتحول فيه انه عمليات التوافق ولا يحق الراحة نتيجة لتقدم التكنولوجي ومواد البناء وغياب فكر هندسي عمراني يوافق البيئة المحلية لمدينة قمار.

2-2-1 المحدد الاقتصادي: القدرة الاقتصادية للساكن تتحكم في كثر من نواحي حياته بدأ من امتلاكه للسكن وشكله سواء ملكية مسكنه أو يضطر إلى إيجار مسكن، أو انتظار مساعدات من منح الدولة سواء المساعدة والاستفادة من الدولة، وعليه نجد من الساكنين بسب عدم قدرته المالية المرتفعة على اكمال مسكنه وغرفه والاكتفاء بغرفة ومطبخ وغرفة استقبال وحمام، ويبق باقي المسكن غير مكتمل كلها حلول يستخدمها الفرد بمدينة قمار لتوفير المسكن الخاص به.

فمن خلال كلام أحد الإخبارين أفاد أن العامل الاقتصاد له دور في الهندسة وطريقة التنظيم وشكل مدخل المسكن والغرف والزخرفة بقوله: "**على قد دراهمك تبني كل واحد على حسب قدره وجيبك**" [1]، وهذا القدرة المالية خاصة بالألوان الداخلية كل ما كانت ارتفعت قيمة الدهان كانت بشكل أرقى، كذلك تصميم الأشكال ووجود الزخرفة كالأقواس، ومواد البناء المستعملة كل هذه على حسب قدرة الساكن خاصة إن كان يبني مسكنه الخاص الفردي .

[1] مقابلة مع :(ي، ح)، 2024/05/25، 11:00-11:30ص .

في الثقافة المحلية ونظراً أن المجتمع يمارسون نفس النشاط الاقتصادي كانت المساكن متشابهة جداً فلا نعرف من الغني من الفقير، المساكن بنفس الهندسة ومواد البناء ونفس العناصر المعمارية، هذا ما يعطي هوية واحدة لمجتمع حدد خصوصيته الثقافة من العناصر المادية، المسكن المعاصر بشكل آخر أثرت فيه الجانب الاقتصادي وأصبح هناك تفاوت واضح فنجد مسكن غير متكمل البناء يسكنون فيه أفراد أو مسكن تقليدي بجانبه مسكن فخم يبرز المكانة الاجتماعية والاقتصادية لمالكه وهذا الملاحظ في مدينة قمار كل حي أو شارع يحتوي على شكل من أشكال التفاوت الاجتماعي الذي يعبر عنه السكن وطريقة هندسته وبناءه وهندسته الخارجية .

العامل الاقتصادي يظهر تحكمه في تنظيم الوظيفي من خلال التقسيم الداخلي ومساحات الغرف وغيرها، فكبر مساحة الغرفة والمطبخ والصالة وطريقة وجودها دال على القدرة الاقتصادية، وهناك عائلات محدودة القدرة لكن المجتمع يضعها ضمن مجال تنافس الاجتماعي ويرغمها اجتماعيا بتتبع الاخرين وافكارهم، هذا ما يسبب للعائلات العديد من الضغط النفسي والاجتماعي والمشاكل وتستهلك الكثير من الوقت ليكون مسكنها وفق المعايير الاجتماعية المعاصرة، تصل لسنوات ليتمم مسكنه أو يعمل عليه تعديلات عصرية.

1-2-3 المحدد السوسيوثقافي: يعد العامل الاجتماعي من **العوامل المتغيرة** التي لها انعكاس في قيمة التنظيم الوظيفي، في الثقافة الشعبية كان المسكن ذو مساحة كبيرة على حسب العائلة الممتدة، في الوقت الحالي اقتصر المسكن على أسرة نواة مكونة من الأبوين والأبناء، فنجد التقسيم المساحي تغيرت أولوياته وتصوراتهم لمساحة المسكن، فكانت الأسرة تشترك في مسكن واحد وطبيعة الاجتماعية تكون قوية لهم قواسم مشتركة، في عصر الحالي ضعف العلاقات كل فرد من العائلة الممتدة تنفصل على العائلة وتحصل نوع من التفكك والفردانية للأفراد .

على حسب ما أفضى به أحد الاخبارين بقوله حول الجانب الأسري وعلاقته بالتنظيم المجالي: "**الساكن في بداية يقولنا عدد العائلة اذا كانت كبيرة يكون السكن مساحة تتناسب معها وحتى القدرة المالية الاولية للبناء والسكن ككل، ومساحة الارض وموقعها على حسب يكون مساحة السكن إذا راح يكون مسكن في الطابق الثاني من السكن العائلي**"[1]عدد الاسرة له علاقة مباشرة بمساحة المسكن، فنجد مثلا في المقبلين على الزواج يختارون السكنات الجماعية لاستقرار فيها وإن كان بشكل مؤقت، نظراً

[1] مقابلة : (و، م)، 2024/05/25، 9:00- 9:30ص .

لمساحة السكن الضيقة لا تتوافق مع عدد عائلة أكثر من أربع أفراد، فالعامل الاجتماعي له دور في التنظيم الوظيفي للمسكن المعاصر بمجتمع مدينة قمار.

1-2-4 العامل الثقافي: من المحددات الثابتة في الثقافة المحلية وبقي محافظ عليه الفرد في عصرنه مجاله السكني وتنظيمه الوظيفي على غرار محددات متغيرة، ولها أثر على المجتمع في وقته الحالي وهذا لارتباطه بالنسق القيمي والثقافة النابعة سواء التي تعود إلى النسق الديني أو الأعراف الاجتماعية مثل حرمة المكان، وجود المرأة في المسكن، الاتجاهات ذات قدسية مثل اتجاه القبلة وشروق الشمس.

من خلال ملاحظتنا الميدانية فالسكن المعاصر في مجتمع مدينة قمار عند الدخول اليه نجد غرفة الاستقبال –الصالة –عند استقبال الضيف يدخل مباشرة إلى غرفة الضيافة بحيث لا يتكشف عن باقي المسكن والتكشف عن حرمة أهله، أو يضع غرفتين استقبال واحدة تكون داخلية مخصصة للنساء فقط تكون فضاء نسوي، وغرفة استقبال تكون خارج المسكن مخصصة لاستقبال الرجال، وتحولها إلى فضاء رجالي ذكوري هذا التنظيم خاضع لحرمة الساكن وتصوراته الثقافية للساكن، غرفة النوم تكون بعيدة عن الأنظار واخر العناصر المعمارية في المسكن المعاصر أو تكون في زاوية في شكل انكسار مع العين بحيث تحفظ خصوصية الساكن وحرمته، فالجانب الثقافي من عادات وأعراف لها تأثير وجزء من الهوية الثقافية التي لها سلطة الضبط الاجتماعي سواء في الجانب المادي المترجم جزء منه في عمارة المسكن.

من خلال الدراسة الميدانية والملاحظة لبعض من المساكن المعاصرة لمدينة قمار نجد هناك أحياء تكون فيها بشكل هؤلاء الأشخاص المالكين لتلك السكنات هو من طبقة الداخل المرتفع ولهم المكانة الاجتماعية في مجتمع قمار كذلك السكنات بالمناطق الريفية الداخلية التابعة إداريا لمجتمع قمار نجد السكن مطابق لما في المدينة تماما بل هناك ما يكون ذو هندسة معاصرة يتكون من طابقين أو أكثر وبروز السكن التجاري، فالفرد الساكن في الريف بيع أرضه لغرض المال والمشتري يستثمر في تلك الارض، فرمزية الأرض لم تعد بل أصبحت لها مرجعية أخرى وهذا ما أدى إلى نتيجة نقصان الأراضي الفلاحية التي تعد هذه من أبرز التحولات التي يعرفها الريف حاليا ومناطق الداخلية التابعة إداريا لمدينة قمار.

السكن بمجتمع مدينة قمار يعرف تحولات تكون جلية على المستوى الهندسي، وهذه الهندسة لها دلالات على المستوى الاجتماعي وما يعرف من تغيرات سواء على مستوى الاسرة ونوعية العلاقات التي تكون عليها افرادها، أو المستوى الاقتصادي ومن يبرزه السكن من مستوى وتفاوت بين مختلف شرائع المجتمع، وخلال هذا التحول في الملامح العمرانية لمدينة قمار لازالت تحتفظ ببعض الرموز والدلالات

التي توحي بالهوية العمرانية واحتفاظ المدينة برموزها الدالة على خصوصية المدينة كمدينة صحراوية لها سماتها البيئة والثقافية.

ثانيا: التنظيم الداخلي للمسكن بمجتمع مدينة قمار: تتغير ثقافة التنظيم الداخلي للفضاء السكني الداخلي على حسب نمط السكن والاحتياجات الأساسية لصاحبي السكن وملاكه .

2-1 ثقافة التنظيم الداخلي للمسكن التقليدي بمجتمع قمار: يتسم المسكن التقليدي بهندسة تكون في غالب وظيفية وكل حيز داخله يتسم بتعدد الوظائف وللفرد قدرة على التحكم وفق اختياراته التي توفر له الراحة والاستقرار من جهة ومن جهة أخرى تلك القدرة على التعدد في الوظيفة، المبني على خبرات وتجارب اكسبته القدرة على الفهم الجيد والعميق لمحيطه البيئي والثقافي والاجتماعي، وجعل المسكن كعنصر مادي ثقافي يوفر له الاحتياجات الضرورية وخلق مكان بحيث يتكيف مع مجمل المتغيرات الحاصلة من أهم العناصر المعمارية التي تتسم **بالتعدد الوظيفي في المسكن التقليدي** بمجتمع مدينة قمار:

2-1-1 مدخل المسكن: المقصود بمدخل المسكن المسافة الفاصلة بين الباب والخط المنكسر الداخلي المؤدي إلى الفناء الداخلي لوسط المسكن، تُسمى في الثقافة المحلية "**باب الحوش**" تلك المسافة تكون على شكل مربع مقابلة لباب المسكن فالمسافة الهندسة تختلف عن المسافة في مخيال الفرد الساكن فهي تدل على مدى تحقيق الوظيفة والدور في إطار الهندسة الكلية للمسكن المحلي، في بعض البيوت لها انحناء داخلي بحيث تُشكل حجم غرفة صغيرة تعدد لها عدة وظائف سواء الجلوس فيها عند إستقبال شخص خاصة النسوة دون الدخول والتعرف على خصوصية أهل البيت.

الوظيفة الرفاهية مكان لعب الاطفال وممارسة بعض الألعاب الشعبية المحلية للتسلية، في مناطق أخرى تُستغل الحيز الخاص بالنسوة لممارسة أعمال النسيج وغزل الصوف مع نسوة البيت وأخريات قريبات في الجوار، وتحظى بعناية أهل المسكن من الناحية النظافة حيث تُغربل من طرف النساء وتزوديها بالرمل النظيف كل فترة خاصة فصل الصيف، **العامل الذي يجعل منه عنصر معماري متعدد الوظائف** هو عامل الشكل والمساحة الذي يشكل جزء صغير من المساحة الكلية للمسكن وكذا القرب ومحاذات مدخل المسكن له الدور الأولي في حفظ الخصوصية والحفاظ على حرمة أهل المسكن.

2-1-2 السباط: يمثل السباط عنصر معماري محلي بامتياز فكل مسكن يحتوي على السباط وكما أسلفنا سابقا حول شكله العمراني الذي يتميز بالقباب التي تكون واضحة ومرتفعة على جدران المسكن ككل وتكون واضحة للمار في الشارع، وبكونه أهم الأشكال المعمارية الدال والتي ترمز إلى ثقافة مجتمع

مدينة الوادي ككل، ومدينة قمار جزء من الهوية الحضرية والعمرانية لمدينة الوادي تميز النمط المعماري محلي بوجود السباط ليس فقط على مستوى العمارة السكنية بل نلاحظه كذلك في الهندسة العمرانية لمدينة قمار سواء التقليدية والتي لازالت حاضرة في التكوين الهندسي ومتصل مع الهندسة المعاصرة، الشكل الهندسي له يلعب دورا كبيرا في تواجده ضمن الهندسة المجالية للمدينة ككل على اختلاف نمطها العمراني.

يعتبر السباط من العناصر المعمارية **المتعددة الوظائف** سواء في هندسة السكن أو المدينة ككل، في المسكن التقليدي نجده تتغير وظيفته على حسب الفصول أو على حسب احتياجات الاسرة له ومن خلال كلام أحد الاخبارين: "**السباط في صيف نحطوا فيه الماء وننسجوا فيه، ونطحنوا فيه، ونبقوا فيه النهار الكل وفي الصيف يكون الجو فيه بارد، في الشتاء نغيروا شكله نبنوا قبه منه ونسدوه بقلمة وحجرة ونفتحوا باب صغير فيه ويولي كأنه دار صغيره، الناس الي كانت دير هكا عائلات فقيرة ياسر معندهاشي ديار**"[1] من خلال هذا الحديث مع أحد الاخبارين نفهم من خلاله السباط له عدة وظائف تختلف على حسب فصول السنة، في فصل الصيف يكون له وظيفة حيث تنام فيه العائلة وتنسج النسوة داخل ويكون اتجاهه –ظهراوي – لمنع دخول الشمس إليه، وفي فصل الشتاء **يتغير شكله ووظيفته** من السباط الى غرفة تقي الافراد من البرد ويكون غرفة متجهة الى القبلة لدخول الشمس اليه ويحقق الدفء.

2-1-3 الغرفة –الدار–: الغرف هي نفسها كلمة الدار في الثقافة المحلية لمجتمع قمار، تستغل الغرف في وظائف غير النوم فيها، الغرف في المسكن التقليدي تكون على جزئيين، الجزء الأول يكون –**وجهة الدار** –أي القسم الأول من الغرفة، والثاني يكون للداخل ويكون على شكل قبة ذي سقف مرتفع، تُعرف باسم –المقصورة – هذه الهندسة وفق محددات مناخية حيث تدخل اشعة الشمس إلى الجزء الأول ويتوزع الهواء داخل الغرفة وتبرد خاصة في الجزء الثاني وهذا الجزء تكون جدرانه اسمك وقبته أكبر من الجزء الأول، هذا التقسيم المجال الداخلي وهندسته بطريقة شعبية محلية تتوافق مع البيئة المناخية بمجتمع قمار.

الوظيفة الأخرى للغرف التي تكون متجهة للقبلة تستعمل في فصل الشتاء في الجزء الأول لنصب المنسج وغزل الصوف وطحن الحبوب، أي أن الوظائف للأشغال اليدوية للنساء في مسكن تكون في فصل الصيف في السباط وفي فصل الشتاء تكون داخل أحد الغرف للمسكن التقليدي، من خلال كلام أحد الاخبارين: " **في الصيف ننسجوا في السباط، وفي الشتاء ندخلوا المنسج للديار القبالة* ونحطوه**

[1] مقابلة: (ح .ب)، 2024/05/28. 10:00-10:45ص.

في وجهه الدار كي تزرق الشمس نفتحوا الباب تع الدار تدفي الدار والمقصورة، تولي هذيك الدار نسموها في الحوش –دار المنسج "[1]، التغير الوظيفي للغرف تتحكم فيها العامل البيئي، فيعمل الساكن على تشكيل مسكنه وفق بيئته وما يحقق له الراحة، فكل عنصر معماري له الدور الذي يحدده الساكن بحيث يحقق له السكن وظائف متعددة تلبي احتياجاته المختلفة.

2-2 التنظيم الداخلي في المسكن المعاصر بمجتمع قمار: المسكن المعاصر في مدينة قمار بثقافة مختلفة في البناء والهندسة الغريبة عن الهندسة الشعبية التي تتسم بغياب عناصر معمارية تحمل هوية المعمارية لمدينة قمار، يشرف على تصميمها معماري الحامل لفكر وخبرة معمارية أكاديمية تركز على تراكم معرفي من الهندسة المغايرة ثقافيا الغير متلائمة مع الظروف المناخية والعامل الثقافي الهوياتي للساكن، في عملية الأولوية التي تشمل الفكر التصميمي الذي يشرف عليه المعماري بحضور الساكن، حيث يلجأ الفرد الى مكتب الدراسات العمرانية والمعمارية والتقنية، يصمم المسكن ويشرف على تقسيم الفضاءات الداخلية من غرف ومطبخ وتخطيطه العام، فالمعماري هو جزء من المجتمع ومتشرب لعاداته وتقاليده هناك بعض الامور يأخذها في عين الاعتبار والمتمثلة في الجوانب الثقافية .

الجانب الثقافي المتجذر في الفكر المعماري بحكم أنه جزء من مجتمع مدينة قمار له خلفياته الثقافية التي تعد ثوابت نلمسها في مجال الهندسي المعاصر، خاصة في التنظيم الداخلي للمسكن وكيفية تقسيم مساحته واجزاءه، والامكنة ضمن المساحة الكلية للمسكن، ومن خلال ما أفضى أحد المبحوثين بقوله: **"التصميم يكون كيما حاب الساكن، هو يقولنا كيفاه شاتي يكون حوشه وعدد الديار الي فيه، وعلى أساس هكا يكون التقسيم ولا يجيب صورة لمسكن بعيد على وش كاين ومطور ياسر نخدملوه كيفه"**[2] ومن خلال هذا نفهم أن فكر التصميم نابع من تصورات الساكن وهو من يضبط التصور الهندسي للمسكن لدى المعماري المشرف على مسكنه على حسب قدرته المالية وكذا حجم العائلة، وكذا موقع المسكن ونمطه.

الهندسة المعاصرة للمسكن بمدينة قمار بنوع من التشابه، فنجد مجموعة من المساكن لها نفس التقسيم الداخلي وحتى الشكل الخارجي، وسوف على نركز على عينات من مساكن ذات هندسة معاصرة

***القبالة:** مصطلح شعبي في مدينة قمار القصد به جهة القبلة، وتختلف الجهات الأربعة في الثقافة الشعبية بقمار خاصة في المسكن واتجاهها مثل الديار القبالة أو الشراقة، الظهارة، كلها تستند إلى مكان تواجد الشمس والظل في النهار وقياس الوقت عليه.

[1] مقابلة : (ح، خ)، 05/03/2023/، 11:00- 1150ص .

[2] مقابلة : (إس، س)، 11/09/2023، 9:15-9:45 بمكتب الدراسات العمرانية والتقنية بقمار .

من أحياء مختلفة، وتقسيمها المجالي الداخلي وتموضع الغرف وتنظيمها، هذا التشابه في التوزيع والتقسيم نتيجة لتشارك مجموعة من القيم الثقافية مثل الحرمة وتحقيق الخصوصية والتي تعد كذلك من الثوابت في التقسيم الحيز الداخلي، بقاء هذه القيم ضمن النسق الثقافي لمجتمع مدينة قمار ضمن قالب سكني معاصر دلالة على احتفاظ الفرد والمجتمع والتمسك بالقيم التي تعد مرجعية وتضبط سلوكه داخل فضاءه السكني.

من خلال تقنية الملاحظة للمساكن العصرية في مجتمع مدينة قمار قمنا بعملية وصف مكثف لمسكن معاصر بمدينة قمار في أحد أحياءها وتم اختيار هذا المسكن لأنه يمثل عينة من المساكن التي تحتوي على الفكر الهندسي له خلفيات ثقافية متجذرة من القيم التقليدية الراسخة في مجتمع قمار في قالب هندسي عصري يحاكي الهندسة المعاصرة نجدها في مجتمعات أخرى تلك التفاصيل العمرانية الداخلية نجد لها البعد الثقافي والجمالي الحامل لثقافة مجتمعية تترجمها الهندسة لعمارة المسكن ويكون تقسيم الوظيفي في المسكن المعاصر في مجتمع مدينة قمار على النحو التالي:

السكني الداخلي تتم عملية هندسته وتصميمه وتقسيمه بداية من اتجاه المسكن ومدخله الرئيسي يكون عادة إلى القبلة كاتجاه مقدس لدى الثقافة الإسلامية، يكون مدخل المسكن طويل نوعا ما ليكون هناك مسافة بين مدخله والحيز الداخلي، هذه المسافة تضمن الخصوصية لصاحب السكن وعدم التكشف عن أهله ومسكنه، في نهاية المدخل المنكسر الطويل نجد ركن للاستقبال خاص بالضيوف تُعرف – الصالة البراء– يستقبل فيها الضيوف مكانها تواجدها في بداية لحفظ خصوصية أهل المسكن يختلف شكلها على حسب لكن في الأغلب تكون على شكل قوس نصف قبة وتكون واسعة بالداخل وتفرش بأثاث عصري، لها دور في حماية خصوصية المسكن وتستغل أكثر في المناسبات للفصل بين مكان الرجال والنساء، في مساكن أخرى نجدها منفصلة خارج المسكن كنوع فصل بين الفضاء الرجالي والنسوي وحفظ حرمة المسكن .

يختلف شكلها في المساكن المعاصرة، فتشمل الشكل ذو المساحة المفتوحة، وتُفرش وتكون للجلوس واستقبال النسوة في حضور الرجال الموجودين في الغرف الأخرى، يكون شكلها محققا لوظيفة حفظ الخصوصية داخل المسكن، تليها باقي الغرف، وتكون غرفة النوم آخر الغرف في المسكن، تكون مساحتها أكبر من الغرف الأخرى، ومطبخ مدخله لا يقابل مباشرة مع مدخل المسكن لحفظ حرمة من بالداخل، هناك غرفة حديثة نوعا ما غرفة تكون فارغة في بداية وهي مخصصة للأطفال، في المسكن التقليدي الاطفال يقيمون في نفس غرفة الأبوين تخصص لهم القسم الأول من الغرفة، الشق الثاني يكون

للزوجين وهي قبتين تفصل بينهما جدران سميكة وساتر تحافظ على خصوصية المسافة بين الأطفال والأبوين، أصبح الآن خصوصية ومساحة خاصة بهم وتخص لهم غرفة ضمن التنظيم المجال للمسكن المعاصر.

تختلف العناصر المعمارية على حسب نمط المسكن، ففي المسكن الفردي نجدها بشكل مفتوح في مساحة بين الغرف تكون على شكل مربع بجانبها باب يمثل مدخل ثاني للمسكن، في السكن الجماعي لا نجد هذا التصميم بكثرة نظرا لضيق المساحة الداخلية، لكن غرفة الاستقبال – الصالة – تكون الأكبر مساحة نظرا لدورها المحوري والمهم في الهندسة الداخلية، ففي المساكن الجماعية تستعمل للنوم في الليل ووقت القيلولة نظرا لعدم كفاية الغرف على باقي الأفراد، يضطر الساكن إلى تغير وظيفة العنصر المعماري في السكن وفق حاجياته، فميزة السكن الجماعي أنه يخضع الساكن إلى اتباع اسلوب معين في حياته وضبط سلوكه رغم أن الساكن يعمل على وضع تعديلات تساهم في تحسين خصوصيته سواء من عمليات لغلق النوافذ الخارجية –البلكون– الهندسة لا تتوفق مع النسق القيمي لقيمي الحرمة والخصوصية.

التنظيم الوظيفي للمسكن المعاصر خاصة في المسكن الجماعي يكون مفروض على الساكن وغير متحكم فيه ويحاول الساكن خلق أسلوب حياة يلاءم التنظيم للحيز الداخلي، خاصة على مستوى تقسيم الغرف وكيف توزيعها وظيفيا على الأسرة وفق ما يناسب نمط وأسلوب حياتها، وعليه التنظيم الوظيفي في شكله المعاصر يفرض على الأسرة نوع من الحياة داخل المسكن يتوافق مع نوعية السكن وشكله ومساحاته الداخلية لأجزائه المختلفة، تلك التعديلات التي يقزم بها الساكن "هي من صميم الفعل الاجتماعي والثقافي الذي ينبع من الهوية السوسيوثقافية للأفراد"[1]، حيث يحمل المكان والفضاء السكني يحمل هوية ساكنه لتحقيق نوع من الانسجام بينه وبين فضاءه المبني وتوزعه المساحي في داخله.

من الباحثين الذي اهتموا بفكرة التنظيم الداخلي للمسكن "**ادوارد هال**" في كتابه البعد الخفي اهتم بالجانب الثقافي وأنه يقف خلف التنظيم للحيز السكني في ثقافات متعددة، ومع اختلاف التصاميم الداخلية للبيوت على اختلاف أوساطها القروية أو الحضرية يكون مقسم ومصمم وفق "محدد ثقافي"[2] وهذا

[1] إبراهيم حلباوي، مصطفي رباحي، "الهوية الاجتماعية من خلال انثروبولوجيا الفضاء المكان"، في : **مجلة الحوار المتوسطي**، المجلد الثالث عشر، العدد 1، مارس 2022، ص 264.

[2] إدوارد تي هال، "**البعد الخفي**"، تر: لميس الفؤاد اليحيى، الأهلية للنشر والتوزيع، الاردن، 2007، ص 142.

المخطط أو التصميم يتغير مع عامل "الزمن والثقافة"[1]، عن إسقاط هذا الكلام على المسكن بمدينة قمار، نجد كما أسلفنا سابقا أن المحدد الثقافي له دور في ترتيب وتنظيم الفضاء الداخلي للمسكن وكذا أن هذا الترتيب يتغير مع الزمن ويعطينا شكل وتنظيم آخر ومغاير في عن الشكل في الثقافة المحلية، في الوقت الحالي التنظيم للمسكن المعاصر أكثر تخصص وكل غرفة أو جزء من الحيز الداخلي دور ومهام يضعها الساكن، وفق هذا النظم الداخلي يتحدد سلوكياته ونمط حياته وعلاقاته مع أسرته وأطفاله.

تختلف أشكال التنظيم الوظيفي في المسكن، على حسب تصورات الأفراد ووجهة نظرهم ،وكذا كل ثقافة لها اعتقاداتها الخاصة ،حول الحيز والمكان الذي تسكنه أو تشغله، هذا التباين يظهر في الشكل وكذا السلوك اليومي للفرد الذي أصبح ملكية لغرفته الخاصة بعد أن كان يشارك أفراد أسرته في العديد من الفضاءات، كذلك غرفة الأطفال فامتلاكهم لغرفة خاصة أن لديهم الحياة الخاصة بهم ولهم خصوصية في مجالهم بعد أن كانوا مشتركين في غرفة واحدة مع الأبوين فحصل كنوع من عملية الانفصال في الحيز والشعور بينهم، كل هذه التفاصيل تعبر عن مدى رؤية الفرد للحيز الذي يشغله وكيف يتصرف فيه، وكيف يكون المبنى أو المسكن الخاص به قالب لجملة من العادات اليومية والسلوكيات.

المسكن في مجتمع مدينة قمار له الصيغة العمرانية التي تقف خلف بناءه وتوزعه الداخلي فمن خلال تلك الفضاءات والحيز الذي يبنيه ويسكن فيه يشكل ثقافاته ويعبر عنها من خلال وضع خلفيته الثقافية سواء المتجذرة فيه أو تلك التي يعايشها في وقته وعصره الحالي يضع مسكنه ويقسمه داخليا من تقسيم يتناسب مع حجم أسرته مكانته الاجتماعية وكذا عمله ونشاطه الاجتماعي والاقتصادي، وترتب حسب الحاجة وكذا ذوقه الخاص مع الحيز الداخلي يُرتب كذلك عنصر المسافة الذي يقرر أفعال الساكن فيما بعد فالمسافة عنصر مهم في التنظيم الداخلي للحيز السكني وتختلف المسافات على اختلافات البيئة الثقافية للساكن.

[1] إدوارد تي هال، المرجع السابق، ص 142.

الصورة رقم (06-04): الصالة *[1]–البرا- التي تكون في بداية المسكن وظيفتها استقبال الضيوف دون ادخالهم الى باقي المسكن

الصورة رقم (06-05): الصالة من الداخل ومساحتها الداخلية

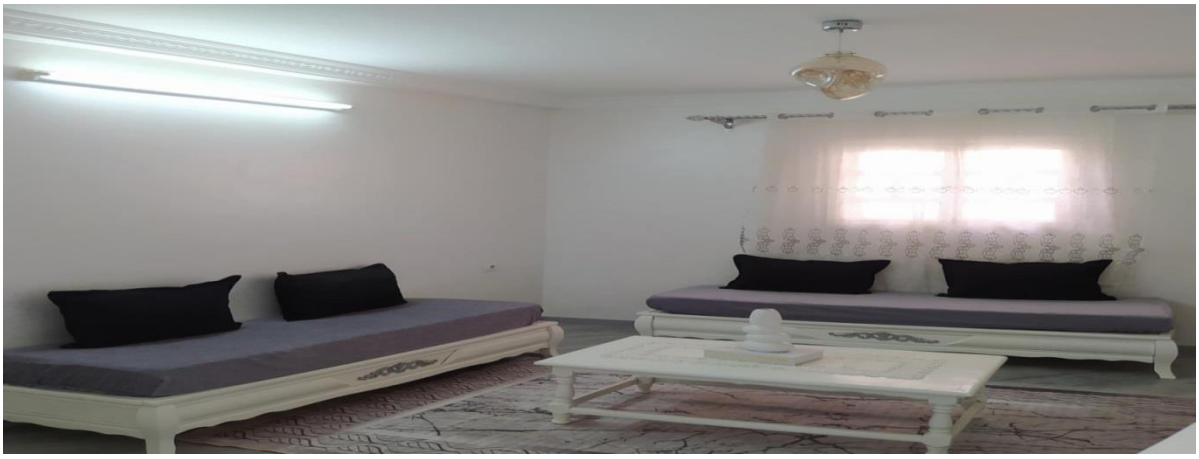

المصدر: من إعداد الطالبة 2024/07/15

[1] **الشكلين (06-04) و (06-05):** عنصر العمراني الصالة التي نجدها في هندسة المسكن المعاصر بإشكال مختلفة ومعاصرة وتكون قريبة من مدخل الاساسي للمسكن، نجد هذا الشكل أو شكل القوس يشبه نفس القبة، تكمن وظيفتها الاجتماعية مكان للجلوس للضيوف وكذا وظيفة جمالية من ناحية الهندسة الداخلية والخارجية للمسكن ووظيفة الخصوصية من خلال جلوس الضيوف دون ادخالهم الى المسكن والذي داخل المسكن تتكسر لديه الرؤية فلا يتضح النسوة الجالسين في الداخل.

ثالثا: المساحة والمسافة في ثقافة مجتمع مدينة قمار:

تعتبر المسافة والمساحة ليست أبعاد مادية بل تتعدى الى ان تكون أبعاد ثقافية في هندسة المجال السكني لمجتمع مدينة قمار، وركيزة هامة في هندسة المجال السكني خاصة التقليدي حيث يظهر تنظيمهما على النحو التالي:

3-1 تنظيم المساحة والمسافة في المسكن التقليدي

الهندسة العمرانية للحيز الداخلي للمسكن تمر وفق فكرتين أساسيتين هما تنظيم المساحة الداخلية للفضاءات الوظيفية للمسكن وكذا المسافة بين الغرف ومختلف الأجزاء الداخلية للمسكن، فتلك الطريقة التي تنتظم بها الأمكنة داخل المسكن تخضع لمبدأ المساحة والمسافة، هما بعدين هندسيين نقوم بعملية قياسهما رياضيا في الفكر الهندسي في الثقافة المعاصرة، الأمر يختلف من الناحية الثقافية فتلك المساحة والمسافة لها البعد الخفي المتمثل في ثقافة توزيع الأمكنة ضمن المنظور القيمي للمجتمع، وتدل عليها الهندسة الداخلية للمسكن سواء التقليدي أو المعاصر.

3-1-1 المساحة والمسافة من وجهة نظر الثقافة:

للمسكن التقليدي خصوصية هندسية من خلال توزعه الداخل وتفاصيله العمرانية والهندسية والمتمثلة في فكرة المساحة والمسافة للحيز الداخلي، اللتين هما عنصران مهمين في الفكر الهندسي للحرفي الذي يمارس فعل البناء المستمد من تعاليم ومبادئ ثقافته المحلية، تتوافق المساحة للعناصر الداخلية سواء من الغرف أو السباط أو المطبخ وتفاصيل معمارية الداخلية وظيفيا بالدرجة الأولى ولها البعد الايكولوجي للحفاظ على درجة مناسبة للغرف أو غيرها.

كما أسلفنا سابقا اختلفت القياسات للمساحة والمسافة وبإمكانيات بسيطة متوفرة لدى البناء الحرفي، فالمساحة والمساحة هما بعدين رياضيين لكن لهما البعد للامادي في تصور ومخيال الفرد الساكن، **فالمساحة والمسافة من خلال الثقافة المادية والمتمثلة في تنظيم الوظيفي للمسكن التقليدي في مجتمع مدينة قمار**، ومن خلال تقنية الملاحظة والوصف المكثف للتفاصيل العمرانية للحيز الداخلي للمسكن، أن تلك المسافة والمساحة هي **أبعاد ثقافية** بالدرجة الأولى **في الثقافة المحلية لمجتمع مدينة قمار**.

في العمارة التقليدية للمسكن بمدينة قمار نلاحظ بُعد المساحة والمسافة تختلف على حسب شكل ووظيفة العنصر المعماري، والمسافة بين الغرف وبقية العناصر الأخرى، من بداية المدخل هناك مسافة تفصل بين المدخل إلى غاية الوصول الى الفناء، تلك المسافة المتمثلة في وجود الخط المنكسر الذي يحقق الخصوصية وحرمة المسكن، يكون فمكان السباط ومساحته ومسافة بينه وبين مدخل المسكن يكون

قريب، فالمسافة القريبة والبعيدة بين العناصر المكونة للمسكن التقليدي تكون ذات دلالات ثقافية رمزية تحمل تصور ثقافي لمدى وظيفية العنصر ومكانه دون غيره، المسافة بين الغرف كذلك عندها رمزية في المسكن التقليدي، فغرفة كبير العائلة تكون في جهة مقابلة للفناء وكذا مدخل المسكن وتكون على مسافة بعيدة عن الغرف الاخرى، لمكانته الاجتماعية داخل الأسرة ومركزه في ادارة شؤون المسكن.

3-1-2 المساحة والمسافة: الوظيفة والشكل

في المسكن التقليدي تمتاز هندسته بالبعد الوظيفي الذي يتناسب هندسياً من ناحية المساحة والمسافة الداخلية للحيز السكني، فالشكل له بعد المساحة والمسافة في المسكن، تتناسب وظيفيا مع الشكل فكل عنصر له الشكل الخاص به والذي يراعي بعد المساحة خاصة من الداخل، من خلال الملاحظات لغرف المسكن التقليدي الغرف التي تحتوي على القبة نجدها تتوفر على مساحة كبيرة، وشكلها يكون مربع مع قبة، والأعمدة الحاملة للسقف تكون مرتفعة وحاملة للغرفة له البعد الوظيفي يلبي احتياجات الساكن خاصة من الناحية تغير حركية الهواء حيث شكل القبة ومساحتها يسمح بتغير المناخ من الحار إلى البارد أو العكس، فقبة الغرف تكون مختلفة على قبة السباط أو قبة المطبخ، فكل عنصر معماري له المساحة والمسافة الداخلية التي تتوافق مع الشكل والوظيفة.

من الناحية الهندسية المساحة والمسافة لها البعد الوظيفي الذي يخلق ويشكل لنا الهندسة الكلية للمسكن، والتي تضمن شكله من الناحية الخارجية والخارجية من خلال الملاحظات المسكن التقليدي التوزيع المساحي له يخضع لعامل البيئة بدرجة أولى ثم البعد الثقافي وكذا البعد الوظيفي هذه العوامل تُنتج لنا الشكل العمراني للمسكن التقليدي الحامل للهوية المعمارية للمسكن بمدينة قمار، وتختلف المساحة سواء للمسكن ككل ومسافة بين مختلف عناصره المعمارية والتي لها بعدها الهندسي والثقافي، والمساحة الداخلية للغرف ومسافة بين الجزء الداخلي والخارجي للغرفة، وتختلف المساحات على حسب وظيفة الغرفة، فالسباط بحكم وظائفه المتعددة تكون مساحته كبيرة ومسافته يكون أقرب للمدخل للمسكن التقليدي.

المساحة والمسافة من أهم مؤشرات والعوامل التي يأخذها الساكن المحلي في اعتباره وهندسة مسكنه الخاص به وتتحكم في توزيعه المجالي وتقسيمه الوظيفي للمسكن التقليدي، وبطريقته المحلية الشعبية سواء في عمليات قياس الغرف ومساحتها المختلفة، وتختلف كل غرفة وكل عنصر معماري مساحته ومسافته ما بين الغرف وباقي العناصر المعمارية له تصوراته الخاصة في تشكل هندسة مجاله السكني الداخلي، هذه الهندسة نجدها موحدة في كل المساكن التقليدية وبنفس المساحات ومسافات خاصة بين مختلف العناصر المعمارية، هذه التشابه يخلق لنا نفس الهندسة العمرانية لمدينة قمار التقليدية.

التنظيم الوظيفي للمسكن التقليدي من حيث المساحة والمسافة التي يراعيها الساكن داخل فضاءه الداخلي سواء من ناحية مساحة الفناء أو المساحة الداخلية للغرف وكيفية تقسيم المساحي لها وفق وظيفتها التي بُنيت من أجلها، فاختلاف المساحات بين أجزاء المسكن بمدينة قمار التقليدية له خصوصية في توزع المساحي والوظيفي الذي يتلاءم هندسيا ووظيفيا في تصور الفرد الساكن للمسكن التقليدي.

3-1-3 تنظيم المساحة والمسافة في ثقافة المسكن المعاصر

الهندسة المعاصرة للمسكن بمجتمع مدينة قمار تختلف في أبعادها الهندسية سواء من الناحية الكيفية التصميم والهندسة العامة لها، تتحكم في تقسيم المساحة العامل التكنولوجي كذلك من أثاث معاصر والأجهزة المعاصرة وهذا نلمسه أكثر في مساحة المطبخ والصالة، فمن خلال المقارنة بين مساحة المسكن التقليدي والمعاصر بمدينة قمار نجد أن العامل التقني والهندسي دور في التنظيم الوظيفي للمسكن الحديث، يختلف كذلك التوزيع الوظيفي الذي يقترن بالتنظيم للمساحة والمسافة، لكن لاحظنا أن عامل المسافة يتميز بالثبات وهذا من خلال التدرج في التوزع بين الفضاءات المكونة للمسكن المعاصر، اختلفت الأشكال والمسميات بين أجزاء المسكن المعاصر والتقليدي لكن الثابت هو الجزء الغير الملموس هو الجانب القيمي الثقافي أي التصور للمسافات بين عناصر مسكنه المعاصر ومجموع السلوكيات اليومية داخله.

تأثر المساحة المبنية الداخلية بالمعيش اليومي للأفراد وطريقة حياتهم، ومختلف السلوكيات التي لها علاقة بنوع المساحة، فتغير من الشكل التقليدي إلى المعاصر مثلا في المطبخ: كانوا يطبخون في المسكن التقليدي وهم جالسين يغسلون الأواني بوضعية الجلوس ويطبخون ويطحنون الأكل، في المسكن المعاصر تغير الوضعية أصبح الوقوف هو وضعية النسوة داخل المطبخ المعاصر فتغير المساحة ونوعية شكل المطبخ وجود الغاز والأجهزة الكهرو منزلية مثل فرن الطبخ والثلاجة خزانة الأواني كلها يأخذها الساكن في اعتباره عند هندسة مطبخه.

فنلاحظ في بعض مساكن مدينة قمار أن المطبخ يتسم بمساحة كبيرة وتختلف أشكاله ولمسات فنية من مواد البناء وزخارف، حيث تمثل **الصورتين (06-06).(06-07)**: شكل المطبخ وهندسته الداخلية وكيفية توزعه الداخلي والمواد المستخدمة في بناءه بحيث تناسب جماليا وبصريا مع لون الجدران وحرص الساكن على استخدام الألوان التي يتكون موضة في السكن مثل لون الأبيض والرمادي، استخدام الأبواب من الألمنيوم لا يسمع من في الخارج صوت المرأة في المطبخ، استخدام تقنية اخراج الهواء الساخن من

المطبخ وتغير رائحة المطبخ، احتوائه على مدخلين لحفظ حرمة تواجد المرأة في المطبخ في فصل الصيف تفتح أحد الأبواب لتقليل حرارته الداخلية .

وهكذا نجد في مساحات أخرى لمساكن معاصرة كذلك غرفة الاستقبال –الصالة– ذو مساحة كبيرة نظيراً لشكلها ووظيفتها ويلعب الأثاث دور في مساحتها والحمام كذلك وما يحتويه من أجزاء مختلفة لغرض الاستحمام فيحتاج إلى مساحة معينة لغرض تأدية وظيفته ونجده في بعض المساكن مقسم إلى ثلاث أجزاء أو جزئيين.

التغير في المساحة بين الشكل التقليدي والمعاصر لمسكن بمجتمع مدينة قمار نتيجة لتحولات على المستوى التقني والبارز في مجمل الاجهزة الحديثة والتقنية وكذا تغير في أسلوب حياة الأفراد وسلوكياته اليومية، فالمسكن المعاصر في مدينة قمار له عدة اشكال وتعدد في المساحي على حسب قدرة الفرد أو المساحة الكلية للمسكن، ونلاحظ هنالك تباين في الهندسة والجمالية من حيث الزخرفة الألوان والأثاث من حيث عصرنته ويتكلف الساكن في جعل مسكنه بشكل معاصر أكثر من خلال أشكال جمالية في مسكنه وزخارف بمختلف الألوان سواء في عملية الطلاء او الفرش والسجاد الحديث على عكس المسكن التقليدي الفرش والسجاد من الأعمال اليدوية التي تقوم بها من خلال حرفة النسيج وغزل الصوف المستخرجة من صوف ووبر الحيوانات التي يقومون بتربيتها، فالأسرة التقليدية مكتفية بنفسها وتقوم بإنتاج ما تحتاجه من فرش وسجاد وأغراض حياتية من المأكل والمشرب.

الصورة رقم (06-06): التصميم الداخلي لمطبخ في أحد المساكن المعاصر بمدينة قمار

الصورة رقم (06-07): الشكل يوضح الهندسة الداخلية للمطبخ وتوزع الفراغات الداخلية له لأحد المساكن المعاصرة

المصدر: من إعداد الطالبة 27/06/2025

رابعا: الشكل العمراني للمسكن بمدينة قمار: الوظيفة والجمالية:

لكل شكل عمراني وظيفة تختلف على حسب الاستجابة والحاجيات الثقافية والإنسانية لمجتمع ما، فالشكل التقليدي والمحلي يحقق جملة من الوظائف لسكانيه واختلف الوظائف تلك في النمط المعاصر لتقتصر على الجانب الجمالي الشكلي.

4-1 القيم الوظيفية للمسكن المحلي بمدينة قمار:

تعد القيم الوظيفية من أهم القيم التي تمتاز بها العمارة المحلية وتندرج القيم الوظيفية ضمن عاملين اساسين "أن تحقق العمارة الوظيفة التي صممت من أجلها والثاني أن تحقيق مختلف الخامات الوظائف الهندسة لها"[1]، أي أن تؤدي العمارة دورها في ظل ما صممت من أجله سواء من ناحية الأشكال الهندسية أو من ناحية مواد البناء، الهندسة المحلية للمسكن بمدينة قمار هندسة مستمدة من الأعراف الاجتماعية والعادات الثقافية لمجتمع قمار، ومن الناحية المادية تحمل هوية البيئة الطبيعة للمدينة الصحراوية التقليدية، التي تبرز من خلال مواد البناء المحلية الطبيعية وشكل المسكن ولونه.

من خلال الملاحظات نجد لون المسكن من الناحية الخارجية له لون يبرز الخليط بين مختلف مكونات مواد البناء من جبس وتراب وحصى الرقيقة فتعطيه اللون بين الأصفر والأحمر، في الداخل تكتسي الغرف لون الأبيض الفاتر لبنائها بالجبس المادة التي تحفظ البرودة في فصل الصيف والدفء في فصل الشتاء، فالألوان والأشكال تعطي هوية وتدل على الطبيعة البيئة والثقافية سواء الخارجية او الداخلية تحقق الوظيفة التي يُبنى من أجلها وحماية وتخفيف من المناخ الصحراوي داخل المسكن التقليدي بمدينة قمار.

المسكن التقليدي بمدينة قمار يتميز بالبساطة من حيث الشكل الخارجي له أو من الناحية الأشكال التي كانت ترتكز على القبة كعنصر عمراني ورمزي للمسكن، وكذا المسكن التقليدي يتشابه بين أشكاله وهندسته الخارجية في كل جزء من مدينة قمار التقليدية، ومن خلال ميزة البساطة والتشابه الهندسي والمعماري للهندسة المحلي في كل تفاصيله وتنظيمه الوظيفي سواء للمساحات أو المسافات الداخلية، وأن اختلفت في المعطيات والخصائص الاجتماعية والاقتصادية التي تخص عائلة عن غيرها إلا أن المشترك في الشكل العمراني الداخلي أو الخارجي للغرف والمسكن ككل، فمن خلال استعمال القبة في المساكن

[1] مها السيد محمد رمضان،" القيم الوظيفية والجمالية للفتحات المعمارية ودورها في إثراء الفراغ الداخلي "، في:مجلة **العمارة والفنون**، العدد 10، الجزء 02، 2023، ص 4.

التقليدية من حيث أنها عنصر وظيفي وكذا هملت هوية ورمزي عمراني لمنطقة الوادي ككل من خلال التشابه الكبير وحضورها في الشكل الهندسي للمسكن المحلي السوفي.

العمارة المحلية للمدينة التقليدية بقمار تعكس القيم والمبدأ الوظيفي الذي قامت من أجله وهو "إيجاد التوزان الوظيفي بين احتياجات الإنسان والبيئة المحيطة به"[1]، فالوظيفة الأساسية للمسكن هي تحقيق الراحة والاستقرار التي يسعى اليها الساكن من خلال استغلال الموارد الطبيعية لخلق نوع من التكيف بين المساحة المبنية والبيئة المحيطة.

4-2 المسكن المعاصر لمدينة قمار بين القيم الوظيفة والجمالية

للتحولات الاجتماعية والتكنولوجيا علاقة مباشرة على تطور الشكل العام للمسكن المعاصر بمدينة قمار، حيث تتسم المساكن بتعدد الاشكال المعاصرة وظهور البيوت الفخمة – الفيلا- يتسم بنوع من الفخامة سواء على مستوى التصميم أو الهندسة الخارجية للمسكن، من خلال الملاحظات الميدانية لبعض الاحياء تختلف الأشكال العمرانية للمسكن المعاصر بمدينة قمار تتميز بالفخامة وعلو المباني والمسكن متعدد الطوابق، أو السكنات الجماعية التي نجدها في منطقة واحدة متمركزة بمدينة قمار.

من خلال كلام أحد الاخباريين حول هندسة الأشكال المعاصرة للمسكن بمدينة قمار وسؤالنا حول كيف يفسر ذلك الاختلاف في الأشكال الفخمة في المسكن المعاصر: "**الي يجي يصمم للحوش اتاعه يجيب صور من ثقافة أخرى وبعيد عن وش متعارف عليه ولا يشبه لا المناخ ولا المجتمع تع قمار الي كان قبل، الساكن حاب مسكنه كبير وفخم ومطور في التصميم**[2]"، ونفهم من خلال كلام الإخباري الساكن بمدينة قمار يتابع التطور الحاصل في الهندسة العمرانية للمسكن، ولتحولاتها في عوالم أخرى وثقافات مغايرة وتصبح المساكن في مدينة تختلف أشكالها وأحجامها وفق لمحددات مرتبطة بالساكن والمالك للمسكن، وعليه فالعمارة هنا يمكن اعتبارها أنها من المؤشرات الثقافية المادية التي تمدنا بمدى التغير والتحول الذي مس المجتمع وبنيته الثقافية من خلال التحول في الشكل العمراني للسكن الذي أثر جوانب سوسيوثقافية لمجتمع مدينة قمار.

من الباحثين الذين اهتموا بشق الشكل الهندسي للمسكن الباحث الانثروبولوجي **Amos Rapoport** في كتابه "**House from and culture**" حيث خصص الفصل الثالث حمل عنوان "**Socio-**

[1] صالح محمد مبارك، وآخرون، سمات وملامح العمارة التقليدية في مدينة عدن، في : **مجلة جامعة عدن للعلوم التطبيقية**، المجلد 05، العدد 02، سبتمبر 2001، ص 326.

[2] مقابلة: (ب، ح) 2024/28/25 من الساعة 11:30 إلى 12:10 م. بمركز الدراسات العمرانية والتقنية بقمار.

cultural factors and house from[1]" اهتم بالعوامل الثقافية والاجتماعية لشكل المساكن في الثقافات المتعددة من حيث المسافات والأشكال الهندسية ودور العوامل الثقافية وتصورات الأفراد ومعتقداتهم حول المسكن، وهذه الرؤى والمعتقدات الثقافية التي تؤثر على الشكل والمسافات والمساحة للمسكن في ثقافة المجتمع تشمل الأسلوب ونوعية الحياة اليومية للأفراد والجماعة الثقافية المالكين للمسكن، فمن خلال نمط حياتهم وسلوكياتهم اليومية يتم تحديد الابعاد الثقافية للمسكن سواء عدد الغرف والمساحات الداخلية لها، وشكل المسكن الذي يحمل بعد ثقافي يعبر عن جملة من المعتقدات الشعبية لتلك الثقافة دون غيرها.

المسكن على حسب وصف **مارتن لوثر** بأنه "سجل لعقائد المجتمع" [2] أثار الباحث الانثروبولوجي **أموس رابوبورت** نقطة مهمة حول الجوانب التي تكتسي أهمية كبيرة وتشكل فارق ولها تأثير مباشر على شكل المسكن على اختلاف نمطه سواء التقليدي أو المعاصر وعلى اختلاف الثقافات في عوالم اخرى والمتمثلة وشملت العوامل الثقافية والاجتماعية المعتقدات العقائدية والتركيب الأسري ونمط الأسرة المقيمة في المسكن وتراتبها الاجتماعي والاقتصادي ونمط القبلي السائد فيها وتوزعه الهيكلي ضمن المجال العام والخاص لتلك الثقافة، هذا كله يعطيها ويبرز لنا الخلفيات السوسيوثقافية وأسلوب حياته المتفرد الخاص به التي لها تتأثر بشكل المسكن ومساحته وعدد الغرف والطقوس والشعائر الدينية المختلفة، فالمسكن التقليدي بمجتمع قمار له تلك العناصر المحددة في شكله ومساحته ومختلف الوظائف لعناصره والتي تتوافق مع أسلوب حياته ومعاشه ومكانته الاجتماعية.

المسكن المعاصر بمدينة قمار يبرز ذلك التحول في دينامية المجتمع الذي يبرزه السكن كشكل من اشكال التحول في الجانب المادي الثقافي، ومن خلال المقارنة بينه وبين النمط التقليدي نلاحظ أنه التحول ليس في الشكل فقط بل أنتج تغير على مستوى الحياة اليومية وما تفتضيه الحياة المعاصرة، فالتغير من الشكل التقليدي الى المعاصر معناه تغير سلوكيات وبعض القيم خاصة السوسيوثقافية التي يحملها الشكل معه وتأثيره على حياة الأسرة داخل المسكن وظهور قيم افرزتها الحياة المعاصرة.

يؤثر شكل المسكن المعاصر أو التقليدي على نمط الحياة وتحدده وفي مجتمع قمار نلاحظ السلوك اليومي للفرد تغير من طريقة الجلوس التي كانت من وضعية تربيع القدمين والجلوس في الأرض ونوع

[1] Amos Rapoport, **House from and cultural foundations of Geography Serie**, prentice –hall .lnc, unite states of American, 1969, p44.

[2] محمد مسعد إمام عفيفي، "المسكن التقليدي بمنطقة المحس بالسودان دراسة أنثروبولوجية"، في : **مجلة الثقافة الشعبية**، العدد 57، 2022، ص 161.

الحصير ونوعيته، طريقة الأكل وأدوات الطبخ وطريقة تخزين المواد الغذائية، في المسكن المعاصر تغيرت كل هذه النمط من الحياة وتغيرت معه شكل المسكن من طريقة الجلوس في الأكل إلى وجود الطاولة والكرسي،" فالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية تؤدي إلى زيادة تطلعات الأسرة واحتياجاتها"[1]، من طرق تخزين وتخصيص غرفة خاصة يخزن فيها المواد إلى حداثة التخزين من خلال وسائل التبريد وحفظ الأكل ووجب توفير له مساحة في المسكن، وكذلك السيارة وجب تخصيص لها مساحة ضمن المسكن، فشكل المسكن المعاصر بمدينة قمار يراعي الحياة الاجتماعية المعاصرة التي يعايشها الفرد وتشهد حالة من التحول السريع والدائمة في التطور.

الشكل المعاصر للعمارة المعاصرة سواء السكنية أو الحضرية لمدينة قمار التي تشهد تجدد في المشهد الحضري، سواء من خلال هندسة عمران المساكن الذي يدل على القيم المرجعية الثابتة والمتحولة في الحيز المديني الصحراوي، أو من خلال عمليات تطوير للمدينة من خلال التركيز على الشق البصري للمدينة من مساحات خضراء وفضاءات ترفيهية يعيد الحياة ويجدد الشكل التقليدي الذي تعود عليه المار وكذا الفرد بمجتمع قمار.

التغير في مرفولوجية مدينة قمار التقليدية من الشكل الهندسي المحلي الصحراوي المميز بعناصره العمرانية حيث تُظهر هذه الاجزاء المكونة للمدينة التقليدية "التعبير الفطري بعفوية وصدق عن المجتمع واحتياجاته"[2]، والعمارة التقليدية حملت هوية المجتمع الصحراوي وقيمه وعاداته من خلال شكل المساكن أو الطرقات والمساجد، في الوقت الحالي عندما نلاحظ المساكن بمدينة قمار لا تحمل مواصفات العمارة الصحراوية بل اشكال مستوحاة من بيئات مختلفة ونجدها في مناطق غير صحراوية فالشكل العمراني انتقل من شكل ثقافي وهوية الى قالب عمراني مادي لا يبرز المعاني الثقافية للمدينة .

خامسا: التغير الثقافي لقيمة التنظيم الوظيفي لمسكن مدينة قمار

الاختلاف الهندسي لقيمة التنظيم المجالي في النمط التقليدي وأهم العوامل المحددة له والمتحكمة في توزع الفضاءات الداخلية والشكل الخارجي، والنمط المعاصر وأهم المحددات السوسيوثقافية التي تبرز ذاك التحول لقيمة التنظيم المجالي بين النمطين، ومن خلال عملية المقارنة بين الهندسة العمرانية التقليدية والمعاصرة نفهم أن التنظيم المجال يُعتبر حاجة ثقافية أكثر منه فكر هندسي فمن خلال تلك

[1] محمد مسعد امام عفيفي، مرجع سابق، ص 161.

[2] طرطاق الوردي، "مظاهر العمران الاسلامي بوادي سوف "الاعشاش نموذجا"، في : **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، العدد 18، 2018، ص 219.

العوامل والمحددات التي تقف خلفه والاعتبارات التي يضعها الساكن المحلي أو الفرد المعاصر في تنظيم مجاله السكني الداخلي والخارجي، ذلك التحول إنما هو مؤشر لتحولات على المستوى العلاقات الاجتماعية، ولتغيرات في المجال الاقتصادي .

من خلال الملاحظات نجد الانتقال الهندسي بين النمط البسيط التقليدي الموجود بين مختلف افراد المجتمع الى الشكل المعقد والفاخر الذي يميز فرد عن غيره، ويضع هوية ومكانة اجتماعية لفرد دون غيره، فمدينة قمار التقليدية شهدت تغيرات على مستوى هندسة عمرانها سواء في فضاءاتها العمومية الثقافية أو على عمارتها السكنية فالمسكن في ظل التحولات والتغيرات هو دلالة عن التوجه الاجتماعي والقيمي الذي يتجه إليه مجتمع قمار، فالانتقال من وحدة السكن في الهيكلة إلى تعدد الهياكل العمرانية في المسكن المعاصر، نفهم من خلال هذا أن المجتمع انتقل من القيم الموحدة والمشتركة إلى تعدد تلك القيم والمفاهيم والتصورات التي تميز الفرد عن غيره وتبعد عن فكرة الهوية المجتمعية للمسكن.

ومن خلال هذا يمكن أن نقول ان العوامل المتحكمة في شكل والابعاد المختلفة للمسكن بمجتمع مدينة تتحكم فيه عدة محددات والتي أثرت على التغير العام للمسكن من نواحيه الهندسية اي المساحة ومسافة بين الغرف وشكل المسكن ومن أبرز تلك المحددات:

- **تغير الاحتياجات الاساسية:** المسكن التقليدي بمجتمع مدينة قمار له الشكل البسيط الشعبي والذي يتماشى مع الاحتياجات البسيطة مع أفراد المجتمع واسلوب حياتهم ونوعية معاشهم اليومي ومع التغيرات وأصبح هنالك متطلبات كثيرة في الحياة المعاصرة، أصبح المسكن يحتوي على كثير من الأغراض والأثاث والأجهزة التي أثرت بدورها على مساحة ومسافات بين الغرف فطريقة النوم اختلفت والجلوس من وضعية الجلوس في الأرض والأكل في طبق واحد في أسرة واحدة إلى طاولة وكراسي وكلن يتناول على مسافة مع الآخر وغيرها من الاحتياجات التي نجدها تحول بين نمط التقليدي للمسكن والمعاصر.
- **مكانة المرأة في المجتمع:** ارتكزت الهندسة الشعبية على وجود المرأة داخل المجال السكني الخاص وتمت هندستها لحمايتها وحرمة وجودها وسترها، فالمسافات المختلفة هي تعبير عن خصوصية وجودها وتصور الثقافي للرجل حول المرأة وجسدها، ومع التغيرات الاجتماعية لمكانة المرأة وتفاعلها مع الرجل ضمن المجال العام تغيرت الاشكال من المغلق إلى المفتوح، فشكل هو تعبير رمزي ثقافي عن تغير على

مستوى الاجتماعي، وفي ظل هذه المفاهيم والرؤية الثقافية تتحدد بشكل أساسي الشكل العام للمسكن وتنظيم مساحته[1].

– **عامل الأسرة:** فالتغير في بينة الاسرة ونمطها أدى إلى تغير في شكل المسكن ومساحاته الداخلية، وتوزع الغرف ومختلف العناصر العمرانية الأخرى، فالأسرة لها دور في هذا التغيير الحاصل وتغيرت معها قيمة التنظيم الوظيفي بكل أبعادها الهندسية والاجتماعية والثقافية.

الدراسات الانثروبولوجية اهتمت بالمسكن عنصر حيوي له تغيراته الهندسية وتأثيرها على النسق الاجتماعي والثقافي، فيمكن اعتباره أنه أحد المعايير التي يمكن الرجوع اليها في دراسة التحولات الاجتماعية والاقتصادية، فتختلف الثقافات على اختلاف بناءها وهيكلة مسكنها فهي تبني انطلاقا من تصوراتها حول الكون والآخر الذي تحمي مسكنها منه، وتصور مجمل معتقداتها وافكارها وفق نمطها الثقافي الخاص بها، فكل ثقافة لها تصورها الخاص حول احتلاها للفضاء السكني الخاص بها تترجمها على مستوى الفضاء المنزلي وكيفية توزعه الداخلي وابعاده الرمزية، فمختلف الطرائق والاساليب التي يحتلها الأفراد في مجالهم السكني هي "تعبير عن قيم مجتمعية سائدة في تلك الثقافة دون غيرها"[2].

التغيرات التي حصلت على مستوى الهيكل العام للمسكن في الهندسة الداخلية لا يزال يحتفظ ببعض الملامح الثقافية المستمدة من النسق القيمي الديني سواء في تدرج الفضاءات من العام إلى الخاص إلى الأكثر الخصوصية، فالتغير هو تغير مادي في هندسة واحتفظت بذاكرة الفرد ببعض الثوابت المجالية في سكنه المعاصر، تلك المحافظة دلالة على التمسك الفرد ببعض القيم والمعايير التي تعبر عنه وعن السياق الثقافي الذي يضع مسكنه المعاصر ضمنه والسلوكيات التي تحتوي المسكن.

تتماشى التحولات الحاصلة في مجتمع الدراسة مع تغيرات في الهندسة العمرانية للمدينة ككل، فمدينة قمار من مناطق التي تشهد تغيرات على النسيج الحضري ككل وبروز فضاءات معاصرة في المدينة من مقاهي بشكل معاصر، قاعات الحفلات ببناء معاصر وحديث، مساحات الخضراء، الفضاءات للترفيه والعائلات، مطاعم على اختلاف الأكلات السريعة منها والتقليدية، مناطق صناعية المحلات التجارية، شبكة طرق وحركية النقل، كل هذه الفضاءات لم تكن موجوده في الجزء التقليدي من لمدينة

[1] Danièle jemma –Gouzon, **"villages de l'Aures archives de pierres**, l' Harmattan, paris, 1989, p207.

[2] عبد الله بن معمر، "الفضاء السكني والثقافة، نحو انثروبولوجيا للمنزل"، في : **مجلة الثقافة الشعبية**، العدد 52، 2021، ص 20.

قمار، هذه الفضاءات وتوزعها ضمن التنظيم المجالي لمدينة يكسبها هوية معاصرة في الهندسة والعمارة، ومنطقة قمار تعتبر جزء من مدينة الوادي التي تعد من المدن الصحراوية التي طرأ عليها تغير وتحول كبير على المستوى العمراني والاجتماعي .

التنظيم المجالي كتصور ثقافي ومعماري في هندسة عمران المسكن بمدينة قمار تواجده ضمن التصور الثقافي للفرد ضمن القيم التقليدية وكذا في هندسة عمران المسكن المعاصر مع التغير الحاصل في شكله لكن الحفاظ على تلك الثوابت والتصور رغم هندسة المعاصرة للمجال السكني نفهم أن الفرد لديه تمسك ومحافظة على تلك المبادئ التي تحكم سلوكه ويعمل على هندسة سكنه في إطارها كدلالة رمزية توحي بالحفاظ والتسمك وأنه التنظيم المجالي من القيم التي حافظت على مضمونها ورمزيتها مع تغير في الشكل والهيكلة الداخلية للساكن بمجتمع مدينة قمار.

الشكل التقليدي والمعاصر هو تعبير عن تلك التحول الذي أصاب المجتمع ككل ومدى التطور العمراني الذي وصلت مدينة قمار وهندستها العمرانية وكذا تغير الاحتياجات للفرد واختياره لتنظيم مسكنه الداخلي الذي يتماشى مع أسلوب حياته الحالي، المسكن بمدينة قمار التنظيم المجالي له شق الثابت والمتحول في مجتمع قمار الثابت مستمد من القيم الثقافية والدينية والمتحول الذي يتماشى مع الحياة المعاصرة الحالية والعمارة الداخلية للمسكن هي دالة عليه من خلال الشق المادي سواء في مواد البناء أو القدرة المالية للساكن، دلالة الثبات أن للقيم الثقافية والدينية دور في توجيه سلوك الأفراد سواء في الشق المادي وللامادي في حياتهم اليومية ووضعها ضمن القالب المعاصر والمحافظة على جوهر القيمة، كقيمة ثقافية معبرة عن الهوية المجتمعية لمجتمع له الهوية الصحراوية.

خلاصة الفصل:

التنظيم الوظيفي كقيمة عمرانية ثقافية في هيكلة المسكن التقليدي والمعاصر بمدينة قمار الذي يعرف المجتمع فيها تحولات اثرت على القيمة على المستوى الشكلي والمساحي التي تعتبر من الإفرازات المعاصرة في حياة مجتمع قمار، فالتحول من النمط التقليدي المساير لتقاليد وعادات المجتمع في بساطة حياته اليومية وقدرته المحدودة ومعاشه اليومي إلى النمط المعاصرة الذي يحاكي ثقافات أخرى وأشكال عمرانية لها المشابهة في الشكل العمراني وتشهد حداثة في بنيتها التحتية، هذا أثر على التنظيم المجالي كقيمة متحولة في العالم المعاصر وفهم دلالاتها الاجتماعية والثقافية في هندسة عمران المسكن بمدينة قمار. ومن خلال ما تم التطرق اليه في هذا الفصل وصلنا إلى النتائج الآتية:

- التنظيم الوظيفي قيمة عمرانية ثقافية تهتم بكيفية توزيع المساحة الداخلية للمسكن بمدينة قمار التقليدي والمعاصر.
- في الثقافة المحلية التنظيم الوظيفي قيمة أبعادها الثقافية مستمدة من حرمة المكان وخصوصيته السمعية والبصرية الذي يراعيها الفرد في هيكلة مسكنه ووفق احتياجاته الوظيفية للساكن.
- للبعد البيئي دور مهم وأساسي في هيكلة التنظيم الداخلي للمسكن سواء في الثقافة المحلية أو المعاصرة فالبيئة جزء فعال في بروز الهوية الصحراوية لمدينة قمار.
- الجزء الثابت في الثقافة التقليدية والمعاصرة التي يأخذها الساكن في اعتباره لتنظيم مجاله السكني هو الشق القيمي الثقافي المستمد من القيم الدينية من حرمة واعتقادات حول المسكن.
- الجانب الاجتماعي له دور في التحول بين النمط التقليدي والمعاصر فتغير نوع وحجم الأسرة له نتائجه من تغير نوع المسكن ونمطه الداخلي من مساحة ومسافات داخل المسكن.
- الجانب الاقتصادي من الجوانب التي لها تبعاتها على الشكل والهندسة الداخلية للمسكن وطريقة تنظيمه داخليا، حيث تلعب المقدورة المالية في هندسة المسكن واعطاء هويته الاجتماعية ومكانه للساكن.
- المساحة الداخلية للمسكن التقليدي لها الأبعاد الثقافية قبل أن تكون ذو بعد هندسي، وتختلف المسافات على حسب وظيفة والحاجات الانسانية للفرد الساكن بمجتمع قمار.
- التغير الهندسي للمساحة الداخلية للمسكن بمدينة قمار مستها عدة جوانب سواء الاجتماعية من خلال التغير في حجم الاسرة وكذا الجانب المادي للفرد.

– الشكل العمراني للمسكن التقليدي بمدينة قمار له خصائصه العمرانية والاجتماعية والثقافية الذي يلبي مجموعة من الوظائف والحاجات المختلفة للأسرة ذات القيم التقليدية ويبرز البنية المجتمعية لمجتمع تقليدي.

– الشكل العمراني المعاصر له دلالة ورمزية على المكانة الاجتماعية للساكن، ودال على دوره الاجتماعي ووضعه الاقتصادي.

– التحول الهندسي للشكل العمراني للمسكن بمدينة قمار وانتقاله من الشكل البسيط والذي نجده موحد ومشترك بين مختلف العائلات بمجتمع قمار دال على الهوية الثقافية والتوجهات القيمية المشتركة، إلى شكل معقد يبرز التعدد القيمي وتنوع في الأفكار والتصورات ووضع جليا الفروقات الاجتماعية بين مختلف شرائح المجتمع.

– التغير الذي مس القيمة التنظيم الوظيفي تغير على مستوى الشكل والمساحة للمسكن وأبرزه بشكل مغاير للشكل التقليدي المتعارف عليه في المجتمع المحلي.

– يمر المسكن بمدينة قمار بتغيرات كبيرة تمس شكله العمراني وهندسته الداخلية وظهور أشكال معاصرة تنتمي عمرانيا إلى مجتمعات مغايرة بمضمون ثقافي محلي يبرز التنظيم المجالي كقيمة مرجعية في هندسة عمران المسكن بمدينة قمار.

– الثقافة المحلية والمعاصرة بينهما مسافة زمنية وكذلك ثقافية فمن خلالها تغيرت العديد من المؤشرات الثقافية الدالة التحولات التي يعرفها مجتمع قمار، والتي تبرزها عمارة المسكن وتدل عليها من خلال التغيرات العمرانية الحاصلة على مستوى هيكله او المواد البناء المستخدمة في تشييد المسكن.

– التغير في التنظيم الوظيفي للمسكن التقليدي والمعاصر له البعد الوظيفي من المسكن الذي يلبي أهم الوظائف وكل غرفة لها الوظيفة الخاصة بها إلى شكل معاصر كل غرفة وحيز داخلي له التعدد الوظيفي هذا السلوك يمارسه الفرد لقلة المساحة المسموحة بها وعدد الغرف للمسكن المعاصر.

– التنظيم الوظيفي قيمة رمزية مكونة لتصورات الفرد لمجاله الخاص، وطريقته الخاصة في تنظيم وترتيب مجاله السكني على اختلاف نمطه، ومن خلال عمليات التنظيمية لمجاله السكني فهو يعكس لنا مجموعة التصورات القيمية ويجسدها في مفهومها العمراني لعمارة مسكنه الخاص به وفق ما يتناسب أسلوب حياته الخاص به.

نتائج الدراسة

جاءت دارستنا حول المرجعيات القيمية في هندسة عمران المدينة الصحراوية التقليدية والمعاصرة، هدفنا من خلالها إلى فهم تلك التحولات التي اصابت الشق القيمي والتي لها انعكاس مباشر على بنية مجتمع مدينة قمار، وتقديم تفسيرات حول تلك التحولات وفهمها فب ظل السياق الثقافي والاجتماعي لمجتمع الدراسة، ومن النتائج والاستنتاجات العامة التي التوصل اليها والمتمثلة في:

– تعبر الهندسة العمرانية التقليدية لمجتمع مدينة قمار عن تلك الثقافة التي كانت سائدة في فترة ما في زمن ثقافي معين، جسد من خلالها تصوراته وعقائده ضمن مجاله العمراني فالهندسة العمرانية قبل أن تكون بناء مادي ومواد تقنية هو تعبير ثقافي وهوية عبر من خلالها المجتمع عن تلك الحالة التي كان يعيشها والتصورات التي كانت سائدة في ذلك الزمن الثقافي العمراني.

– المسكن التقليدي بمجتمع مدينة هو عبارة عن حيز ثقافي بامتياز، تتجمع فيه العادات والتقاليد الاجتماعية نجدها متجسدة في أدق التفاصيل العمرانية من تموضع لباب الدار أو النافذة أو الحيز المنكسر، فالجانب القيمي حاضر في البناء وطريقته، وتموضع الوحدات العمرانية التي تتناسب وظيفيا فيما بينها لتشكل وحدة متكاملة وظيفيا تعبر عن ثقافة مجتمع في شقه المادي.

– التغير في الهندسة العمرانية للمدينة الكل من نمطها التقليدي إلى المعاصر هو دلالة عن التغيرات الثقافية في شقها المادي من المدينة ككل، مست الجوانب الثقافية خاصة في شقها القيمي حيث هنالك الجوانب القيمية التي تعد مرجعية في هندسة العمران لدى مجتمع قمار أصابها هذا التغير لكن على شكل مستويات عدة منها ما تحول بالكامل ومنه من يتعايش وفق ثانية (تقليدي /معاصر) من الناحية العمرانية التي تترجم تلك التحول على المستوى الثقافي، وهنالك قيم استحدث في المجال العمراني لمجتمع مدينة قمار تبرز عن ولادة مجتمع مغاير بقيم مغايره في البيئة والثقافة وتختلف عنه من الناحية المرجعية الثقافية وحاملة لتوجه قيمي معاصر.

– التحولات القيمية الحاصلة على مستوى العمارة وانتقال من النمط التقليدي والمعاصرة هي ترجمة لتغيرات لبنية المجتمع ككل، وتغير انتقل فيه المجتمع من الزمن التقليدي الشعبي والحياة المعبرة عن ما هو بسيط طبيعي في المعاش الى زمن معاصر بثقافة مختلطة بين التجذر الثقافي والمعاصرة في الشكل، وهذه التحولات تتميز بشكلها المعاصر وجذورها التقليدية وهذه ما يعطيها صفة المرجعية القيمية أو الثقافية واعتبارها ذاكرة جماعية يلزمها أجيال وسنوات عدة حتى تموت جذورها وهذا الموت يكون بهدم تلك القيم ومحوها بطرق تدريجية حتى تتماهى تلك القيم مع قيم معاصرة مختلقة المرجعية من الناحية

الثقافية، فالعمارة هي جذور ثقافية صنعها الإنسان لتعبر عنه وعن تصوراته للزمان والمكان المحيط به والتجارب التي مر من خلالها ومجمل خبراته حول الحياة سعيا منه للكيف والبقاء.

– ظهور بعض القيم المستحدثة التي عبرت عنها العمارة، وتلك القيم مغايرة للنسق القيمي المتعارف عن المجتمع الصحراوي، أبرزها الفردانية التي عبرت في المسكن الخاص فبعد أن كان السكن المشترك بقيم التعاون والتضامن، انفرد الفرد بملكية سكن خاص شكل له عزله في المجال الخاص به وأصبحت له ملكية فردية لفضائه الخاص بعد أن كانت ملكية مشتركة تخلله التفاعلات الاجتماعية وصلابة العلاقات العائلية التي خلقها المسكن التقليدي.

– اختفاء العناصر العمرانية المعبرة عن هوية مجتمع مدينة واد سوف ككل مثل القبة كرمز عمراني وهوية وميزة عمرانيا وثقافيا عبر عن باقي المدن الصحراوية، وكان لها دور ووظيفة في العمارة التقليدية، تواجدها المعاصر ضمن السكن المعاصر اختفت واتخذت المساكن قالب موحد في كل المساكن وهذا لتبيعات منها ما هو خاضع لسياسية التخطيطية للمدينة واتباع المعاصرة في العمارة وتصميم المساكن والتخلي عن الهندسة الشعبية في جل تفاصيلها العمرانية، فالمساكن تتشابه في الشكل والهندسة والتوزع الداخلي واتخذ نوع من القالب الجاهز، فالمسكن بمدينة قمار يشابه كل المساكن من ثقافات مغايرة ولا يشابه المسكن الحامل لهوية ثقافة مجتمع قمار، وهذا نوع من الذوبان الثقافي للثقافات مختلفة تخلق لنا عنصر معماري نجدة في كل مكان لكن غير معبر عن ثقافة مجتمع صحراوية، فتغير العمارة من عنصر ثقافي وفن حامل للهوية إلى عمارة تقوم على الانبهار في التصميم وتجارة كل ما زاد مالك وقيمتك الاقتصادية ارتفع مسكنك وتعقدت اشكاله وزاد التفاخر والعلو عن باقي عن المساكن المجاورة .

– التغير القيمي والتحولات التي عبرت عنها هندسة المسكن بمجتمع مدينة قمار هي تحولات شكلت لنا ثنائية (الثابت/المتحول) وهنالك قيم مستحدثة تبرز لنا ولادة مجتمع بملامح غير معروفة وهذا يقودنا الى استنتاج مهم وهو :

– القيمة تحمل جزئين مهمين الجزء الأول الثابت وهو النابع من التصورات والذي نجدة محافظ وهو الجزء التصوري الثقافي أي وجودها ضمن السياق الثقافي العمراني، والجزء المتحول فيها أو المتغير فهو الجزء الذي أثرت عليه التغيرات التي يعرفها المجتمع وتم استبدالها بشكل آخر مغاير عن ما كنت عليه في الثقافة المحلية التقليدية، فالتغير هنا تغير في الشكل دون المساس بجوهر الفكرة أو القيمة أو المنطلق الذي تعبر عن تلك القيمة، وهذا جزء مهم فعندما نقول أن الجوهر موجود والذي تغير هو الشكل وحتى الشكل يعتبر متغير ثابت أيضا فهو ثابت في التصور ومتغير في ملامحه وخاضع للمعاصرة والفرد خاق

نوع من المرونة في القيم، فأخضعها للتحولات المعاصرة دون المساس بجوهرها والذي يقودنا إلى أن جوهر القيمة عند البحث عنه حثياته فالشق الجوهري والأساسي منه يعود أصله إلى النسق الديني الموجهة، أو المقياس لمعرفة نوع الفعل الاجتماعي أن كان غير محبب أو محبب في ظل الثقافة المجتمعية المبنية على النسق الديني المحدد للموجهات القيمية في مجتمع مدينة قمار .

– مدينة قمار كمدينة صحراوية وأن كانت صفة الصحراوية في الوقت الحالي تبرز الصفة البيئية فقط والمناخ الخاص بها دون الجزء العمراني كما كانت في السابق، مع الوقت سوف تتغير ملامح المدينة وتصبح من المدن التجارية والاقتصادية، سواء الاقتصاد القائم على التجارة أو الفلاحة، الاقتصاد الثقافي القائم على تسخير عناصر الموروث الثقافي والسياحة التراثية في المجال الفندقي والسياحي، فالعديد من المراكز والمنتجعات السياحية التي بُنيت حديثا اتبعت في تفاصيلها العمرانية القيم العمرانية التقليدية وأهم العناصر الرمزية لمدينة مجتمع واد سوف وانتقال القبة من عنصر وظيفي إلى عنصر جمالي دون الوظيفة أي رمز فقط دال على الهوية من الزمن المحلي.

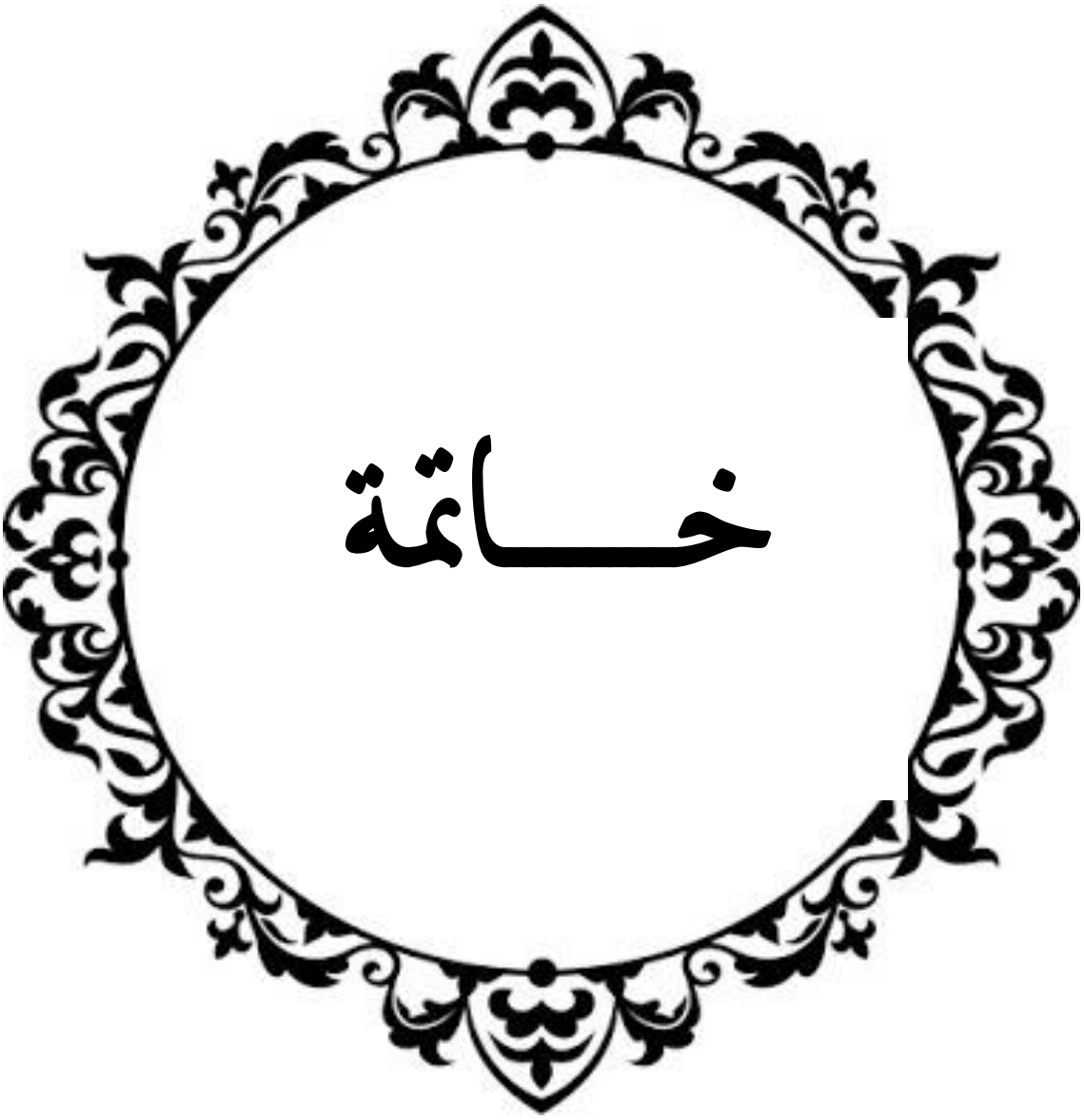
خـــاتمة

من خلال هذه الدراسة التي تمت في إطار فهم التحوّلات القيمية في هندسة عمران المسكن بمجتمع مدينة قمار، والفهم الجيد والعميق للتغيرات الهندسية العمرانية ،من خلال البحث في أهم المرجعيات القيمية التي تعتبر معيارا ومقياسا ثقافي في توجه سلوك وأفكار الأفراد في مجتمع قمار، وهذا من خلال استقراء وتقديم قراءة معمقة لتلك العناصر العمرانية المكونة للمسكن، لفهم دلالاته الرمزية وأبعاده الثقافية وتحليل الفكر الثقافي، الذي عن طريقه تم الانطلاق من تصور إلى بناء مادي ،يحتوي على مخزون رمزي ثقافي يحمل دلالة مجتمع وثقافة مدينة قمار، حيث تتضح تلك القيم من خلال الزوايا وطريقة البناء وتموضع الغرف والأبواب والنوافذ، التي تعتبر كلّها عناصر عمرانية له دلالاتها الثقافية.

التحولات القيمية الحاصلة بمجتمع مدينة قمار، هي تغيرات ثقافية في جانبها المادي واللامادي، حيث يوجد رابط بينهما، فالتغير في النسق القيمي وعوامل المسببة في ذلك تظهر توابعه ونتائجه على المستوى الثقافي المادي، معلنة عن قيم مستحدثة تنتجها العمارة المعاصرة من خلال عملية إحياء تلك القيم التقليدية وظهورها بشكل مغاير عن مّا هو متعارف عليه، وتطرأ عليهم تغيرات تلك القيم المرجعية في الشكل، ومع مرور الوقت تبدأ تلك القيم بالتآكل واحتمالية اختفاءها في العمارة السكنية المعاصرة.

ظهور الفضاءات المفتوحة، مثل: المطبخ وبيت المعيشة في المسكن الحديث، وهذا تعبير صريح عن الانفتاح في الفضاء العام وتصورات الفرد لمسكنه، وما تابع التطورات في مجال الهندسة العمرانية، فظهور عمليات التنافس حول من يكون مسكنه أحدث، في تفاصيله العمرانية وكذا من الأثاث والأجهزة الكهرو منزلية، ومن الأواني المنزلية ومواد البناء في ألوانها وأحجامها، هذه التفاصيل أصبحت في كل بيت وتحرص عليها العائلة خاصة النساء، ليكون المسكن كواجهة اجتماعية تعبر عن القيمة والمركز الاجتماعي للعائلة.

من خلال الملاحظة في مجتمع مدينة قمار، نرى طغيان العامل الاقتصادي على عمارة المسكن، فالقدرة المالية للفرد تحدّد شكل ونوعية مواد البناء والتفاصيل الداخلية للمسكن، ومن جهة أخرى ظهور السكن الاقتصادي بشكل كبير في مدينة قمار، انتقل المسكن من حاجة طبيعية لوظيفة الاستقرار والسكن إلى استثمار اقتصادي، من خلال بناء عدة سكنات فوق بعضها واستئجارها سواء للسكن أو لعمل عيادات على اختلاف التخصصات الطبية، هذا الشكل من المسكن لم يكن موجودا في مجتمع قمار من قبل، وإن كان هناك من يحتاج السكن يعطونه إياه كهبة له ،ولا يطلب مقابل ذلك مالا، في الوقت الحالي السكن اكتسب قيمة اقتصادية من بداية وجود قطعة الأرض ووجوده كعقار، وإن اختلف العقار على حسب مكان تواجده، فالقيمة الاقتصادية للمسكن تتزايد، وهي من إفرازات التحولات الحديثة المجتمعية .

شكل المسكن المعاصر تتفاوت فيه المعطيات الهندسية على حسب قدرة الشخص الاقتصادية، ويمثل صورة له عن ما يعيشه من أحوال حياته، فتواجد الفِلَلْ والمساكن الفخمة على القرب من المساكن غير المكتملة وأهلها الساكنين بها، أو مراكز حضرية في المدينة، نجدها تتميز بطابع معين دون غيره، وهذا نتيجة لعمليات التفاوت الاجتماعي بين أفراد مجتمع قمار، وهذا ما يخلق فجوة بين مختلف الأفراد ويمكن أن يكون مؤشرا على رجوع ظاهرة الطبقية والاختلاف بين أفراد الجماعة الواحدة، ويصبح للمسكن قيمة اجتماعية محددة لمكانة الفرد الاجتماعية ومركزه داخل المجتمع، تتغير قيمة السكن وفق الاحتياجات المعاصرة للفرد الحداثي.

دراسة التحولات القيمية لمجتمع ما أو ثقافة معينة، هي دراسة نركز فيها على النسق القيمي المرجعي الذي يستمد منها الفرد قيمه وعاداته الاجتماعية وسلوكياته الضابطة له في مجاله العام والخاص، وهذا لفهم وتقديم تصور يعبر عن المحددات التي تقف وراء تلك التحولات وأهم النتائج التي نراها على مستوى الاجتماعي والثقافي، وكيفية التحول وشكله البطيء أو هنالك ظواهر نتجت عن تلك التغيرات وافرزت مشكلات أو تفشي لظواهر تعود المجتمع عليها ووضعها في سياق المجتمعي، ومدى تأثرها المجتمع بها وتقبلها له.

مجتمع قمار من المجتمعات الصحراوية التي تعرف تحولات على المستوى المؤسسات الثقافية والاجتماعية للمجتمع ككل، ومن خلال هذه الدراسة التي تعد بمثابة دراسة معبرة عن ذلك التحول على مستوى النسق القيمي للمجتمع، فهمن خلالها يمكن البحث أكثر يكون في دراسات أخرى تدرس مجتمع قمار من جوانب متعددة تبرز التغيرات الثقافية من نواحي عديدة، فالجانب العمراني مع انتهاء الدراسة لاحظنا أنه في تغير دائم وأكثر تطورا وظهور عمارة حديثة متجددة في الشكل والجانب الثقافي والاجتماعي، فمن خلال هذه الدراسة التي نأمل أن تكون قاعدة تنطلق منها دراسات أنثروبولوجية تبحث في الجانب الثقافي لمجتمع قمار ودراسته الوقائع الثقافية والاجتماعية، وأثر التحولات على تركيبته الاجتماعية ومختلف المظاهر الثقافية التي تميزه حضوره الثقافي كجزء مهم وثقافي ومكون لمدينة واد سوف مدينة ألف قبة وقبة.

من خلال دراستنا التي تعد من الدراسات الأولية التي تطرقت إلى مجتمع قمار ودراسته دراسة أنثروبولوجية والتي نأمل أن تكون مرجعا مهما لمجتمع قمار والمجتمع الصحراوي ككل في مجال الأنثروبولوجيا الحضرية ومعرفة أهم التحولات القيمية للنسق الثقافي لمجتمع الصحراوي من خلال رموزه العمرانية والمعمارية لمجتمع قمار، وتستمر البحوث مستقبلا لتبحث في إشكاليات تنطلق من هذه الدراسة

وتكملها في جوانب مغايرة بشكل أعمق ودقيق وما يعرفه مجال الأنثروبولوجيا الحضرية من تغيرات وتحولات على مستوى قضاياه المستمرة للواقع للمجتمع الصحراوية، فالتطورات التكنولوجية مثلا لها تأثير على الهندسة العمرانية للمدينة الصحراوية هل تبقى محافظة على هندستها الرمزية الدالة على الهوية الخصوصية أم تشهد ذوبانا ثقافيا لتعبر عن ثقافة مغايرة في مجال هندسة عمرانها للمسكن المعاصر؟، والتأثيرات التكنولوجية والتقنية خاصة تطبيقات الذكاء الصناعي واستخدام التقنية في هندسة المجال السكني والعلاقة بين المحددات الثقافية بين الفرد ومسكنه في عالم حديث يعطي الاعتبار للجوانب المادية خاصة الاقتصادية والتكنولوجية دون الاعتبارات الثقافية والاجتماعية لمجتمع يفقد هويته وخصوصيته المعمارية التي تجسد ثقافة وخبرات وتجارب وتعبر عن أصالته العمرانية. كل هذه المواضيع سوف تأخذ نصيب من الدراسات في مجال الانثروبولوجيا الحضرية كمجال خصب يبحث العلاقة بين العمارة والمجتمعات المختلفة على اختلاف أقاليمها وامكنتها الثقافية.

قائمة المراجع والمصادر

-المراجع باللغة العربية:

أولا: المصادر

1.القرآن الكريم

ثانيا: القواميس والمعاجم :

2. منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري :" **لسان العرب** "، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر،

3.جميل صليبا ،**المعجم الفلسفي ج2**، دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت، 1982.

4. شارلوت سيمور سميث، "موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية "، تر: محمد الجوهري، ط 2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009،

ثالثا: الكتب

5. إبراهيم بن محمد الساسي العوامر ، "**الصروف في تاريخ صحراء وادي سوف** "، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977.

6. أحمد زغب، "**عمود الدخان رواسب الآخر في ثقافتنا الشعبية**"، دار الثقافة، الوادي، 2015.

7. إدوارد تي هال، "**البعد الخفي** "، تر: لميس الفؤاد اليحيى، الأهلية للنشر والتوزيع، الاردن، 2007.

8. اندري روجيه فوزان، "**مونوغرافيا سوف** "، تر: ابو بكر مراد، دار المعرفة، الجزائر، 2016.

9. جان .م . صدقه، " **معجم الاعداد رموز ودلالات**"، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1994.

10. جمال فزة، "**المنهجية الأنثروبولوجية بين إدوارد فستر مارك وإفانس بريتشارد** "، دار الأمان، الرباط، 2013.

11. جيامبترو جوبو، " **اجراء البحث الإثنوجرافي** "، تر: محمد رشدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.

12. حسن فتحي، " **الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية**"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977.

13. دافيد لوبروتون " **أنثروبولوجيا الجسد والحداثة** "، تر: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة 02، بيروت، 1997.

14. ربحي مصطفى عليان، "**البحث العلمي: أسسه، مناهجه وأساليبه، إجراءاته**"، بيت الأفكار الدولية، الاردن، 2010.

15. رحال بوبريك، "**بركة النساء الدين بصيغة المؤنث** "، افريقيا الشرق، المغرب، 2010.

16. روبرت إيمرسون وآخرون، " **البحث الميداني الاثنوجرافي في العلوم الاجتماعية** "، تر: هناء الجوهري وآخرون، المركز القومي للترجمة، مصر، 2010.

17. ضيف الأزهر، "**البيئة والمجتمع، دراسة تحليلية للصحة والمرض في منطقة وادي سوف** "، مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2010.

18. عبد الباقي إبراهيم، "**تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة**"، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر.

19. عبد الغني منديب، "**الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب** "، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

20. علي غنابزية، " **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300-1374/1882-1954**"، دار الهومة للطباعة والنشر، الجزائر 2017.

21. غي روشيه، " **مدخل إلى علم اجتماع العام** "، تر: مصطفى دندشلي، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1983.

22. فاطمة المرنيسي: "**ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية**"، تر: فاطمة الزهراء ازرويل، المركز الثقافي العربي، ط 02، الدار البيضاء، المغرب، 2007.

23. فتيحة ابراهيم، مصطفى حمدي الشنواني "**مدخل الى مناهج البحث في علم الإنسان " الانثروبولوجيا**"، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1977.

24. فيليب سيرينج، "**الرموز في الفن –الاديان– الحياة**"، تر: عبد الهادي عباس، محفوظ لدار دمشق، 1992.

25. محمد الصالح حثروبي، "**هجرات سكان وادي سوف إلى مدينة بسكرة خلال القرن العشرين** "، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2019.

26. مروى عصام صلاح، "**التاريخ والثقافة المعمارية**"، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الاردن، 2014.

27. نبيل محمد توفيق السمالوطي، " **الدين والبناء الاجتماعي –الجزء الاول –** " دار الشروق للطبع والنشر، ط 01، المملكة العربية السعودية، 1981.

28. نمير قاسم خلف، " **ألف باء التصميم الداخلي**"، جامعة ديالي، بغداد، 1426هـ/2005.

29. هاستنغز دونان، فيونا ماغوان "**انثروبولوجيا الجنس**"، تر: هناء خليف غني، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2017.

30. هاشم عبود الموسوي، " **توجهات العمارة الحداثوية** "، دار دجلة للنشر، عمان، 2015.

31. هشام المكي، **سؤال القيم بصيغ متعددة نماذج في العلوم الاجتماعية والإعلام والتربية والفن والثقافة**، مركز نماء للبحوث والدراسات، القاهرة، 2015.

رابعا : المجلات

32. إبراهيم حلباوي، مصطفي رباحي، "الهوية الاجتماعية من خلال انثروبولوجيا الفضاء المكان"، في : **مجلة الحوار المتوسطي**، المجلد الثالث عشر، العدد 1، مارس 2022.

33. براهم عصام، "تقسيم الفضاء السكني بين الجنسين في العائلة التقليدية "، في: **مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات**، جامعة تلمسان ، المجلد 07، العدد 02، سبتمبر 2018.

34. بشيرة عالية، بن عرفة إبراهيم، "الصورة كتقنية بحث أنثروبولوجية "، في : **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، المجلد 23، العدد 01، جوان 2022.

35. بن علي محمد الصالح، "**الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية: أكثر من 2600 مثل وحكمة شعبية مشروحة**"، مطبعة عمار قرفي، باتنة، 2012.

36. جمال معتوق، شماخي موسى اسماعيل، " **منهجية البحث الاثنوجرافي في ميدان العلوم الاجتماعية**"، في: **مجلة انثروبولوجيا**، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الانسانية والاجتماعية مجلد 04، عدد 04، 2018.

37. حبيب سعيدة، شوقي قاسمي، "**مساهمة الأسطورة في بناء عمائر المدن – مدينة قمار نموذجا –** "، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد 10، عدد 01، 2024.

38. حجلة مريم، بوخريسة بويكر: "التصورات الاجتماعية للعرض والشرف داخل الاسرة الجزائرية، أسر الشرق نموذجا "، في: **مجلة انثروبولوجيا**، :مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية ، مجلد 07، عدد 01، 2021.

39. حسناء سعدي، حسان حامي، "الرموز ضمن البنية المورفولوجية للسكن التقليدي الجزائري: رمز الخامسة نموذجا"، في: **مجلة انثروبولوجيا**، مجلد 09، العدد 01 السنة 2023.

40. حيدر عبد الرزاق كمونة، عبد الواحد اورانس: "توظيف موارد البيئة المحلية في إنشاء الوحدات المكونة للنسيج الحضري ضمن إطار الحفاظ على التراث العمراني (تجربة حسن فتحي نموذجا)"، **مجلة المخطط والتنمية**، المجلد 22، العدد 15، 2010..

41. سالم وكاري، "المكان السكني في الصحراء من الخيمة إلى الدار بين استمرار التصورات والممارسات وتحولها"، في : **مجلة التخطيط العمراني والمجالي**، المجلد 02، العدد 05، ايلول سبتمبر 2020.

42. السعيد عقبة، " النشاط العلمي والثقافي للزاوية التيجانية بقمار، خلال القرنين 19 و20م"، في: **مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية**، المجلد 06، العدد 02، 2016.

43. سعيدي محمد، "الأنثروبولوجيا والأسطورة كلود ليفي ستروس أنموذجا (2009- 1908)"، في : **مجلة الفكر المتوسطي**، المجلد 09، العدد 01، 2020.

44. شكريد عبد الكريم، سيكوك قويدر: "المدينة والمجتمع علاقة تأثر وتأثير: دراسة ميدانية لأنماط معمارية متباينة " مدينة بسكرة نموذجا"، في : **مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات**، جامعة تلمسان ،مجلد 07، عدد 02، سبتمبر 2018.

45. صالح محمد مبارك، وآخرون، سمات وملامح العمارة التقليدية في مدينة عدن، في : **مجلة جامعة عدن للعلوم التطبيقية**، المجلد 05، العدد 02، سبتمبر 2001.

46. طرطاق الوردي، "مظاهر العمران الاسلامي بوادي سوف "الاعشاش نموذجا"، في : **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، العدد 18، 2018.

47. طلحة بشير، "المدينة الصحراوية الجزائرية وإشكالات التحضر"، في : **مجلة أنثروبولوجيا**، المجلد 04، العدد 08، 2018.

48. عبد الله بن معمر، "الفضاء السكني والثقافة، نحو انثروبولوجيا للمنزل"، في : **مجلة الثقافة الشعبية**، العدد 52، 2021.

49. عماد صولة، "سيرورة الرمز من العتبة الى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في المسكن التقليدي التونسي"، في: **مجلة إنسانيات**، مركز البحوث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، عدد أفريل 28 أفريل – جوان 2005.

50. كريمة عطوب، يوسف حنطابلي: "أثر التحولات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري على بينة الأسرة الجزائرية وتجلياتها الأغترابية"، في **مجلة: حوليات جامعة الجزائر**، العدد 33 الجزء الثاني، جوان 2019.

51. لحسن دحماني، "المرأة والمجال بالمغرب، أية علاقة؟ "، **في: مجلة سوسيولوجيون**، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية المجلد 03، العدد 01، 2022.

52. لعمودي التجاني، "الاستدامة في العمارة الصحراوية"، في: **مجلة العلوم الاجتماعية**، المجلد 07، العدد 22، 2015.

53. مارك أوجيه، "**اللاأمكنة مدخل الى انثروبولوجيا الحداثة المفرطة**"، تر: ميساء السيوفي، ط1، مكتبة هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين، المنامة، 2018.

54. محمد الصافي: "المدن الصحراوية بجنوب المغرب من نسق البداوة الى ضرورة التحضر نظرة على التحولات الاجتماعية والعمرانية" في : **مجلة العلوم الاجتماعية**، المجلد 07، العدد 29، مارس 2018.

55. محمد الصالح بن علي، الفلسفة الجمالية لبناء القبة في وادي سوف في: **مجلة القباب**، العدد 08، 2014.

56. محمد سعيدي، "المقدس مفهومة وتجلياته"، في :**مجلة الآداب واللغات**، العدد 08، ديسمبر 2005.

57. محمد كركوب، "سوسولوجيا القيم في الاسرة المغربية "العرض والشرف نموذجا"، في : **مجلة تاريخ العلوم**، العدد الثامن، ج 2، جوان 2017.

58. محمد مسعد إمام عفيفي، "المسكن التقليدي بمنطقة المحس بالسودان دراسة أنثروبولوجية"، في : **مجلة الثقافة الشعبية**، العدد 57، 2022.

59. مشري محمد، "السكن المشترك وتأثيره على الممارسات الجنسية لدى الزوجين دراسة سوسيو أنثروبولوجية بمدينة وهران"، **في : مجلة المعيار**، المجلد 14، العدد 2، ديسمبر 2023، ص 203.

60. مصطفى شربال، "مفهوم القيم في الفلسفة والعلوم"، في : **مجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات**، المجلد 04، العدد 04، 2021.

61. مكي حياة، "دور السقيفة الاقتصادي والمناخي في أحياء المدن الداخلية"، **في : مجلة الدراسات الأثرية**، المجلد 20، العدد 01، 2022.

62. مها السيد محمد رمضان،" القيم الوظيفية والجمالية للفتحات المعمارية ودورها في إثراء الفراغ الداخلي "، في:مجلة **العمارة والفنون**، العدد 10، الجزء 02، 2023.

63. ميادة عبد الملك محمد صبري، " تخطيط وعمارة المدينة الإسلامية مدينة دمشق القديمة: نموذج حضري لقمة التعايش والتعامل في المنظور الإسلامي "في: **مجلة كلية التربية /واسط**، المجلد 01، العدد 11، 2012.

64. نورية سوالمية، "المدينة والحضرية في الجزائر: مقاربة نظرية"، في : **مجلة آفاق لعلم الاجتماع**، العدد 15، 2018.

65. نورية سوالمية، "توظيف الفضاءات السكنية الجاهزة بين التصورات والممارسات حالة مدينة وهران"، **في : مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ**، العدد 09، ديسمبر 2014.

66. هدى قاسمي، شريف درويش، "القيم الثقافية في مسكن العمارة الإسلامية"، في **: مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية**، العدد 01، 2021.

خامسا: الرسائل الأكاديمية

67. أحمد محي الدين العنسي، مرسال أمين الصهباني، "**دراسة تحليلية لقيم وخصائص وعناصر العمارة المحلية (دراسة حالة مدينة رداع)**"، مذكرة الماجستير في العمارة، الجمهورية اليمنية، 2014.

68. الإمام بريك، " **الثورة الجزائرية في وادي سوف 1954م-1962م** "، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2014/2013.

69. داحي اسماعيل، " **تحولات المدينة الصحراوية وإشكاليات الاندماج الاجتماعي والحضري: دراسة ميدانية بمدينة ورقلة**"، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة، ورقلة، 2022/2021.

70. روند حمد الله ابو زعرور، "**أثر التصميم الداخلي في انجاح محتوى الفضاءات المعمارية الداخلية والخارجية " المباني السكنية المنفصلة (الفلل) في نابلس نموذجا**"، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية، نابلس، فلسطين، 2013.

71. عبد العزيز حسونة، "**النسيج العمراني لمدينة قمار بمنطقة سوف من القرن العاشر إلى الثالث عشر هجري القرن السادس عشر الى التاسع عشر ميلادي : دراسة أثرية ومعمارية**"، مذكرة الماجستير في تخصص الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 2، 2009-2010.

72. عبد الكريم شكريد، "**الانماط المعمارية وعلاقتها بالخصوصية الاجتماعية والثقافية لمدينة بسكرة – الدراسة الميدانية بمدينة بسكرة –**" أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع والانثروبولوجيا، جامعة مستغانم، 2018/2017.

73. عثمان زقب، " **الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**"، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة. 2006/2005.

74. عطية قصي، " **بنية الأسرة وتحولات السكن والتساكن في الفضاء الحضري الصحراوي الجزائري دراسة أنثروبولوجية في مدينة ورقلة**، أطروحة دكتوراه في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، جامعة ورقلة، 2020/2019.

75. علي لمحنط، "**المدن الصحراوية بين متطلبات البيئة الحضرية وتطوير الصناعات الصغيرة والمتوسطة: حالة التجمع السوفي**"، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص تسيير المدن والتعمير، جامعة قسنطينة 03، 2022/2021.

76. محمود وحيد محمود صيدم، " **إحياء القيم التراثية في العمارة المحلية المعاصرة: حالة دراسية – مدينة غزة** "، مذكرة ماجستير في الهندسة المعمارية، غزة، 1434هـ -2013.

77. نوال بلغليفي، "**الوظائف الاجتماعية للمسكن التقليدي في المدينة الصحراوية –دراسة ميدانية بمدينة تقرت –قصر الزاوية العابدية نموذجا**"، أطروحة دكتوراه في العلوم، تخصص التخطيط الحضري، جامعة قسنطينة، 2016-2017.

-المرجع الأجنبية:

The books:

78. Amos Rapoport, "**Pour une Anthropologie de la maison collection Aspect de l'Urbanisme",** Dunod, paris, 1972.

79. Amos Rapoport, **House from and culture foundations of Geography Serie**, prentice –hall .lnc, unite states of American, 1969, p44.

80. Ayman Najeed Tomah, **Visual privacy recognition in residential areas through amendment of building regulations**, Urban Design and Planning**,** 2010/21/10.

81. Brahim Ben aicha**, " vivre au paradis D'une oasis à un bidonville"**, Ed du Sable d'or, Paris, 2005.

82. Danièle jemma –Gouzon, **"villages de l'Aures archives de pierres**, l' Harmattan, paris, 1989.
83. Elie Hadad**, Qu'est-ce qu'une "maison"? De Lévi-Strauss aux recherches anthropologiques et historiques récentes**, Éditions de l'EHESS, L'Homme, 2014/4-n212.
84. Marc cote, "**Dynamique urbaine au Sahara"**, Insaniyat, No 5, Mai-aout 1998.
85. Marcel Mauss, **Manuel d' ethnographie**, Edition, payot, 1926.
86. Mathilde Maire- Sebille, **le regarde à travers la fenêtre: de l'intime à l'ostensible**, Architecture, aménagement de l'espace, 2020.

Thesis:

89.Seurat Koirala, **cultural context Architecture**, Bachelor's Degree in Architecture under IOE Thapathali Campus, Tribhuvan University, Nepal, March 2016.

Articles:

90. Ali Saeed Bokh Ari and Others, **Impact of Islamic values and concepts in architecture: A case study of Islamic communities**, WIT transaction in Ecology and the Environment, Vol 241, 2020.
91. Ariani Mohammad Dini and Others**:" Principle of privacy in Islamic Architectural Design Context : A Systematic Literature Review،"** International Journal of Academic Research in Business and Social Sciences، Vol 13.
92. Boushra obeidat and Others, **privacy as a motivating factor for spatial layout transformation in Jordanian public housing** , City, Territory and Architecture, Vol 09, No 14, 2020.
93. Catalina –lonela Rezeanu, **"the relationship between domestic space and gender identity :some signs of emergence of alternative domestic femininity and masculinity "**, journal of comparative research in anthropology and sociology**,** Vol 6, No 2, 2015.

المواقع الالكترونية–

87.جريدة التحرير، "**مدير المقهى الشعبي "مقهى زقاق البيرو" السعيد رزوق للتحرير: نطالب السلطات المحلية والمخلصين من أبناء المنطقة للمساهمة في ترميم هذا المعلم وغيره من تراثنا التقليدي**"، https://www.altahrironline.dz.

88.مجموعة قمار زمان، https://www.facebook.com

الملاحق

ملاحق الدراسة:

- دليل المقابلة الميدانية
- صور من ميدان الدراسة
- نماذج من المقابلات والمحادثات الميدانية

الملحق رقم (1) : دليل المقابلة :

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة–

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

رقم المقابلة	
التاريخ	
الزمان	
المكان	

تحية طيبة:

من خلال الدراسة الميدانية حول موضوع "**المرجعية القيمية في هندسة العمران المدينة الصحراوية التقليدية والمعاصرة: دراسة انثروبولوجية ببلدية قمار**"، الذي يستدعى طرح عدة أسئلة، نضع بين ايديكم هذا الدليل ساعيا منا إلى الإجابة لثراء الدراسة أكثر في جانبها الميداني.

-المعلومات الشخصية:

1- الجنس:

2- السن:

3- المستوى التعليمي:

❖ **أسئلة المحور الأول: انعكاس قيمة الحرمة في هندسة المسكن ببلدية قمار.**

1-كيف يتم بناء وتجسيد الدار في المسكن التقليدي والمعاصر؟

.....

2-كيف يتم تقسيم الفضاء الداخلي والخارجي للسكن؟

.....

3-كيف يتم ستر السكن من الداخل والخارج في النمطين التقليدي والمعاصر؟

.....

4-كيف يتم ستر الفضاء الداخلي للمسكن التقليدي؟

.....

5-إلى أي مدى تحافظ هندسة المسكن المعاصر على قيمة الحرمة ببلدية قمار؟

.....

6-ما هي الممارسات التي تكسر حرمة المسكن من الداخل والخارج؟

.....

7- ما هي العناصر العمرانية التي تحقق قيمة الحرمة داخل المسكن التقليدي والمعاصر؟

.....

8-بماذا ترتبط قيمة الحرمة في المسكن التقليدي والمعاصر؟

.....

9-هل هناك تحول مجتمعي لقيمة الحرمة في المسكن التقليدي والمعاصر؟

..... بماذا تفسر ذلك .....

10- ماهي تصورات المجتمع لتواجد المرأة في فضاء المسكن التقليدي والمعاصر ؟

.....

❖ **أسئلة المحور الثاني: انعكاس قيمة الخصوصية في هندسة المسكن ببلدية قمار.**

1-ما مفهومك للخصوصية داخل مسكنك؟

.....

2-ما هي العناصر العمرانية التي تحقق لك نوع من الخصوصية بمسكنك؟

.....

3-كيف تجسدت الخصوصية البصرية في المسكن التقليدي والمعاصر؟

.....

4-كيف تراعي الهندسة العمرانية للمسكن المعاصر قيم الخصوصية للساكن؟

.....

5-كيف تحافظ في تصورك على نمط الخصوصية لمسكنك في هندسته المعاصرة؟

.....

6-كيف تغيرت قيمة الخصوصية من شكلها التقليدي في المسكن إلى شكلها المعاصر؟

.....

7-كيف أثرت الهندسة المعاصرة للمسكن على قيم الخصوصية للأسرة؟

.....

8- كيف أثر التحول السوسيو ثقافي على قيم الخصوصية للفرد الساكن ببلدية قمار؟

.....

❖ **أسئلة المحور الثالث: التنظيم الوظيفي كقيمة في هندسة المسكن المعاصر ببلدية قمار.**

1- كيف يتم تقسيم الفضاءات الداخلية وتنظيم اتجاهها داخل المسكن التقليدي والمعاصر؟

.....

2-ماهي التغيرات التي يدخلها الفرد على مسكنه لتلاءم مع حاجاتهم اليومية؟

.....

3-كيف أثر تقسيم المجال السكني على نمط العلاقات الاجتماعية للأفراد؟

.....

4-ماهي المحددات الثقافية التي يراعيها الساكن في تنظيم مجاله السكني الداخلي؟

.....

5-على أي أساس يتم تحديد موقع مسكنك؟

.....

6-كيف يتم مراعاة المسافات والمساحات بين مختلف الغرف والعناصر المعمارية للمسكن؟

.....

7-كيف يتعايش الفرد مع التنظيم المجالي المعاصر وحاجيات اليومية للأسرة؟

.....

8- كيف يتم التوافق بين عدد الأفراد وعدد الغرف وباقي العناصر المعمارية للمسكن ؟

.....

9- كيف تفسر اختلاف المساحة التقسيم المجالي بين المسكن التقليدي والمعاصر بمجتمع قمار؟

.....

الملحق (2) : نماذج من المحادثات الميدانية :

الحالة : (1): مقابلة مع (ح. خ) البالغة من العمر 70 سنة 2023/12/24 على الساعة 10:30 صباحا

جمعنا لقاء مع هذه السيدة التي دلتنا على الكثير من المعطيات فما يخص المسكن التقليدي وكيفية هندسته، ومعطيات تاريخية من التراث الشعبي حيث قالت "في الماضي تعرضت مدينة قمار إلى أخطار عديدة منها الجيوش يسمون انفسهم جيوش بن جلاب التي أتت من أجل القضاء على رجال قمار، حيث تقتل كل رجل على اختلاف عمره تقابله، إلا الذي يدخل مسجد سيدي عبد الحميد فلا تتعرض له ولا تقتله، فاحتمى به كل رجال البلدة، وخطر آخر رجل يقال له الشريف حيث عم فسادا من خلال قطعه لكل النخيل في البلدة سواء حشان هو النخيل الصغير أو الكبير، وسردت كذلك أساطير مختلفة حول بلدة قمار القديمة التي لازال الأفراد يحتفظون بها".

والمساكن كما أسمتها هي – الحيشان – القديمة كانت غير مبنية في بداية خاصة الفلاحية عبارة براطيل أي سقيفة من الزرب والحلفاء، أو عبارة عن مسكن غير مكتمل، وكان المسكن دون أبواب فلا أحد يمس أو يقترب من حرمة البيوت الأخرى، وأول مسكن تم بناءه في بلدة قمار مسكن بلقاسم نوار في البرج، وكانت الأسرة كلها تسكن مع بعضها وكل ولد يولد في العائلة يحضر له دار أي غرفة خاصة به، كما يقال في المثل " **اذا جاء الولد سجي الدار أي حضر الدار** "، ومن طقوس البناء وضع النساء خاتم من الفضة أو حلق في ساس المسكن عند عملية البناء "باه يجي مبروك ويحل البراكة والخير وتكون المرأة وجهة خير على المسكن وأهله"، ويتم ذبح حيوان الكبش يتم نحره للملاك وهم سكنة الدار من العالم الآخر – الناس الأخرى تُطلب التحمير أي الذبح والشيء المذبوح يسمى حمورة، ويطبخوه للعوانة عشاء أو فطور. اهم عنصر في المسكن هو السباط لقضاء النساء فيه يومهم، فللنساء حرمة حيث لا تمشط شعرها أمام الرجال، وتتقسم الغرف على أساس وجود النساء داخل المسكن. التغير بين المسكن التقليدي الذي سكنت به في صغري ومع زوجي والمعاصر الذي أعيش فيه مع أبنائي لا أحس بالراحة إلا في مسكني القديم أحس بعاطفة، فالنوم في الفناء والوجود فيه راحة كبيرة لي "

الحالة (2): مقابلة (إ .س) أحد المكلفين بعمليات التخطيط والهندسة العمرانية للمساكن الحديثة بمجتمع قمار.

تم التوصل إليه من خلال اخبارين آخرين من خلال العلاقات التي تم بنائها خلال فترة الدراسة الميدانية، تكلمنا معه حول المسكن المعاصر وأهم المحددات التي يتم وفقها هندسته والتغير بين النمط

التقليدي والمعاصر في مدينة قمار "اختلفت المساكن على شكلها الماضي في الشكل أو حتى العناصر العمرانية، فالقبة لم تعد موجودة وكذا المجتمع كله أصابه التغير والتحول في العادات والتقاليد، أصبح المسكن شكله فخم، حيث أن الساكن يأتي بصورة من الأنترنت تكون من السكنات الموجودة في دول أخرى لا علاقة لها بالمجتمع، وتكون غير مقبولة في مجتمعنا وغريبة لكن يفرض عليك تصمم وتهندس له الطريقة التي يريدها والصورة التي جلبها معه فتغره الصورة وتبهره فيريد أن يصبح مسكنه بتلك الصورة حتى يبرز مكانته وقدرة المالية فالسكن في مجتمع مدينة قمار في وضعه الحالي بقوله السكن اليوم "هارب" فالسكن في كمجتمع قمار أصبح فلل وطوابق، لا تعبر عن الشكل القديم والتقليدي الذي حافظ على حرمة مسكنه".

الملحق رقم 3: صور من العمل الميداني:

الصورة (أ): تثمل أحد المساكن التقليدية في مدينة قمار والتي اهتدت هندستها على عنصر الدمسة وهي عبارة عن انحناءات قريبة من بعض البعض والدمس من الأشكال التي ظهرت بعد العنصر المعماري القبة، تحتوي كل غرفة على أكثر من ثلاث أدماس أو أربعة على حسب حجمها ووظيفتها، وتختلف شكل الدمس على حسب وظيفة الغرفة، يقطن هؤلاء العائلة لحد الآن في مسكنهم التقليدي مع إضافات معاصرة مثل – الميزابات– وهي معالجة عمرانية يتم من خلال تخلص من مياه عند نزول الأمطار على السطح، كذلك دخول عنصر حديث من أجهزة، والدمس تكون أعلى من القبة في ناحية الطول والارتفاع مما تجعل سقف الغرفة أعلى والغرفة واسعة من الداخل .

المصدر: من تصوير الطالبة 2024/04/27

الصورة (ب): تمثل الصورة دمسة بشكل صغير وغالبا تكون هذا الجزء هو داخلي تابع لغرفة أخرى وتعرف بالوضاية وهي ركن صغير تعتمد هندسته على عنصر الدمسة وجزء ملتصق لغرفة الجد أو الجدة، أي كبير العائلة يكون موضعها في آخر المسكن، تحتوي على مدخل صغير باب يصل طولها إلى متر ونصف أو مترين وعتبتها للأسفل ومنخفضة على الجزء الأول من الغرفة ووظفتها هي مكان الاستحمام والوضوء، وبعض الغرف في المسكن تحتوي عليها، خاصة غرفة الزوجين أو كبير العائلة، فهي من آليات تحقيق قيم الخصوصية وحفظ حرمة الزوجين داخل غرفتهما الخاصة بهما.

المصدر: من تصوير الطالبة 2024/04/27.

الصورتين رقم (ت)، (ح): تمثل الصورة عملية البناء للمساكن التقليدية وكيف تتم طريقة وضع الحجارة ومواد البناء المستخدمة، ومن قيم مجتمع مدينة بناء المسكن والأفراد يتعاونون مع بعضهم وهذا ما يطلق عليه العوانة وهي مرادفة لمفهوم التويزة وهي تعاون الأفراد مع بعضهم دون مقابل من أجل مساعدة أحدهم في بناء بيته، كانت هذه الظاهرة موجودة حتى في بناء المساكن التقليدية عند صب الدالة أو سقف البيت تساعد الجيران بعضها دون مقابل، ومع ظهور آلة صب الخرسانة، أصبحت تعمل عمل أكثر من شخص لم تعد تلك الظاهرة موجودة ولم تعد تلك التفاعلات تظهر في عملية البناء لمساكن المعاصرة .

المصدر : https://www.facebook.com/Mag1souf **: 2023/09/11.**

مجلة واد سوف الالكترونية: هي مجلة تنشط على موقع الفيسبوك تنشر كل ماله علاقة بتراث منطقة الوادي لها الكثير من المتابعين يصل عددهم الى مليون متابع على الصفحة.

الصورتين رقم (د) ، (ذ) : تمثل الصورتين الأقفال والمفاتيح المستعملة في المساكن التقليدية قديما والتي كانت تعلق بها المساكن والغرف، لكن هذا النوع من الأقفال والمفاتيح ظهر حديثاً نوعاً مع ظهور الحديد وجلبه إلى المناطق الصحراوية، فقديما لم تكن الأبواب، وبعد وجود الأبواب يكتفون بعمل ثقب في الباب وغرس حديد أو حجر متين في جدار الغرفة أو أمام باب المسكن وادخال خيط من تلك الثقب وربطه في الحديد أو الحجر المغروس في جدار الغرفة من الخارج أو المسكن. ويسمى –**الشَكالْ**– فطريقة الفتح والغلق مرت بمراحل وطرق مختلفة عبرت عن أسلوب الفرد داخل مسكنه فالأبواب القديمة تفتح من الداخل وليس الخارج لحفظ حرمة أهل الدار والحفاظ على خصوصيتهم، وكذلك النوافذ ومختلف الأبواب وكانت تصنع من الخشب لا غير ولازالت لحد الآن أبواب المساكن التقليدية محافظة على شكلها لصلابتها، فشكل المفتاح وعملية فتحها الأبواب وغلقها يدل على السياق الثقافي لمجتمع كمدينة قمار وأسلوب حياة الفرد وتصوره حول العالم الخارجي ومن حوله .

المصدر: من تصوير الطالبة 2024/03/27

الصورة رقم (ر): تمثل الصورة مسكن معاصر في أحد المناطق الداخلية الفلاحية التابعة لمنطقة قمار، عرف هذا النوع من المساكن انتشار كبير، فأصبح السكن يُبنى على حساب العقار الفلاحي وقلة الأراضي الفلاحية المزروعة، هذا المسكن يحتوي على عدة طوابق كل عائلة تسكن في طابق مخصص لها، وبُني هذا السكن لغرض اقتصادي لتأجيره لأفراد آخرين، الرمز المنقوش على المسكن نفس الرمز الذي المنسوج في زربية أهل قمار والتي يعود أصلها إلى 1914م، وعلى حسب أحد الاخبارين فإن ذلك الرمز هو يدل ويرمز الأبواب الأربعة التي تأسست عليها بلدة قمار قديما، هذا الحي يتميز بالنمط المعاصر والفخم للمساكن الدال على التغير للناطق الفلاحية وأسلوب حياتهم وقيمهم في بناء مساكنهم، وطغيان السكن المعاصر على حسب الحاجة والوظيفة لمالكي السكن .

المصدر: من تصوير الطالبة: 2024/07/25

الصورة رقم (ز): تمثل الصورة نمط من المساكن المعاصرة المنتشرة في مدينة قمار، وهي مساكن تحمل دلالة على المكانة الاجتماعية والاقتصادية لمالكها، ومن خلال الصورة نلاحظ بعض التفاصيل العمرانية الدالة على بعض القيم من خلال شكل المدخل وهندسته وسمك جدرانه الداخلية لحرمة أهل الدار داخله كنوع من الخصوصية البصرية من خلال عزل نظر الآخرين عن ما في الداخل، والسور حول المسكن كنوع من حرمة وستر المسكن من الداخل إلى الخارج، لون الأبيض لسكنات هو لون الموضة في البناء ولون المساكن الفخمة، الدال على البساطة وكذا نوع من الفخامة من الناحية الجمالية البصرية .

المصدر: من تصوير الطالبة 2024/04/24

الصورة رقم (س) : تمثل الزاوية التيجانية بمدينة قمار وعمارتها الخارج

الصورة رقم (ش) : تمثل عمارة الزاوية التجانية بمدينة قمار تمثل العمارة الاسلامية .

المصدر: من تصوير الطالبة 2024/03/2

الصورة رقم (ش) : تمثل الهندسة العمرانية الحالية لحي الباب الشرقي احد الابواب المكونة لمدينة قمار ، ويقع في الناحية الشرقية من بلدة قمار

الصورة رقم (ص): تمثل الحي الشعبي التقليدي لحي باب الشرقي المكوة لعمارة بلدة قمار التقليدية .

مصدر الصورتين :

https://www.facebook.com/groups/127343571260722/?hoisted_section_header_type=recently_seen&multi_permalinks=1459074881420911 02/09/2024 الساعة 8:00م

الصورة رقم (ص) : تمثل أحد الاطباق المحلية التي لها تحمل دلالة رمزية لمدينة الوادي، واللباس التقليدي للمرأة السوفية

المصدر : souf/photos_by1https://www.facebook.com/Mag 2024/09/1، 9:00 ص

الصورة () : تمثل ساحة التحرير والمركزي الحضري للمدينة قمار في هندستها المعاصرة .

المصدر : الطالبة

الملخص :

قدمنا من خلال هذه الدراسة والتي تدور حول إشكالية المرجعية القيمية في هندسة عمران المدينة الصحراوية التقليدية والمعاصرة دراسة أنثروبولوجية ببلدية قمار، تمّ من خلالها تبيان أهمّ القيم التي يتخذها الفرد والمجتمع في هندسة مجاله السكني التقليدي والمعاصر، ودراسة تلك التحولات بين ثقافة البناء التقليدية والحديثة لرصد أهم التغيرات الثقافية والاجتماعية التي يمرّ بها مجتمع مدينة قمار، وتهتم هذه الدراسة في البحث عن التحوّلات القيمية التي لها ارتباط كبير بالنسق الثقافي والاجتماعي، وذلك من خلال تقديم قراءة أنثروبولوجية، ووصف مكثّف للعناصر العمرانية المكونة لعمارة المسكن، الذي يمثّل أحد العناصر العمرانية الثقافية، التي تعدّ نتاج لخبرات ومجموعة من الرموز والدلالات الحاملة لمعاني ثقافية تعبر عن ثقافة المجتمع، وتأويلها في الإطار الثقافي الخاص بمجتمع مدينة قمار، لفهم تلك التحولات في العمارة، فالتغيرات في العمارة هي ترجمة وتفسيرات تغيرات تعبر عن التحول في الشق القيمي لمجتمع البحث.

الكلمات المفتاحية : المرجعية القيمية، العمارة، المدينة الصحراوية، المسكن، بلدية قمار .

Abstract:

This study explores the issue of value reference in the architecture of traditional and contemporary desert cities through an anthropological investigation conducted in the county of Guemar. It highlights the essential values that individuals and society uphold in designing their traditional and modern residential spaces. The research examines shifts between traditional and modern construction cultures to track significant cultural and social changes experienced by the Guemar community. The study focuses on identifying value shifts closely linked to cultural and social patterns, providing an in-depth anthropological analysis and detailed description of architectural elements within housing. These elements are cultural artifacts resulting from experiences and symbols that convey meanings reflective of the community's culture and its interpretation within the cultural framework of Guemar. Understanding these architectural transformations offers in-depth insights into changes in the value system of the studied community.

Keywords: value reference, architecture, desert city, housing, county of Guemar.

تم بحمد الله